الفصل الرابع

البحث عن الله [1] ... ونهاية التاريخ

١ . الطفو فوق سطح مبهم ...

كان يلزم التعرض ــ هنا ــ بشكل مقتضب إلى **رحلة كفاح الإنسان الفكرية** لحل لغز " **قضية وجود الله** " (ﷻ) ، ومفهوم " **القضية الدينية** " ، وذلك منذ بدء الحضارات القديمة وحتى الوقت الحاضر . وهى الرحلة الفكرية التى قام بها الإنسان معتمدا فيها على ذاته ــ إلى حد ما [2] ــ **بعد أن استبعد من حساباته فكرة الإعتماد على مبدأ الوحى الإلهى للرسل كمصدر للهداية ، ومصدر للدين الصادر عن " الله " عز وجل** . وكما سنرى ؛ فإن الإنسان قد وصل ــ الآن ــ إلى حالة من الفوضى والعشوائيات الفكرية فى أحكامة إلى درجة لم يعد معها ، تبين حقيقة وجوده ومنتهى مصيره ، أمرا ممكنا ..!!! وليس هذا فحسب بل أصبح الإنسان الان يسعى بدرجة واضحة ــ بدون أن يدرى ــ إلى حتفه ..!!! فهو يسعى الآن إلى أن يورد نفسه بنفسه مورد التهلكة كناتج طبيعى من عدم تحقيقه للغايات من خلقه . ويمكن القول بأن مردود هذا التخبط الفكرى **هو ناتج طبيعى لعدم إستيعاب الإنسان لبانوراما الوجود حتى الآن ..!!!** ولعل أهم الأسباب التى دفعته إلى هذا .. هى بإيجاز شديد كالتالى ..

---

[1] أنظر " **الملحق الأول** " من هذا الكتاب ، وترجع أهمية هذا الملحق إلى كونه يخرج هذا الكتاب من دائرة خصوصية الكلام عن الديانة الإسلامية نظرا لاستخدامه لفظ الجلالة " **الله** " ، إلى التعميم الذى يشمل المنظور العام للأديان الأخرى ، ومنها المسيحية الغربية .

[2] بعد أن فقد الإنسان التمييز بين ما هو انسانى المصدر وبين ما هو الهى المصدر ، بالمفهوم الظاهرى لهذا المعنى (لأن الأصل كله ــ بما فى ذلك الإنسان ــ الهى المصدر) .

• **أولا :** **وجود أديان متعددة** على الساحة الفكرية يغذيها إنتماء أعمى لفئات تعتقد كل منها في صحة وحقيقة دينها بدون أي سند علمي أو براهين كافية للتدليل على صحة هذا الإعتقاد . وقد أدى هذا الوضع السائد إلى الإنطباع العام **بنسبية القضية الدينية وليس بإطلاقها .** وهو ما يعني تعدد الأديان **وليست ديانة واحدة صحيحة صادرة عن خالق واحد مطلق .**

• **ثانيا :** الإعتقاد الخاطيء في أن " **القضية الدينية** " هي قضية لا يمكن البرهنة على صحتها أو بطلانها ، **فهي قضية إما أن يعتقد فيها أو لا يعتقد فيها** . وبهذا المفهوم تصبح القضية الدينية " **قضية غيبية** " بشكل عام . حيث لا يمكن ـ من هذا المنظور ـ أن تخضع للمنهاج العلمي ، وبالتالي تضيع القدرة على البرهنة القاطعة على صحتها . بينما الحقيقة أن القضية الدينية **هي " قضية علمية كلية "** يمكن البرهنة على صحتها ، إذا كان الدين صحيحا ، كما يمكن البرهنة على بطلانها إذا كان الدين خاطئا أو غير صحيح .

• **ثالثا :** عدم وجود الرغبة الحقيقية أو الصادقة ـ أو حتى الرفض ـ لدى الكثيرين من أصحاب الفكر في إعادة النظر إلى ما تم الإنتهاء إليه من قرارات حول وثنية الأديان وأسطوريتها . يغذيهم في هذا ، **التجربة الدينية المريرة التي خاضها الإنسان وبشكل مباشر مع الديانتين اليهودية والمسيحية** ، وما ترتب على هذه التجربة من نتائج أسفرت عن كفر الإنسان بمدلول كلمة " **دين** " على نحو عام ، وانسحب هذا الحكم على " **الديانة الإسلامية** " بدون تروي أو دراسة حقيقية تؤدي إلى ما تم الإعتقاد فيه .

• **يستند الفكر السابق** إلى الحقيقة التي تشهد لنفسها على أن جميع الأديان **ـ باستثناء الديانة الإسلامية ـ** تحوي قدر واضح من الخرافات والأساطير والوثنيات الفكرية . كما تشتمل ـ هذه الأديان أيضا ـ على **تناقضات فكرية واضحة** بين المضامين التي تحويها ، وبين المنطق العلمي المتفق عليه في معطيات العلم الحديث ، مما أكد على خرافة الفكر الديني ـ لهذه الأديان ـ وأسطوريته . وبديهي ؛ هذا لا ينفي إحتواء هذه الأديان على بعض آثار من الحقيقة المطلقة أو الفطرة البشرية [3] ، ولكن تناقضات النصوص وخرافتها هو سمة عامة في تركيبة هذه الأديان .

• **رابعا : عدم فهم دور الدين في حياة الإنسان حتى الآن** . وبهذا أصبح " **التدين** " يمثل ذلك الدافع النفسي الغامض الذي يدفع الإنسان إلى الإعتقاد في وجود قوى عليا تهيمن عليه

---

[3] **أنظر : " نظرية الإحتواء " في الفصل الخامس من هذا الكتاب .**

وعلى وجوده ، كما يمكن أن تحدد مصيره أيضا ..!!! وعندما فشل الإنسان في أن يجد لهذا الدافع النفسى التفسير الصحيح ..!!! إعتقد ــ فيما إعتقد ــ أنه يستطيع أن يهجره ، أى يهجر الدين ويعرض عنه ..!!! ولم يتنبه الإنسان إلى أن جميع صور الإعراض عن الدين تحوى فى جوهرها مبدأ التدين البديل ..!!! **ولم يدرك الإنسان أن معرفة الدين الصحيح هو ــ فى الواقع ــ غاية الغايات من وجود الإنسان وخلقه** ...!!! وأن الإعراض عن هذه المعرفة إنما تعنى ــ ببساطة شديدة ــ خسران الإنسان لحاضره ومستقبله .. ووجوده ومصيره ..!!! كلٍ على حد سواء ..!!!

- **خامسا** : عدم إدراك الفرق بين " **القضية الدينية** " وبين " **قضية الوعى الفطرى بوجود الله فى داخل النفس البشرية** " ؛ فكلاهما قضايا مستقلة كل منهما عن الأخرى . فبينما نجد الأولى ، أى " **القضية الدينية** " ، يجب أن تحتل الحيز العقلى لدى الإنسان ، نجد الثانية ، أى " **قضية الوعى الفطرى بوجود الله** " ، تحتل الحيز العاطفى لدية . وقد نجد من يستطيع تحييد عقله فى القضية الإيمانية ، بينما لا نجد من يستطيع تحييد عواطفه فيها . **لهذا نجد أن " الله " (ﷻ) يسكن فى وجدان البشرية جمعاء** ، وهو ما يعني أن الإنسان ليس في حاجة إلي الدين لإدراك معني وجود الله (ﷻ) ، ولكن الإنسان فى حاجة إلى العقل بقمة ملكاته ، والعلم فى أعمق معانيه لكى يدرك الدين الصحيح . ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن **المزج** بين القضيتين السابقتين هو المسئول المسئولية المباشرة عن ظاهرة تعدد الأديان . **وهكذا يصبح أحد مظاهر لغز الوجود : هو المزج بين القضيتين (العاطفة والعقل) . كما يُحل هذا اللغز بالفصل بين القضيتين ، أى الفصل بين العاطفة والعقل .**

- وأخيرا أؤكد مرة أخرى ؛ على أن تشبث الإنسان بإعتقاده ــ حتى الآن ــ حول ما انتهى إليه من قرار بشأن الدين ، **ورفضه القاطع القيام بعمل دراسة عالمية محايدة للديانة الإسلامية (والأديان الأخرى هذا إذا ما أراد)** ، سوف يورد الإنسان ــ بدون أن يدرى ــ مورد التهلكة ، وذلك لسبب بسيط جدا ، هو أن الإنسان سوف يفقد الفرصة الوحيدة المتاحة لديه لتحقيق الغايات من خلقه . **والغايات من الخلق** هى قوانين عليا تمتد فيما وراء القوانين الفيزيائية المعتادة ، ونخضع لها نحن ــ بنى البشر ــ بشكل مباشر . **فكما نعلم أن الخطأ فى الحسابات الخاصة بأساسات مبنى ما ، سوف يؤدى إلى إنهيار المبنى ، مهما كانت حسن نوايا وأخلاقيات المهندس القائم بالتصميم ، طالما لم يأخذ المهندس بالقوانين الخاصة بتشييد المبنى .. كذلك الإنسان سوف يورد نفسه مورد التهلكة طالما لم يأخذ بالقوانين الخاصة بالغايات من خلقه ، مهما كانت أخلاقياته وحسن نواياه** ..!!! فالعبرة

obeikandi.com

هنا بتحقيق القوانين ــ الفيزيائية ــ الخاصة بكل حالة . **فلكى لا ينهار المبنى ، لابد من تحقيق قوانين بعينها مثل :** قوانين المواد ، وقوانين الإجهادات ، وقوانين حركة التربة ، وقانون الجذب العام ، وقوانين الحركة ... إلى اخره من القوانين الفيزيائية العامة التى يخضع لها تشييد المبنى ، والتى تختلف فى جوهرها عن قوانين الأخلاق . فليست العبرة فى هذه الحالة بحسن نوايا المهندس القائم بالتصميم . فقد يكون المهندس " **أفاقا** " بالمفهوم الأخلاقى ، ولكنه يحسن التصميم ، وبذلك لا ينهار المبنى ، والعكس صحيح . **وهكذا الحال بالنسبة للإنسان .. فهو يخضع لقوانين عليا (هى قوانين الغايات من الخلق) والتى يجب عليه تحقيقها حتى يضمن نجاته وخلاصه** . فيجب التنبه إلى أن حسن النوايا والأخلاق العامة هى أمور **ضرورية ولكنها ليست كافية** لنجاة الإنسان ونيله للخلاص المأمول . ويبين لنا المولى (ﷻ) هذا المعنى (أى حسن نوايا الإنسان) غير كاف لنيل الخلاص المأمول (أى السعادة الأبدية المرجوة) ، كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ *قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)* ﴾

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٣ – ١٠٤)

فاعتقاد الإنسان فى أنه " **يحسن الصنع** " ، هو إعتقاد غير كاف لنيل الخلاص . فالإنسان مطلوب منه تحقيق الغايات التى خلق من أجلها .. **نظرا لعمل قانون الغايات . ويحدث هذا ..** سواء أدرك ــ الإنسان ــ هذه المعانى أم لم يدرك .. فلا عذر لجاهل فى القوانين الفيزيائية ، كما لا عذر لجاهل ــ أيضا ــ فى القوانين الوضعية . فخرق القانون يعرض الخارق للعقاب ، فالغافل لا يعفيه القانون ..!!!

ثم تأتى الايات التالية ، للآيات السابقة ***لتعريف : الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا*** ، كما تبين الجزاء الخاص بهم وخسرانهم المصير المأمول .. فى قوله تعالى :

﴿ *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)* ﴾

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٥ – ١٠٦)

إذن ؛ فالكفر بسنن الله ، والكفر بلقاء الله ، يمثلان ــ فيما يمثلان ــ عدم تحقيق الإنسان للغايات من خلقه ، وبالتالى لا قيمة لأى عمل يؤديه الإنسان فى هذه الحياة الدنيا مهما كان خيرا ، ومهما كانت حسن النوايا ، **لسبب بسيط جدا هو أن الدنيا برمتها إلى زوال** . فالمعرفة الإلهية (كمال وفعل) هى ضرورة تحتمها الغايات التى خلق من أجلها الإنسان . ثم يأتى الجزاء الحتمى كناتج طبيعى من عدم تحقيق هذه الغايات فى قوله تعالى فى السياق السابق : ﴿ ... *ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا* ﴾ [٤] .

ولابد لى من أن أشير أو أنبه ؛ إلى أن الدافع النفسى القوى الذى يقع وراء عدم رغبة الغرب ــ الصادقة ــ فى القيام بدراسة جدية عن الإسلام يحسم بها موقفه تجاه هذا الدين ؛ هو أن " الإسلام " ليس موضوعا محايدا بالنسبة للغرب ، بل هو دين وعقيدة ..!!! وبالتالى فإن الإعتراف بصحة الإسلام ، أو حتى مجرد الإعجاب به بعد دراسته ، سوف يلزم الغرب ــ منطقيا ــ بإعتناقه ..!!! وهو أشد ما يخشاه الرجل الغربى (الغير مسلم) ..!!! لذلك يبتعد الغرب دائما ــ بوعى منه أو بدون وعى ــ عن أى دراسة جدية عن الإسلام خوفا من الوصول إلى هذه النتيجة ..!!! وهى النتيجة التى سوف تضعه وجها لوجه أمام حقيقة هذا الدين ، وهى الحقيقة التى تدينه بإعراضه عنه ، وتفرض عليه إعتناقه له . ولم يدرك الإنسان ــ فيما يدرك ــ إنه الخاسر الوحيد لنفسه بإعراضه عن دراسة هذا الدين ..!!!

كما نجد الغرب ــ من جانب آخر ــ يحاول دائما التشبث بصورة خاطئة عن الإسلام ليستبعد عن ذهنه أى إحتمالات ممكنة للقيام بدراسة هذا الدين ..!!! بل ويحاول دائما أن يدعم موقفه من هذا الإعتقاد الخاطىء بالقيام بتبنى وتشجيع أى دراسات مغرضة تؤيد ما يريد أن يعتقده فى الإسلام .. من أنه ذلك الدين الأصولى المتطرف الدموى ..!!! وقد انعكست هذه الرؤية الخاطئة عن الإسلام على العلاقات الأدبية بين الشرق والغرب ، فصار المستشرقون يقبلون على ترجمة أى عمل أدبى مادام يشوه الفكر الإسلامى بصورة أو بأخرى ..!!! وليس هذا فحسب ؛ بل امتد هذا الفكر أيضا إلى الجوائز العالمية ..!!! حيث نجد أن من يحظى بها هو من يستطيع ــ فى كتاباته ــ أن يسىء إلى الديانة الإسلامية بطريقة ما أو بأخرى ولو بشكل غير مباشر أو حتى بشكل رمزى . ومن ضمن هذه الجوائز .. " جائزة نوبل فى الأدب " ، التى منحت أخيرا للكاتب المصرى " نجيب محفوظ " عن روايته : " *أولاد*

---

[٤] أنظر " **الفصل الخامس : قصة الوجود الإنسانى** ، وانظر كذلك **الفصل السادس** " من هذا الكتاب لتفاصيل أخرى عن الغايات من الخلق .

حارتنا " ، وهى رواية رمزية عن : " **الخالق والأنبياء والرسل** " ، **تعكس القصور الواضح فى فكر هذا الكاتب لفهمه للدين والتدين على وجه مطلق ..!!! كما تؤكد هذه القصة ــ من جانب آخر ــ على أن الكاتب قد فشل تماما فى فهم دور الدين فى حياة الإنسان ولو على وجه نسبى ..!!!**

وكتابنا هذا ــ مثل الكتاب السابق [٥] ، **هو** المحاولة المبذوله ــ من جانب الكاتب ــ لبيان أن قضية إعتناق الإنسان للديانة الحقة ليست **ترفا فكريا** قد يؤخذ به أو لا قد يؤخذ به ، بل هى " **قضية القضايا فى سيناريو خلق ووجود الإنسان** " ، فهى قضية " **الغاية من خلق الإنسان ووجوده** " . فالكاتب يحاول دائما التنبيه إلى أن نيل **الخلاص** [٦] لا يعطى الإنسان الحق فى حرية إعتناق أى مذهب بدون أى دليل أو برهان كاف لبيان صحة وصدق الإعتقاد فى هذا المذهب . حيث يتأكد هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١١٧)

وهنا نرى ــ كما سبق وأن ناقشنا هذا من قبل [٧] ــ أن المولى (ﷻ) قد عمم حيز البرهان ليشمل كل من حيز الإيمان وحيز الشرك أيضا . أى أن البرهان ضرورى وهام ، ليس فقط فى القضية الإيمانية فحسب ، بل حتى فى قضية الشرك بالله أيضا . وهكذا تبين لنا الديانة الإسلامية أن البرهان فى القضية الدينية ليس **ترفا فكريا** قد يؤخذ به أو قد لا يؤخذ ، ولكنه ضرورة يحتمها وجود الإنسان والغايات من خلقه .

ففى الواقع ؛ أن معيار خلاص الإنسان يتمثل ــ فى جوهره ــ فى إهتداء الإنسان إلى الديانة الصحيحة . ولهذا فإن البرهان العلمي على صحة الدين هو ضرورة تفرضها طبيعة خلق الإنسان للوصول به إلى اليقين الدينى . أو بمعنى آخر ، أن البرهان العلمى على صحة الدين ، هو ــ فى الواقع ــ قارب النجاة الذى يحمل الإنسان إلى بر الأمان ، بعد أن وُجد الإنسان نفسه

---

[٥] " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٦] **يمكن أن يعرف " الخلاص " ــ هنا ــ بأنه : معادة الإنسان الأبدية ، كناتج طبيعى من تحقيق الإنسان للغايات من خلقه** . وهو تعريف يختلف فى مفهومه عن مفهوم الخلاص فى الفكر المسيحى ؛ راجع ؛ **المرجع السابق** .

[٧] سبق مناقشة هذه الآية الكريمة بالتفصيل فى **المرجع السابق** (الفصل الرابع) .

ملقى فى هذا أليـمْ .. أو فى هذا الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية . فـــلا وسـيلة للإنســان للتعرف على الغــايات من خلقه إلا بإدراك الدين الصحيح ، ولن يدرك الإنسان الدين الصحيــح إلا بالعقل والبرهان العلمى القاطع الدال عليه .

كما يجب التنبه أو ملاحظة ؛ أن ليس للإنسان الحق فى تحديد أو إختلاق أى منهاج وضعــى أو حتى أى مذهب أخلاقى ثم يقوم بالتدين به . لأن هذا يعنى ــ فيما يعنى ــ إعتقاد الإنسان فــى " **هوى النفس** " ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَــأَنتَ تَكُــونُ عَلَيْــهِ وَكِيــلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَــبُ أَنَّ أَكْــثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هم أَضَــلُّ سَــبِيلاً (٤٤) ﴾

(القران المجيد : الفرقان (٢٥) : ٤٣ - ٤٤)

و" **هوى النفس** " فى القضية الإيمانية إنما تعنى غياب العقل والمنطق فيها ..!!! وليــس هــذا بمستغرب ، لسبب بسيط جدا هو ...

﴿ ... إِنَّ النَّــفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ٥٣)

فالإنسان غير مؤهل ــ بالفطرة ــ لمعرفة الغايات التى خلق من أجل تحقيقها . فقضيــة هــذه المعرفة ــ أى معرفة الغايات من الخلق ــ هى قضية إخبار وإختبار للإنسان فى إسلوب البرهنة عليها . فالقضية إذن ليست " **قضية أهواء شخصية** " يقوم الإنسان بتعريفها أو تحديــد هويتــها كيف شاء ... ومتى شاء ... ثم يؤمن ــ بعد ذلك ــ بما يشاء . بل هــى " **قضيــة إخباريــة إختبارية** " صادرة عن الخالق لتعريف الإنسان بسياق خلقه فى هذا الوجود .

والإعتقاد فى " **هوى النفس** " لم يتجاوز معناه ، عن معنى من ألقى بنفسه من شرفة بناء شــاهق لمجرد أنه لا يعتقد فى وجود " **قانون الجذب العام** " ..!!! فيجب التنبه إلى أن الوجود عبــارة عن قوانين حاسمة يخضع لها الإنسان .. سواء أدرك هذا أو لم يدرك ..!!!

﴿ .. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾

(القران المجيد : الحجّ {٢٢} : ٣١)

فالدين ــ إذًا ــ هو " قضية عقل وعلم " أولا وأخيرا ، وليس عاطفة وانفعال بدون تعقل أو تفكر وتروى ..!!! وليس للإنسان الحق فى الإعراض عن الدين الحق ، كما ليس له الحق فى إهدار عقله على أى نحو هو يريده ، وإلا فقد الخالق حكمته فى خلقه ...!!! لأنه هذا يعنى ــ فى ما يعنى ــ أن الخالق قد وضع فى الإنسان عقل لا قيمة له ، كما منحه علم لا نفع فيه ...!!! سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا ...!!! وهو القائل فى محكم تنزيله ...

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾

(القرآن المجيد : القمر {٥٤} : ٤٩ - ٥٠)

فالإنسان يتحرك بعقله وعلمه نحو غايات بعينها ، كما سنرى (فى الفصل السادس) . وليس للإنسان الحق فى أن يدعى أنه يمكنه تحديد أو تعريف : **ما يريده الله (ﷻ) ويبغيه منه (أى تعريف الدين)** . فمثل هذه المعرفة لم تُمْنَح أو تركب للإنسان فى فطرته (أى فى أثناء تكونه الجنينى) ، بل هو " **معرفة إخبارية إختبارية** " تأتى من جانب الحق ، تبارك وتعالى ، الخالق المطلق لنا ولهذا الوجود . **ومع الفارق فى التناظر** ؛ فلا خلاف لدينا (بالفطرة أيضا) على أن قواعد تشغيل المعدة يجب أن يحددها صانع المعدة ، كما وأن قواعد اللعبة يجب أن يضعها مصمم اللعبة . فهكذا الحال بالنسبة " **للدين** " والتعريف بما يريده الله ويبغيه من الإنسان ، يجب أن يصدر عن الخالق (المفارق) للإنسان لأنه هو العالم بغاياته منا ، وليس هذا فحسب بل هو أدرى بنا منا ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ (١٦) ﴾

(القران المجيد : ق {٥٠} : ١٦)

وهكذا " الدين " ؛ هو " المعرفة الإخبارية الإختبارية الصادرة عن الخالق (المفارق) ، عز وجل ، التى توضع فى الحيز العقلى لدى الإنسان ، ثم يقيم " الله " العلم عليه دليلا ..!!! ثم

يترك " **الإيمان العقلى به** " (وليس للتقليد الأعمى والمحاكاة أو التمسك العاطفى المتعصب) ليمثل الحرية الشخصية لدى الإنسان فى إعتناقه أو الإعراض عنه ...

﴿ وَقُلْ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ... (٢٩) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ٢٩)

فحرية الإيمان بـ " الدين " هى حرية مكفولة للإنسان تماما ، ولكنها حرية تحكمها قوانين عليا ، فهى حرية مشروطة بقوله تعالى ...

﴿ ... ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٨١)

وكما جاء فى حديثه القدسى [٨] :

[... يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه]

ومن منظور اخر موازى ..

﴿ وأَنْ لَّيْسَ لِلإِنسَانَ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى (٤١) ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٣٩ - ٤١)

٢ . *الفطرة الدينية ...*

الفطرة الدينية ؛ وتشمل الرغبة (الفطرية) لدى الإنسان فى اعتناق دين ما ، كما تشمل الإعتقاد فى وجود إله خالق ، وهى إدراك يصل فى معناه ــ فى النفس البشرية ــ إلى مرتبة

---

[٨] عن أبى ذر الغفارى عن النبى (ﷺ) ، رواه مسلم . " **جامع الأحاديث القدسية** " ، المجلد الأول ؛ دار الريان للتراث . ص : ٤٦٣ .

القانون الطبيعى [٩] . وقد خضعت هذه الفطرة لدراسات وأبحاث عملية عديدة ، منها التجارب الدينية التى تمت على شعب " **الآبا ــ تانيس : The Apa Tanis** " ، وهو من الشعوب البدائية التى تسكن منطقة " **الهيمالايا الشرقية : The Eastern Himalaya** " [١٠] . حيث بينت هذه التجارب والدراسات التى أجريت على هذا الشعب ، أن التشابه بين النسق الدينى بين الشعوب البدائية والشعوب الأكثر تحضرا **يتحدى النظرية التى تقول بأن الدين هو انعكاس للحياة الإجتماعية** . ولما لم يتنبه الفلاسفة ، والدارسين إلى معنى الفطرة الدينية لدى الإنسان ، نجدهم ينسبون هذا التشابه إلى أيديولوجية [١١] هذه الشعوب ، أى ينسبون هذه الفطرة إلى **الثقافات المترسخة فى فكر هذه الشعوب** ، لهذا نجدهم يقولون ، عن هذا التشابه ..

" وهذا التشابه يُظهر بقوة أن أى أيديولوجية ما **مزروعة فى أعماق ثقافة** خاصة يمكن أن تدوم دون أى تغيير كبير فى مجتمعات لها ثقافات مختلفة جدا . وهذا يعنى أن **المفاهيم الدينية المترسخة فى فكر الأفراد** (وهو ما يسمى بفكر " **القَبْليّات الدينية** ") لها أعماق أبعد من أعماق الثقافة المادية والإقتصادية ، وأبعد من العلاقات الإجتماعية . فالثقافة الإجتماعية الإقتصادية ، تظل فى وعى الفرد ما دامت لا تتناقض مع الثقافة الدينية . ومن هنا نقول بأن **الثقافة الدينية لها أصالة مستقلة عن الثقافات الأخرى** " .

وبديهى عندما تقول هذه الدراسة أن " **الثقافة الدينية لها أصالة مستقلة عن الثقافات الأخرى** " ، إنما تعنى " **الفطرة الدينية لدى الأفراد** " . وبديهى لم تبين لنا هذه الدراسة .. من الذى زرع هذه الأيديولوجيات الدينية ..؟! ومن الذى رسّخ هذه الثقافات لدى هذه الشعوب البدائية ..؟!

---

[٩] كما سبق وان نوهت بأن مثل هذه القوانين هى معرفة تأخذ طابع القانون الإحصائى (**Statistical Law**) . بمعنى إنها معرفة تنبع من ملاحظة الإنسان لنفسه ، ومن ملاحظاته التى شاهدها على الجماعات البشرية المختلفة على مدار التاريخ والحضارات المختلفة ، ووجد إنها تنطبق على الغالبية العظمى من البشرية ، وبالتالى فهى معلومة صحيحة ومؤكدة وتأخذ صفة القانون ، حتى وإن لم تتحقق بشكل مباشر فى بعض الأفراد . فالقوانين الإحصائية (التوزيع العادى **The Normal Distribution**) تسمح بوجود مثل هذا التباين ، أى المتنكرين للدين تماما ، والمتمسكين بالدين إلى درجة التطرف .

[١٠] " **ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتشظى ، والشيطان الأعظم** " ؛ د . سامى ادهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١١٣ وما بعدها . مأخوذة عن " الفصل الثامن " من كتاب : " **The Apa Tanis and Teheri neighbours; a primitive civilization of the Eastern himalaya, London 1962** " .

[١١] **الأيديولوجية (Idiology) :** هى مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية . أو هى طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة . أو هى الأهداف المتكاملة التى تشكل قوام برنامج سياسى إجتماعى لأى مذهب .

كما لم تبين لنا .. من الذى وضع هذه " القَبْليَّات الدينية " لدى هذه الشـــعوب لبدائيـــة ..؟! غفلة .. ما بعدها غفلة ..!!!

﴿ ... وإن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦)﴾ [١٢]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٥٦)

فهذا هو حال الإنسان ذلك الغافل عندما يعرض عن الرؤية المستيقنة لديه ، ولا يعطى الدراسة الدينية حقها الكافى ، ثم يقفز إلى النتائج ..!!! وتؤكد هذه الدراسات ــ من منظـــور آخـــر ــ على وجود هذه الفطرة الدينية فتقول [١٣] ..

" بأن الدين ليس انعكاسا للحياة الإجتماعية والإقتصادية ، كما أن الدين ليس نتاجـــا ثقافيـــا كبقية المنتوجات الأخرى ، كالأدب ، والشعر ، والتاريخ والفن والفلسفة .. بل هو نتاج روحـــى خاص يكوِّن روح الشعب وجذورها العميقة التى لا تتزعزع ولا تتغير ولا تنهدم مـــع الـــهزات الإجتماعية والإقتصادية المادية . **وعلى العكس ، وكمـــا هـــو ملاحـــظ مـــن قـــبَل علمـــاء الأنثروبولوجيا الدينية ، فإن الهزات الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية تزيـــد مـــن إيمـــان الشعوب وتزيد من تعلقها بقبلياتها الدينية** . فالشعوب التى تعرضت لهزات كبيرة وخطـــيرة ، لم تغير من دينها ولم تغير من معتقداتها بطريقة واعية . لكنه يمكن استبدال دين بآخر ، وهذا ما

---

[١٢] والآيات كاملة هى ..

﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٥٦)

[**طائفتين** : هما اليهود والنصارى / **صدف عنها** : أعرض عنها أو صرف الناس عنها]

والمعنى هذ يشمل البشرية جمعاء ، بأنه ليس هناك حجة للإنسان بعد نزول القرآن المجيـــد ، فـــى أن يقـــول أن التوراة والإنجيل قد نزلوا على أقوام خاصة ، هو ليس له علاقة بهم . كما وأنه لم يقم بدراسة مثل هذه الأديـــان . كما وأن القرآن الآن موجود بين يدى البشرية جمعاء ، وليس للإنسان حجة فى إنكاره لهذا ، كما وأنـــه ســـيجزى سوء العذاب عندما يدعى الإنكار بمثل هذه الحجج .

[١٣] " ما بعد الفلسفة . الكاوس ، والتشظى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلـــم للملايـــين ــ بيروت ؛ ص : ١١٤ / ١١٥ .

حصل فى تاريخ الغزوات والحروب القديمة . فقد كان المنتصر يملى على الشعب المهزوم ثقافته ودينه . **أما الإستغناء عن الدين تماما ، فلم يحصل فى تاريخ الشعوب** . فالديانات الأساسية الكبرى : الهندوسية ، الإسلامية ، المسيحية ، البوذية ، واليهودية ما زالت مستمرة مزدهرة ، ولم تتأثر بالتقدم التكنولوجى العلمى الهائل ولا بالتقدم الإقتصادى الكبير . ولم تستطع الحكومات والدول أن تلغى الأديان بطريقة كاملة ، **فظلت الأديان تشهد على استقلاليتها وعلى روسوخها فى وعى الإنسان** . "

ثم نأتى إلى .. الوعى الفطرى بوجود الله [١٤] .. **وهو** إدراك آخر يصل إلى مرتبة القانون الطبيعى فى النفس البشرية (وله نفس المفهوم الإحصائى السابق ذكره فى تذييل رقم ٩ السابق) .. فهو إدراك يصل إلى مرتبة الغرائز أو الفطرة .. ولكن ليس له عضو مباشر . ويمكن إشباع هذا الإدراك بعبادة أو بعقيدة وثنية أو بدائية (هذا إذا ما تم إبعاد العقل) .. كما يمكن إشباع هذا الإدراك بالعبادة الحقة أو بالعقيدة الصحيحة . وكما يشبع المرء الطعام الجيد ، يشبعه أيضا الطعام الفاسد ولكنه يقضى عليه . كذلك تشبع الديانة الفاسدة الإنسان ولكنها تقضى عليه فى النهاية ..!!!

ويذهب ــ الإنسان ــ ذلك الحائر **يَجِدُ حماسة** .. فى البحث عن هذا " **الإله** " ، أى عن " الله " (ﷻ) وعن صفاته وعن ماهيته ، وهو الذى يدرك وجودة بحاسة لا تخطىء . ولكن " الله " لم يؤهل الإنسان بهذه المعرفة فطريا ، والتى تقوده مباشرة للوصول إلى ماهيته ، سبحانه وتعالى . فليس للإنسان من معرفة مستقلة عما أراده الله (ﷻ) وأحاطه بها علما ..!!! ويزود المولى (ﷻ) الإنسان بالعقل الكافى والعلم الدال ، حتى يصبح الإهتداء إليه هو الجانب الإختبارى لهذا الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ..!!! ويصبح الإهتداء إلى " الدين الحق المطلق " والذى يؤدى إلى معرفة الله (ﷻ) ، هو غاية غايات الوجود ..

وفى هذا الفصل ، ليس ما يعنينا هو تتبع التنوع الغفير فى شكل المعبود أو الآلهة التى تأتى بها الديانات المختلفة ــ وإن كنا سنتعرض لها فى الفصل التالى ــ **ولكن ما يعنينا ــ فى هذا الفصل ــ هو تتبع رحلة البحث نفسها** والتى تقف خلفها الدوافع الفطرية والكامنة فى داخل

---

[١٤] عادة ما يطلق على " **الوعى الفطرى بوجود الله** " إسم " **الحس الدينى** " ، وهى " **تسمية خاطئة** " تسبب خلط شديد بين مفهوم " **الدين** " وبين مفهوم " **وجود الله** " . وهذا الخلط بين المفهومين هو المسئول المسؤلية المباشرة عن ظاهرة " **تعدد الأديان** " . فيجب التنبه إلى أن : " **العلاقة بين الدين والإنسان هى علاقة عقلية** ، **بينما العلاقة بين الله الإنسان هى علاقة عاطفية** " . كما سبق وأن بينا هذا ، وكما نؤكد على هذا دائما .

النفس البشرية والتى تدفع الإنسان نحو الإعتقاد والعبادة .. حتى فى أصنـــــام باديـــة العيـــان للإنسان ..!!!

٣. فلسفة ما قبل الفلسفة ... أو ... الأساطير ...

وتبدأ رحلة الإنسان فى البحث عن " الله " (ﷻ) ، منذ بداية تأهيله بالعقل الكاف ، ومنـذ بداية إدراكه للعالم المحيط به ، وإمكانه التعبير عن نفسه ، **حيث تقول موسوعة أديان العالم :**

" لقد أصبح من الواضح أنه لا توجد جماعة بشرية ــ مهما تكن بدائيـــة ــ لا يوجـد لديها أفكار عن موجودات أو كيانات تعلو على الطبيعة ؛ ولذلك فنحن على حق إذا إفترضنـــا أن الشعوب التى عاشت على الصيد وجمع الطعام فى أسيا ، فى عصور ما قبل التاريخ أيضـا ، كان لديها قدرة عقلية مكنتها من تصور أفكار يمكن وصفها بأنها أفكار دينية " .

وهكذا فإن نشأة الفكر الدينى لدى الإنسان مرتبط بنشأة العقل لديه . ونشأة العقل هى نشـــأة تطورية بحته (أنظر الفصل الخامس) . فالدين ــ فى واقع الأمر ــ ظهر لدى الإنسان مـــع بداية تطوره وإدراكه بأنه كائن يمكنه التعبير عن نفسه ، وهو ما يعنى أن الدين هو جزئية مـــن طبيعة وفطرة الإنسان . وبكل أسف فإن الإنسان مازال لا يفهم معنى " **الفطرة** " حتـــى الان ، وحتى على الرغم من قيامه بتعريفها ؛ **بأنها الشعور الطبيعى بالمعرفة ، أو هى الفعل التلقـائى الذى يأتى به الإنسان بشكل مستقل عن العقل والتبرير .**

وربما يرجع عدم الفهم هذا ؛ إلى أن الإنسان لا يحاول التساؤل عن : من وراء هذه الفطـــرة ..؟! هل هى الطبيعة ..؟! أم هو فعل إلهى قاصد لغايات بعينها ..؟! فهل هى الطبيعة التـى قامت بغرس الفطرة بإدراك وجود إله خالق فى النفس البشرية ..؟! وهل هى الطبيعة التـــى قامت بغرس التلقائية فى الإنسان إلى الحاجة إلى التدين والعبادة ..؟! إن الإنسان غالبا مـــا يتجنب التفكير فى من قام بتأهيله بمثل هذه المعارف التلقائية أو المعارف الطبيعية ، لأن هذا سوف يقوده مباشرة إلى وجود الخالق من جانب ، كما سوف يقوده إلى سؤال آخـــر هـــو : ولماذا هذه الفطرة أو هذه المعارف التلقائية ؟! وبديهى الإجابة على هذه الأســـئلة ســـوف تقود الإنسان مرة أخرى ، وبشكل مباشر إلى وجود غايات من خلقه ..!!!

وعموما فإن ما يعنينا ــ الآن ــ هو وجود هذه الفطرة الدينية فحسب ، وربما كان خير دليل على وجود هذه الفطرة هو ظهور الأسطورة على مسرح الحضارات الأولى للإنسان . والأسطورة من وجهة نظر أكثر النظريات دوما فى تفسير " **الميثولوجيا : Mythology** " [١٥] ، هى ذات وظيفة تعليلية ، أى **أن الأسطورة تعتبر لونا من العلم البدائى الذى يفسر الأصول السببية لأحداث الطبيعة ونظم البشر .**

ثم نجد من يضيف ؛ بأنه على الرغم من أن الميثولوجيا تحوى عناصر تعليلية ، إلا أن ذلك لا يعنى أن هذا هو التفسير الشامل الذى يمكن أن يستوعب هذه الظاهرة . فقد رأت نظريات أخرى أن الأساطير تعبر كذلك بطريقة رمزية عن الحقائق الخاصة بفكر الإنسان وحياته . **كما وأن التفسيرات السيكلوجية التى قدمها علم النفس قد لفتت الأنظار إلى التوازى القائم بين الأساطير والأحلام ، ورأت فيها إسقاطات وتجسيدات للرغبات والصراعات الداخلية فى الإنسان .**

ومن جانب آخر ؛ ترى بعض الفلسفات ، ومنها " **الفلسفة الوجودية** " أن الأسطورة ما هى إلا المحاولات الأولى التى بذلها الإنسان فى محاولة العثور على " **هوية : Identity** " له . فمشكلة الإنسان ــ من وجهة نظر هذه الفلسفة ــ هى عثور الإنسان على هويته الشخصية . فالإنسان فى حركة دائمة للبحث عن ماهيته وكنهه . كما ترى هذه الفلسفة ؛ أن حصول الإنسان على فهم لذاته هى مشكلة كامنة فى صميم وجدان الإنسان ، وأن محاولة الإنسان لفهم هذه الذات ، ربما كانت ، أكثر أساسية من التساؤل عن أصل الأشياء وكيف بدأت . وما تزال " **الفلسفة الوجودية** " تبحث عن هذه الهوية حتى الآن ، ولكن بلا جدوى ..!!!

ولم يوفق الجميع إلى فهم معنى الأسطورة ودوافعها بشكل دقيق وواع . فالحقيقة ، أن الفطرة البشرية تحوى العديد من المعرفة الغير **مُعَرّفة** [١٦] والتى تعتبر بمثابة النتائج التى لا تجد لها أصولا تستند إلى وجودها . فالفطرة لدى الإنسان تحوى العديد من المعارف المتنوعة ، والتى لا يجد الإنسان لها ــ بمعزل عن الدين ــ مبررا ما فى وجودها .. مثل : معرفة أو إدراك أن لهذا الوجود " **إله خالق** " بما فى ذلك الإنسان ذاته ، وإدراك الإنسان ببعثه بعد الموت ، ووجود الفطرة الأخلاقية لديه ، ومقدرة الإنسان على التمييز بين الخير والشر ، وإدراك أن صالح الأعمال تؤدى أو تقود الإنسان إلى الخلاص (أى السعادة والنعيم المرجو) ، .. وهكذا .. كم

---

[١٥] **الميثولوجيا :** هو علم دراسة الأساطير .

[١٦] *أنظر : نظرية الإحتواء ــ وقصة الوجود الإنسانى ، فى الفصل التالى .*

من المعارف الفطرية الغير مبررة .. **من أين جاءت هذه المعارف ..؟! وكيف جاءت ..؟! ولماذا جاءت ..؟!**

ويذهب الإنسان يجد فى البحث عن هذه الأسئلة .. **من أين ؟! وكيف ؟! ولماذا ؟!** ويفشل الإنسان ، حتى الآن ، فى الإجابة على مثل هذه الأسئلة بمعزل عن الدين ..!!! ويذهب الإنسان الحضارى الأول يتحرى البحث عن إجابات لهذه الأسئلة ، فلا يجد لديه إلا الخيال المتمثل فى الفكر الاسطورى ، ربما ليرضى نزعته البحثية وحب استطلاعه من جانب ، وحتى يستطيع التعايش بسلام مع نفسه ومع هذا الوجود المبهم لديه من جانب آخر ..!!! ويعتمد إنسان الحضارات الأولى على الخرافة ، لعدم نضوجه العلمى فى ذلك الوقت . وهكذا أخذ إنسان الحضارات الأولى يفسر ما يشاء بإرادات إلهية .. ويسقط ما يريد من فطرته وسلوكه على من يشاء من الآلهة .. وهكذا تشكلت الأسطورة ..!!!

ودعنا نقترب من الأسطورة بدرجة كافية ...

تقول الأسطورة المصرية القديمة " **هليوبوليس** " : بأن الإله " **أتوم : Atum** [١٧] " قد خرج من عماء المياه ، الذى يسمى " **نون : Nun** " ، حيث ظهر أول ما ظهر فوق " **تل** " موغل فى القدم (هو أول ما ظهر من اليابسة على سطح الماء) . وقد أنجب " **أتوم** " – بغير زواج – كل من : **الإله " شو : Shu "** (الهواء) ، والإلهة " **تفنت : Tefnet** " (الرطوبة) . حيث أنجب الأخيران إله الأرض " **جب : Geb** " ، وإلهة السماء " **نوت : Nut** " . ثم أنجب " **جب** " ، و " **نوت** " **الآلهة : أوزيريس ، وست ، وإيزيس ، ونفتيس** . وكانوا هؤلاء التسعة هم الآلهة العظام لدى المصريين الذين حكموا الأرض ، وقد سماهم المصريين " **التاسوع العظيم لهليوبوليس** " .

ويتزوج " **أوزيريس** " من أخته " **إيزيس** " ، وينجبا الإله " **حورس : Horus** " . ويتآمر " **ست** " ، فيما بعد ، على أخوه " **أوزيريس** " ثم يقتله . فتخفى " **إيزيس** " إبنها **حورس** خوفا من " **ست** " ، ثم تعيد الحياة إلى " **أوزيريس** " الذى يصبح " **إله الموت** " ، عند كل المصريين فيما بعد ، كما يرأس القضاة الإثنين والأربعين الذين سوف يتولون حساب المرء على أعماله عقب

---

[١٧] الحروف الأصلية لكلمة " **أتوم** " تعنى الإله الذى " **أتم نفسه بنفسه** " ، اى أنه خلق نفسه أولا ثم خلق العالم من بعد ذلك .

موته وانتقاله إلى العالم الآخر . وقد استطاع " **حورس** " [18] ــ فى ما بعد ــ بأن يستأثر بسلطة كل هؤلاء الآلهة ، ويصبح " **إله السماء** " ، عند قدماء المصريين .

وكما نرى فإن الأسطورة ؛ **هى قصة تحوى فى واقعها العديد من المعرفة الفطرية أو المعارف الكامنه فى داخل النفس البشرية ، والتى لا يجد الإنسان لديه تبريرا لوجودها . فإذا ما أمعنا النظر فى ما ورد فى الأسطورة المصرية القديمة ، نجد أنها تشمل إعتقاد الإنسان فى الأفكار الأساسية التالية :**

(١) وجود الآله الواحد الخالق .. " **آتوم** " ، ولما لم يستوعب الإنسان قيام هذا الإله بالوظائف المختلفة ، تعددت لديه الآلهة حتى يسهل عليه توزيع الأدوار والمهام [19] عليها . (٢) وجود الصراع بين الخير والشر (متمثلا فى قتل " **ست** " لأخيه " **أوزيريس** ") وهى خاصية لم يقصرها الإنسان على نفسه ، بل مدها لتشمل الآلهة كذلك . **وهكذا يسقط الإنسان إدراكاته وصفاته على الآلهة وسلوكها** . (٣) بعث الإنسان بعد موته ، وتمثل هذا فى قيام " **أوزيريس** " برئاسة لجنة حساب الإنسان . (٤) وجود حساب للإنسان بعد الموت بما قدمت يداه ، إن خيرا .. فخير ، وإن شرا .. فشر . (٥) وبديهى يلزم وجود الفطرة الأخلاقية ، كناتج طبيعى من وجود الحساب بعد الموت ، وتمييز الإنسان بين الخير والشر (٦) وبديهى ، تدخل فطرة العبادة (أو الرغبة نحو السعى إلى العبادة) فى شكل إرضاء الآلهة ، بوصفها من تملك حاضر الإنسان ومصيره . ويأخذ هذا الإرضاء ــ إلى جانب صور العبادة المختلفة ــ تقديم القرابين .

وربما كانت هذه .. هى أهم الإتجاهات الفكرية التى تدور حولها معنى الأسطورة المصرية القديمة . فالأسطورة ــ كما نرى ــ تعطى تصور أو تخيل ما .. فيما يمكن أن تكون عليه قصة وجود الإنسان ومصيره من واقع المعرفة الفطرية المترسخة فى داخل النفس البشرية . **وهكذا لم يتجاوز راوى الأسطورة القديم ، عن " عالم الآثار " الذى عثر على مخطوط قديم (معرفته الفطرية) لأحداث قصة ما .. مُحِيت بعض نصوصها بفعل أحداث**

---

[18] هو " **إله السماء** " عند قدماء المصريين ، ***وقد صوروه على هيئة آدمى له رأس صقر*** . وشيد له معبد ضخم فى **مدينة إدفو** ، بدىء فى تشييده فى عهد البطالسة (أو البطالمة) .

[19] وهو فكر مشابه إلى حد كبير لمنظور أدوار الإله فى الفكر المسيحى (الاب ، والإبن ، والروح القدس) . ويشمل هذا أيضا ؛ فكر فئة " **شهود يهوه** " ــ إحدى الفئات المسيحية ــ عن دور السيد **المسيح** (ﷺ) ، بأنه ذلك الملاك المعاون للإله أو المساهم معه فى أداء مهامه . حيث وكل إليه الإله ؛ النزول إلى الأرض للصلب . كما سوف يوكل إليه قيادة قوات الإله فى نهاية الزمان ، فى حربه المتوقعة مع الشيطان . أنظر الفصل التالى ، اليهودية والمسيحية ، وللتفاصيل أنظر : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس المؤلف .

الزمن والعوامل الطبيعية ، فأخذ يحاول ــ هذا العالم ــ استنتاج وكتابة الجمل الممحية أو الناقصة من واقع الباقى الذى أمكنه قراءته وفهمه (ملاحظته للوجود) . وبديهى سوف تتوقف كتابة الجمل الممحية على نضوج هذا العالم الفكرى وقدرته على استيعاب تصوره للقصة الغير مكتملة .

وربما كان هذا الفكر الأسطورى يمثل ــ بالفعل ــ الغايات من خلق ووجود الإنسان ..!!! فحركة الإنسان ــ فى هذه الحياة ــ يمكن أن تختصر إلى قدرته على ملء الفراغات المتروكة له فى قصة وسيناريو أحداث وجوده والغايات من خلقه . وهى القصة التى تركت بعض أجزائها غير مكتملة ــ عن قصد ــ بهدف إختبار قدرات الإنسان العقلية على استكمال باقى أجزاء هذه القصة واستيعاب معناها ، وهو ما يعنى ــ فى ما يعنى ــ تحقيق الغايات من خلقه . وهكذا تصبح القصة الغير مكتملة بمثابة " الفطرة " ، و " الإخبار " (أى الدين) هى الإكمال ، ويصبح التحقيق العلمى للقصة هو " الإختبار " المعنى للإنسان .

وبدوافع فطرية مشابهة ؛ نأتى إلى **الحضارة الإغريقية القديمة** ، وهى الحضارة التى تعتبر الحضارة الغربية الإمتداد الطبيعى لها . حيث تمثل قصائد الشاعر اليونانى القديم **هوميروس** [٢٠] **فى ملحمتيه " الإلياذة والأوديسة " أولى** محاولات الإنسان الذاتية فى تحسس الطريق إلى معرفة الله .. عز وجل . وهى القصائد التى يطلق عليها الباحثون إسم " **إنجيل الإغريق** " . ويبدأ " **هوميروس** " بما يعرف من واقع الخبرة المحيطة به ، فلا يرى ، إلا كما رأى **وليم جيمس** ، أن هذا التضارب فى الفعل الأرضى ما هو إلا الناتج الطبيعى من تعدد الالهة . ولهذا نرى الصورة التى رسمها " **هوميروس** " للآلهة اليونانية القديمة فى " **الإلياذة** " ، بأنهم ذوى طبيعة بشرية محدودة ومتردية ، وهى إن لم تكن كذلك فقد كانت مسئولة عن تثبيت وتدعيم صور الآلهة الشبيهة بالبشر فى أذهان الناس .

---

[٢٠] **هوميروس : Homer : شاعر يونانى قديم عاش فى بعض المدن الأيونية (على شاطىء بحر إيجة) فى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد ، أى بعد نزول التوراة (الخمسة أسفار الأولى من الكتاب المقدس) على موسى** ــ عليه السلام ــ بحوالى سبعة قرون . ولا يعرف عن حياة " **هوميروس** " شيئا غير بعض اللمحات المستفادة من شعره . وتنسب إليه **ملحمتا** " **الإلياذة : Iliad** " و " **الأوديسة : Odessey** " ، وهما من أعظم ملاحم الإغريق ، ولكن هذا النسب مشكوك فيه أيضا . وقد كان لهاتين الملحمتين الزاخرتين بتصوير المآثر البطولية الخارقة والعواطف البشرية البسيطة أثر عميق فى الأدب الغربى ؛ بدليل أنهما نقلتا إلى العديد من اللغات الأوربية الحديثة مرات لا تحصى .

ففى الشعر الذى ينسب عادة إلى **هوميروس يظهر مجمع الآلهة فى جبال الأولمب** أشبه بالمجتمع البشرى . فـ " **زيوس** " [٢١] (**كبير الآلهة**) كانت أمه " **ريا** " وأبوه " **كرونوس** " . حيث تقول الأسطورة أن **كرونوس** أنجب من **ريا** ــ قبل ولادة **زيوس** ــ كلا من : **هستيا** ، **وديمتر** ، **وحيرا** ، **وحادس** ، **وبوسيدون** ، وأنه ابتلع كلا من هؤلاء عقب ولادتهم بعد أن وقع فى وهمه ، إثر تحذير جاءه ، بأن أحد أولاده سوف يخرج على طاعته ويخلعه . فما كان من **ريا** إلا أن أخفت وليدها الجديد ــ **زيوس** ــ فى كهف بجزيرة كريت وقدمت إلى **كرونوس** بدلا منه قماطا يشتمل على حصاة ليبتلعه . وهكذا نجا **زيوس** من الهلاك ونشأ فى كهفه ذاك بعد أن عنيت بتربيته بعض الحوريات . وبعد أن بلغ أشده **أكره أباه على تقيؤ أولاده ولفظهم من جوفه** ، وأعلن الحرب **على أباه وهزمه** . وبعد أن انتصر **زيوس على أبيه كرونوس** أصبح هو كبير الآلهة وأبا لهم فى نفس الوقت ، كما أصبح أبا للبشر أيضا . ثم تزوج من أخته " **هيرا** " ، ثم راح يوزع ملكوت العالم على أخوته (وهو ما يعنى إسقاط السلوك الإنسانى على سلوك الآلهة) . فـ " **هيرا** " أخته قد نصبها " **زيوس** " حارسة الزواج بوصفها **زوجته** . وأصبحت **هيرا** فيما بعد لا هم لها إلا ملاحقة محبوبات زوجها والإنتقام منهن نظرا لغيرتها الشديدة .

وفى ملحمة " **الأوديسة** " نجد الإلهة " **أثينا** " تتغزل فى البطل اليونانى " **أديسوس** " فتقول له : " إنك تفوق البشر والآلهة مكرا ودهاء وكلانا يتقن الكذب الذى ينفع ولا يضر ، فأنت بين البشر أرجحهم عقلا وأوضحهم لسانا وأنا بين الآلهة أكثرهم وأخصبهم خيالا " .

وعلى الرغم من وجود الوحدة الفكرية المشتركة فى خلفية الأسطورة فى الحالتين ، إلا أننا نجد أن الأسطورة المصرية القديمة قد غلفت سلوك الهتها بنوع من الوقار والقدسية ، بينما نجد الأسطورة الإغريقية تسقط على آلهتها أفعال متردية مما يجعلها غير جديرة بالتقديس . فالسطو والخطف والإغتصاب والخيانة هى من الأمور اللصيقة بها ، **وهو الأمر الذى كان له إنعكاس** واضح **على الضمير الأنثروبولوجى** [٢٢] **لدى الغرب** . فنجد ــ مثلا ــ أن كبير الآلهة "

---

[٢١] **زيوس (Zeus) : هو كبير الآلهة فى الميثولوجيا (علم الأساطير) اليونانية القديمة ، ويقابله جوبيتر فى الميثولوجيا الرومانية . وكبير الآلهة فى الفكر الميثولوجى (أى الإسطورى) ليس هو " المحدث الأول أو الخالق الذى لا محدث قبله " ، بل هو الآخر مولود شأنه فى هذا شأن المخلوقات الأخرى ، كما نلاحظ هذا فى** الفكر الأسطورى عن مجيء **زيوس** إلى الوجود . وهكذا لم يستطع الإنسان تخيل كبير الإلهة ــ حتى فى الفكر الأسطورى ــ بأنه هو الإله الأول الموجد لنفسه ، والموجد للآخرين والذى لا موجد آخر سواه . ولهذا جاء كبير الالهة هو الآخر إلى الوجود بالميلاد .

[٢٢] **الأنثروبولوجى (Anthropology)** ؛ أو علم الإنسان : هو العلم الذى يبحث فى أصل الجنس البشرى وتطوره واعراقه وعاداته ومعتقداته .

زيوس بعد أن يتزوج من أخته " **هيرا : Hera** " ملكة السماء والإلهة الزواج [٢٣] ، يرى **أوروبا** [٢٤] إبنة الملك " **اجينور : Aginore** " الفينيقى فيهيم بها حبا . ولكى يفوز بها تقمص فى شكل " **ثور** " وديع ، وراح يقفز حولها وهى تمشى على الساحل حتى أغراها بالركوب فوق ظهره ، وعندئذ قفز بحبيبته فى الماء حاملا اياها إلى جزيرة " **كريت** " ، حيث قام باغتصابها ، وأنجب منها ثلاثة ذكور منهم : " **مينوس : Menos** " ملك تلك الجزيرة ، **وبلوتو** (إله العالم السفلى) ، الذى يخطف هو الاخر الإلهة **كورى** ويقوم باغتصابها فى مملكته تحت الأرض .

وهكذا يترسخ فى تصور اليونانيون القدماء أن هناك تزاوجا ومعاشرة بين بعض الالهة بما فيهم **زيوس (كبير الآلهة)** وبين بعض البشر ، فالتداخل بين البشر والالهة لديهم كبير جدا إلى الحد الذى تجد فيه البشر والالهة يكادون أن يقتربوا من التساوى بل وترجح كفة البشر [٢٥] عن الالهة أحيانا فى بعض الصفات (ليست القدرة والقوة منها) . وهكذا تصبح الأسطورة خليط من الخرافة يمتزج بخيال وانفعالات وسلوك الإنسان ، فى محاولة منه لفهم طبيعة وماهية خلقه وخالقه .

أما عن قصة " **خلق الإنسان** " ذاته ، فتقول الأسطورة الإغريقية : أن **التيتانز** (او **التيتانات** ومفردها ، **تيتان : Titan** [٢٦]) كانت تحكم الأرض ، قبل الهة جبل الأولمب ، فأخذتهم الغيرة عندما أراد " **زيوس : Zeus** " أن يجعل من ابنه " **ديونيسوس : Dionysus** " (من زوجته **بيرسيفون : Persephone**) أن يحكم الكون ، لهذا قاموا بقتله وتقطيع أوصاله والتهامه ، ولكن " **آثينا : Athena** " (إلهة الحكمة) استطاعت أن تنقذ قلب **ديونيسوس** من بين أيدى **التيتانز** ، وأحضرته إلى " **زيوس** " الذى بلعه وأنجب **ديونيسوس** جديد . وقام **زيوس** بعقاب **التيتانز** بأن أرسل عليهم صواعق فأحرقتهم وحولتهم إلى رماد . ومن خلال هذا الرماد قام **زيوس** بخلق الجنس البشرى منه . وكنتيجة لهذا أصبح الإنسان ذو طبيعتين ، أو ذو

---

[٢٣] من الثابت أن عبادة **هيرا : Hera** " قد انتشرت على طول بلاد اليونان وعرضها ، وأنها لعبت دورا بارزا فى الأدب الإغريقى ؛ حيث تظهر ــ اكثر ما تظهر به ــ بوصفها **زوجة زيوس الغيور** ، التى لا هم لها الا ملاحقة محبوبات زوجها والإنتقام منهن . ويقابل الإلهة " **هيرا** " عند اليونان الإلهة **جونو** عند الرومان .

[٢٤] إسم **قارة أوربا** " مأخوذ عنها .

[٢٥] راجع كتاب **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** لرؤية هذا المفهوم فى الديانة اليهودية/المسيحية ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٢٦] **التيتانز (Titans)** هم أولاد **اورانوس : Uranus** (السماء) ، و **جيا : Gaea** (الأرض) ، واشهر شخصياتهم : **أطلس : Atlas** و **بروميثيوس : Prometheus** . انظر كذلك : **الديانة الأورفيوسية** فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

طبيعة مزدوجة . الجسم الأرضى كميراث من مادة **التيتانز** الأشرار ، والروح التى جاءت من **ديونيسوس** (الإله) التى إختلطت **بالتيتانز** كنتيجة لإلتهامهم له .

وهكذا ؛ تصبح الأسطورة هى المحاولة الأولى التى استحدثها خيال الإنسان لتبرير وجوده وخلقه ، وهى محاولة ــ أيضا ــ لفهم طبيعة وماهية الخالق ..!!! وبديهى لم يجد الإنسان لديه إلا " **صور الإنسان بكامل انفعالاته وسلوكه** " ــ أى لم يجد لديه إلا الخبرة المعتادة ــ فخلعها على " **صورة الإله** " ، وعبد الإنسان نفسه .. بدون أن يدرى ..!!! وهكذا يتجلى قصور الفكر البشرى عند التعرض لمعرفة لم يؤهل بها عقليا من قبل (أى بالفطرة) .. لتخوج كل محاولاته عن إسقاطات نفسية لماهيته هو ، فى صورة عبث خيالى لا قيمة له ولا حكمة فيه ..!!! ثم تتقدم الحضارة خطوة أخرى لنأتى إلى ..

٤ . الفلسفة ....

بديهى بعد هذا العرض السابق للأساطير اليونانية القديمة لا يتجه عقول الفلاسفة اليونانيين القدماء إلى الإنصات إلى هذه الأساطير المتردية عن الآلهة . **وهكذا يمتد جذور <u>التناقض بين الدين والعقلانية الحديثة</u> إلى الحضارة الإغريقية القديمة** ؛ وهى الحضارة التى تعتبر الحضارة الغربية الإمتداد الطبيعى لها . فلم يكن بالديانة الإغريقية المستمدة من الأساطير الإغريقية القديمة ما يغرى الفلاسفة إلى الإنصات أو التوجه إليها .

وهنا يبزغ الفكر الفلسفى ، عندما هاجم الفيلسوف اليونانى " **إكسينوفون : Xenophone** " (٥٧٠ – ٤٨٠ ق. م.) النزعات التشبيهية للالهة ، فنجده يقول [٢٧] : " إن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة ، وأضافوا إليها عواطفهم ، وصورتهم وهيئتهم ، فالأحباش يقولون عن آلهتهم إنهم سود فطس الإنوف . ويقول أهل **تراقيا** إن آلهتهم زرق العيون حمر الشعور ، ولو استطلعت رأى الثيران والخيول لصورت الآلهة على مثالها .. **إلا أنه : " لا يوجد غير إله واحد أرفع الموجودات السماوية والأرضية ، ليس مركبا على هيئتنا ولا يفكر مثل تفكيرنا "** .

وهكذا يهتدى **إكسينوفون** إلى الفطرة البشرية حول مفهوم وجود الله (ﷻ) وترفعه عن الصفات البشرية .. كما جاء فى قوله تعالى ..

---

[٢٧] لرؤية المناهج الفلسفية كاملة ... انظر " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس المؤلف .

﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾

(القران المجيد : الشورى {٤٢} : ١١ - ١٢)

[**له مقاليد** : مفاتيح علم كل شيء وخزائنه / **يقدر** : يضيقه على من يشاء بحكمته]

ولم يقدم لنا الفلاسفة الأوائل أكثر مما قدمه **إكسينوفون** ، أى الفطرة بإدراك وجود " الله " (ﷻ) فحسب ، تماما كما لم تقدم لنا الأساطير بأنواعها ، مصرية كانت ، أو إغريقية قديمة ، أو أى نوع آخر منها ؛ أى عون حقيقى للإنسان فى معرفة ما .. يمكن أن يعول عليها الإنسان فى تعريف " الله " على نحو معقول من الدقة ، كما يفهم منه ــ أى من هذا التعريف ــ الغايات التى خلق من أجلها هذا العالم .

وتأتى الفلسفات وحتى الفلسفات المعاصرة لتتساءل : **هل للحياة معنى ؟!** وتجيب الفلسفة فتقول : إذا كانت الإجابة بالإثبات ، فسوف يقودنا هذا إلى سؤال آخر هو : **أين يتمثل هذا المعنى ؟!** وهنا ترد الفلسفة : **بأنه يجب علينا أن نجيب على هذا السؤال بدون أن ننزلق فى المستنقع " الأصولى الدينى " ، أو فى التصورات الدينية التى تجاوزتها الأفكار الحديثة بكثير** ..!!! وهكذا تصمْ أو تتهم الفلسفة الفكر الدينى على نحو عام بأنه فكر قاصر لا ينبغى الإلتفات إليه ، وأن الفكر الحديث قد تجاوزه بكثير ..!!!

وفى الواقع ؛ يعكس هذا الرأى عدم فهم الفلسفة للتصورات الدينية الحقيقية ، وهو فكر مستنتج من واقع الفكر الدينى للديانتين اليهودية والمسيحية ، أو أى ديانات وثنية أخرى غير الديانة الإسلامية كما سبق وأن بينت هذا فى الكتاب السابق ، وفى هذا الكتاب أيضا [٢٨] ، وانسحب هذا الحكم بدون تروى أو دراسة على الديانة الإسلامية ..!!!

وبديهى ؛ تفشل الفلسفة فى الوصول إلى معنى للحياة .. كما تفشل الفلسفة فى الوصول إلى معنى للغايات من الخلق .. بمعزل عن الفكر الدينى الصحيح ..!!! **وتسلم الفلسفة بهذا الفشل لهذا تنتهى إلى القول : إذا كانت الحياة غير ذات معنى .. فكيف نتواءم ــ نحن بنى**

---

[٢٨] أنظر الفصل الخامس من هذا الكتاب ؛ أديان العالم .

البشر ــ مع العبث الناتج عن عدم وجود الغايات من الخلق ..؟!! وهنا ينتهى ذلك " الفيلسوف اليائس الحزين " إلى القول : بأن على الإنسان أن يتعلم : كيف يعيش .. وكيف يموت .. وكيف يتمتع .. وكيف يتألم أيضا ..!!!

وهكذا تفشل الفلسفة فشلا ذريعا .. فى كل شىء .. فى تحديد هوية الإنسان .. وفى معرفة وجود معنى للحياة .. وفى معرفة وجود غايات من الخلق .. وفى معرفة وجود الخالق ..!!! ثم تنتهى الفلسفة إلى " **تغريب : Alienation** " الإنسان على نحو كلى فى هذا الوجود . ولهذا كان **هيجل** [٢٩] يرى أن " **الإغتراب** " إنما يوجد فى صميم بنية الحياة الكلية ذاتها . كما ترى الوجودية أن **الإنسان مغترب عن ذاته** ، وهو مغترب أيضا عن الكون ، حتى أن المرء يحس بأنه لا يوجد فى داخل بيته فى هذا العالم .

وهكذا ؛ يتنكر الفيلسوف للدين وللفطرة الدينية ، ويظل يبحث بدون هدى .. عن معنى لوجوده .. فى كل مكان .. وفى كل ركن من أركان هذا الوجود .. ولكنه لا يقترب من الإسلام .. بل ويظل يشعر بالذعر منه ..!!! ويخسر ــ فيما يخسر ــ وجوده .. ويخسر ــ فيما يخسر ــ مصيره .. لأنه لن يحقق الغايات من خلقه ..!!!

وبديهى ؛ تتلاشى الفلسفات فى تلك اللحظات الأخيرة لوجود الفيلسوف فى هذه الحياة .. عندما يواجه الموت .. فتتخلى عنه الفلسفة فى هذه اللحظات .. لحظات الفزع الأخير ..!!! وتمر أحداث حياته فى لحظات أمام عينيه كشريط سينمائى معاد بسرعة هائلة ، ليدرك الفيلسوف ــ فيما يدرك ــ أنه قد أضاع الحياة فى ما لا يفيد ، ولا ينفع .. ولا حكمة فيه .. سفسطة كلامية لم يتجاوز معناها .. المعانى الخاوية .. كما لم يتجاوز بعدها .. بعد قدم الفيلسوف عن ذاته ..!!! **وفى محاولة يائسة أملا فى النجاة** ، يتمسك المرء بأى شىء ..!!! فلا يجد لديه إلا **الوثن القديم** .. فيعود إليه ..!!! أملا فى النجاة .. ولكن أى نجاة هذه ..!!!

ويأتى الموت الحقيقى لسارتر .. مؤسس الفلسفة الوجودية .. ويفزع ذلك الفيلسوف التائه الضال كأمثاله ..!!! ويطلب **سارتر** قبل موته من رفيقة حياته " **سيمون دى بوفوار** " أن تأتى له **بقس** ..!!! وتبدى ــ **سيمون دى بوفوار** ــ دهشتها الشديدة وإستنكارها لما يطلبه

---

[٢٩] **هيجل : Hegel, George Wilhelm Friedrich** (١٧٧٠ - ١٨٣١) ، أبرز ممثلى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية . نظر إلى العالم الطبيعى والتاريخى والروحى على أنهم عملية واحدة وفى حركة دائمة ، وقام بمحاولة الكشف عن العلاقة الداخلية لهذه الحركة . ويصور هيجل التاريخ العالمى على أنه تقدم فى معرفة الحرية . وهيجل هو صاحب " **المنطق الجدلى الهيجلى** " .

ذلك الفيلسوف المسكين ، ثم تقول له : سات لك بكاردينال ، فيرد عليها بقوله : لا .. لا أريد كاردينالا .. إنه غشاش للإله ، إنما أريد قسا متواضعا ، من قرية متواضعة مغمورة ، وجاءت له بالقس ..!!! واعترف له سارتر بهزيمته [30] أمام الموت ... أملا في النجاة ..!!! ولكن أى نجاة هذه .. فى ذهابه إلى الخروف [31] ..!!! حيث يصف حالهم المولى عز وجل فى محكم تنزيله بقوله تعالى :

﴿ ... وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩٣ - ٩٤)

ويتجاوز تفسير هذه الآيات إلى ما وراء الإعجاز العلمى ، والرؤية القاصرة للبشرية العاجزة (كما سبق وأن رأينا هذا ، فى الفصل الأول من هذا الكتاب) . وتترى الأيات العلمية والفيزيائية بعد هذه الآيات العميقة المعانى ، فى هذه السورة (سورة الأنعام) ، لينهى الله (ﷻ) ، بنفيه للبنوة التى تدعيها المسيحية عليه ، ثم بوصفه لنفسه ببعض كمالاته الإلهية التى لا نستطيع أن نحصيها عليه ــ سبحانه وتعالى هو محصيها ــ كما يصف كتابه العزيز بالبصائر ، وهى الرؤية المستيقنة التى لا يبقى معها أى شك أو ريبة ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠١ - ١٠٤)

---

[30] د. رشدى فكار (المفكر الإسلامى) فى : حوار متصل حول مشاكل العصر ، خميس البكرى ، مكتبة وهبة . ص : ٦١ .

[31] الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان ، لنفس مؤلف هذا الكتاب .

وهذا هو حال من لم يدرك هذا ..

﴿ ... وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) ﴾

(القران المجيد : النحل {١٦} : ٣٣)

والغريب أن يكون موقف **سارتر** هذا ، قريب الشبه جدا من موقف **فولتير** [٣٢] إزاء الموت . فقد طلب **فولتير** ــ بعد أن تدهورت صحته بشكل واضح ــ **قسّا ليسمع إعترافه** قبل موته ، ولكن **القس رفض تقديم الغفران له** ما لم يوقع على إعترافا بإيمانه بالمذهب الكاثوليكى إيمانا راسخا . ولكن **فولتير** ثارت ثورته لهذا الطلب ، وكتب بدلا من ذلك بيانا قدمه إلى سكرتيره (**واجنر**) ذكر فيه :

" إننى أموت على عبادة الله ، ومحبة أصدقائى ، وكراهية أعدائى ، **ومقتى للخرافات والأساطير الدخيلة على الدين** " . ووقع على هذا البيان فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٧٧٨ . ومات فولتير بعد هذا البيان بثلاثة أشهر . وفى مقالة له موجهة إلى صديقه الملحد **هولباخ** ، نجده يقول :

" إن الخرافات الدخيلة على الدين تتحكم فى عالمنا البائس . هذه الخرافات والأساطير [٣٣] هى أقسى عدو لنا يصرفنا عن عبادة الله عبادة خالصة تليق به . **دعنا نمقت شبح الخرافات التى أدخلت على الديانات فشوهتها . وأولئك الذين يحاربون الخرافات هم أصحاب الفضل فى الجنس البشرى** . إن هذه الخرافات ثعبان يهز الدين .. ويجب علينا سحق رأسه من غير أن نجرح الأم التى تطعمه " [٣٤] .

---

[٣٢] **فولتير : Voltaire** ؛ هو الإسم الحركى للمؤلف والفيلسوف الفرنسى : " **فرنسوا مارى أروط : Francois Marie Arouet** " ، (١٦٩٤ – ١٧٧٨) ، الذى يعتبر أحد أكبر رجال الفكر فى القرن الثامن عشر . تميز **فولتير** بقصصه الفلسفية التى ترجمت إلى أكثر من مائة لغة . أهم قصصه ؛ قصة " **كانديد : Candide** " ، وهى عبارة عن تحقيق فى طبيعة الخير والشر عند الإنسان .

[٣٣] بديهى لا يقصد بها إلا ما ورد في الكتاب المقدس ، أى الديانتين اليهودية والمسيحية للتفاصيل انظر الكتاب السابق " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " لنفس المؤلف ، وأنظر أيضا الفصل الخامس من هذا الكتاب .

[٣٤] **قصة الفلسفة** ، ول ديورانت . ترجمة فتح الله المشعشع . مكتبة المعارف ، بيروت ص ٣٠٢/٣١٢ .

وهكذا تفشل الفلسفة .. ويفشل الفلاسفة فى إيجاد معنى للحياة .. ***ويفشل الفلاسفة حتى فى معرفة أين يتمثل هذا المعنى ..!!!*** ويبتعدوا ــ فيما يبتعدوا ــ عن الدين الحق المطلق كمصدر لهذه المعارف ..!!! وتكاد تكون من سخريات الأقدار ؛ أن تقول الفلسفة ، فيما تقول : **بأننا يجب أن نجيب على سؤال معنى الحياة والغايات منها .. بدون أن ننزلق فى المستنقع الأصولى الدينى ، أو فى التصورات الدينية التى تجاوزتها الأفكار الحديثة بكثير ..!!! ولم يفهموا ــ فيما يفهموا ــ ما هى التصورات الدينية الحقيقية .. كما لم يفهموا ــ فيما يفهموا ــ ما هى الأصولية الدينية .. وما هو مصدرها ..!!!**

٤ . ١ *الأصولية الدينية ....*

لقد دأب الغرب ــ كعادته ــ على إتهام الإسلام بالأصولية ..!!! ولم يتنبه الغرب ــ فلاسفة وأمثالهم والمتشبهون بهم ــ إلى أن هذه الكلمة والتعريف الخاص بها هو فكر نابع من أعماق الكنيسة ، أى من قاع المسيحية ذاتها .. ولا علاقة للإسلام بهذا الإسم من قريب أو من بعيد ..!!! فلفظ " **الأصولية : Fundamentalism** " هو لفظ مشتق لغويا من كلمة " **أصول : Fundamental** " وهو ما يعنى تكوين " **القاعدة أو الأساس : Foundation** " . وكلمة " **الأساس** " هو لفظ " **كتابى** " ، أى لفظ جاء به " **الكتاب المقدس** " فى العهد القديم ، حيث يقول الرب فى سفر إشعياء :

[(١٦) لذلك هكذا يقول السيد الرب . هأنذا أؤسس فى صهيون حجرا حجر امتحان حجر زاوية كريما أساسا مؤسسا] [٣٥]

---

[٣٥] ويأتى هذا النص فى الكتاب المقدس " نسخة الملك جيمس : King James Version " على النحو التالى :

16 Therefore thus saith the Lord GOD, Behold, I lay in Zion for **a foundation** a stone, a tried stone, a precious corner stone, **a sure foundation**: he that believeth shall not make haste (ISAIAH 28 : 16)

وكما يأتى فى " الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة : New World Translation of the Holy scriptures "

16 Therefore this is what the Sovereign Lord Jehovah has said "Here I am laying as **a foundation** in Zion a stone a tried stone the precious corner of **sure foundation** No one exercising faith will get panicky (ISAIAH 28 16)

وعلى الرغم من عدم وضوح أى معنى للنص العربى السابق ، إلا أن قيمته تستند ــ فقط ــ إلى وجود الكلمات المشتقة منها لفظ " **الأصولية** " (أى : أساسا مؤسسا) وما يناظرها من الكلمات فى النص الإنجليزى كما يظهر من التذييل المعطى . وأبسط تعريف للأصولية كما يأتى فى المعاجم الإنجليزية هو :

" **الإيمان بأن كلمات الكتاب المقدس موحى بها من الإله (God) [٣٦] ، ولهذا يجب الإعتقاد فيها واتباعها حرفيا** " .

وتقول **موسوعة " كتاب العالم : The World Book "** ؛ لعام ١٩٩٥ (ج ٧ : ص ٤٨٣ وما بعدها) ؛ أن **الأصولية : هى حركة واسعة حدثت داخل الكنيسة البروتستانتينية فى الولايات المتحدة الأمريكية** . وهى الحركة التى يحاول أفرادها الحفاظ على الأفكار الأساسية للديانة المسيحية ، بعد أن تعرضت للنقد الشديد من جانب " **علماء اللاهوت الليبراليين : Liberal Theologian** " . ففى نهاية القرن التاسع عشر ظهر عدد كبير من علماء اللاهوت المسيحى الذين تحدوا دقة الكتاب المقدس ، واستخدموا الأبحاث التاريخية للتشكيك فى قواعد وسنن الإيمان المسيحى ، وهى القواعد التى كانت تقبل من قبل بدون نقاش .

هذا وعندما حاول الليبراليون التوفيق بين العقيدة المسيحية وبين المكتشفات الحديثة فى مجال العلوم ، وخصوصا الإكتشافات التى تمت فى مجال " **علم الأحياء : Biology** " وفى مجال " **علم الجيولوجيا : Geology** " ؛ **إعتقد كثير من المسيحيين أن عمل الليبراليين هذا لا يهدد أصول الديانة المسيحية فحسب ، بل يهدد الحياة المسيحية نفسها أيضا ، كديانة يعتنقها الملايين** .

والمتتبع للنص السابق يجد ثلاث ترجمات مختلفة مشتقة من لغة الكتاب المقدس الأصلية ، وهى اللغة العبرانية والكلدانية واليونانية . **فالنص العربى يقول : " حجر زاوية كريما أساسا مؤسسا "** ولكن ماهو هذا الحجر ... لم يذكر النص العربى شيئا عنه . **وفى نسخة الملك جيمس** نجد أن حجر الزاوية هو : " **لا أحد يمارس الإيمان ويلزع** " . أما فى **الترجمة العالمية الجديدة** فنجد أن حجر الزاوية هو : " **لا أحد يمارس الإيمان ويتعجل** " . وهكذا ترجمات مختلفة ومتباينة لنفس النص الواحد عن لغاته الأصلية ..!!! ولكن ترجع قيمة هذا النص إلى أنه مستقى منه " **الفكر الأصولى** " .

[٣٦] أنظر الملحق الأول من هذا الكتاب .

وفى الفترة ما بين ١٩١٠ إلى ١٩١٥ ظهرت مجموعة من المؤلفين المجهولين قامت بنشر ١٢ كتيب تحت عنوان : " **الأصول : The Fundamentals** " ؛ حيث يعتقد أن عنوان هذه الكتيبات هى التى مهدت الطريق لسك مصطلح " **الأصولية** " . وقد بلغ توزيع هذه الكتيبات بالمجان ثلاثة ملايين نسخة أرسلت إلى القساوسة ومدارس الأحد وسكرتيرى جمعيات الشبان المسيحية والشابات المسيحية . **وقد حاول المؤلفين فى هذه الكتيبات شرح أساسيات ومبادىء العقيدة المسيحية والتى يجب أن تقبل بدون نقاش أو أسئلة** [٣٧] ، وتشمل هذه المبادىء النقاط الخمس التالية [٣٨] :

- **الإعتقاد فى عصمة الكتاب المقدس من الخطأ .**
- **الإعتقاد فى قضية خلق الإنسان وحدوث المعجزات .**
- **الإعتقاد فى قضية ميلاد المسيح (الإله المتجسد) من مريم العذراء .**
- **الإعتقاد فى آلام السيد المسيح وموته تكفيرا عن خطايا البشرية ؛ من خلال صلبه وموته على الصليب .**
- **الإعتقاد فى المجىء الثانى للمسيح (العقيدة الألفية السعيدة) .**

وتضيف **موسوعة كتاب العالم** .. أن الأصولية قد بدأت فى شمال الولايات المتحدة ، ولكنها إكتسبت قوة كبيرة فى المناطق الجنوبية . وأن أكثر من تأثر بالمناظرات الدينية التى حدثت بين الليبراليين وحركة البروتستانت المحافظين هما : " **الكنيسة البروتستانتينية المعمدانية** [٣٩] " ، و " **الكنيسة المشيخية** [٤٠] " . **وعموما يمكن القول بأن الحركة الأصولية كان لها تأثير مباشر على جميع الطوائف البروتستانتينية** ، وخصوصا كنيسة الرب (The Church of God) ، وتجمعات الرب (Assemblies of God) ، وكنائس الروح القدس (Pentecostal Churches) . كما تأثر التلفزيون الإنجيلى (البروتستانتى) بمعتقدات الأصوليين المحافظين .

---

[٣٧] بعكس العقيدة الإسلامية التى تطلب التحكيم العقلى فى كل الأمور الدينية .

[٣٨] تم مناقشة الرؤية الكلية لهذه القضايا فى الكتاب السابق : **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٣٩] **الكنيسة المعمدانية (The Baptist Church) هو مذهب بروتستانتى يقول بأن التعميد لا يجب أن يتم للفرد إلا بعد بلوغة سنا يمكنه فهم معناه .**

[٤٠] **الكنيسة المشيخية (The Presbyterians Church) ، هو نظام يدير شئون الكنيسة فيه شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية .**

وتضيف موسوعة كتاب العالم : أن عصمة الكتاب المقدس من الخطأ ، ما تزال هى المسألة الأصولية الهامة التى يدور حولها الجدل فى هذه الأيام ..!!!

وهكذا يقع الإنسان بـ " الأصولية الدينية " ، أو بمعنى أكثر دقة بـ " الأصولية الدينية المسيحية " ، فى التناقض الحاد بين العقل والواقع المحسوس من جانب ، وبين نصوص الكتاب المقدس وخرافاتها من جانب آخر . ويحاول الإنسان التوفيق بين هذه التناقضات الصارخة ، فلا يستطيع إلا على حساب قواه العقلية ..!!! لينتهى علماء النفس إلى تشخيص الفرد المسيحى ، بأنه فرد مصاب بخلل نفسى لا رجاء ولا أمل فى شفاؤه منه ، حيث يقول " **أريك فروم** " [٤١] أحد علماء النفس الأمريكيين ، فى هذا الشأن ..

" لقد برهن " التحليل النفسى " **على الطبيعة المبهمة لعملياتنا الفكرية** ، حيث نرى أن " **قوة التبرير** " أو هذا " **التزييف العقلى** " هى إحدى الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . ولو لم نكن معتادين عليه هذا الإعتياد (لأن عالم النفس هذا مسيحى) لبدا لنا أن مجهود الإنسان فى التبرير مماثلا لمذهب شخص مصاب " **بجنون الإضطهاد Paranoia** " [٤٢] . فالشخص المصاب بهذا الجنون يمكن أن يكون فى غاية من الذكاء ، ومن الممكن أن يستخدم عقله إستخداما ممتازا فى جميع مجالات الحياة ، اللهم إلا فى هذا الجزء الذى يتعلق بجنون الإضطهاد . فالشخص الذى يقوم بالتبرير يفعل هذا تماما .. فالحجج المستخدمة للدفاع عن أعمال محاكم التفتيش وتفسيرها ، أو الحجج المستخدمة فى تفسير التحيزات العنصرية أو الجنسية الصارخة ، مثل هذه الحجج أمثلة واضحة على هذه المقدرة نفسها فى التبرير .

فعندما نتحدث إلى شخص ذكى من المؤمنين بالمسيحية ، نجده يظهر مقدرة عظيمة فى كثير من مجالات الفكر ، ولكن ما أن نناقش معه المسيحية نجده يواجهنا ــ فجأه ــ بمذهب فكرى مغلق ، وظيفته الوحيدة هو إثبات أن ولاءه للمسيحية متفق مع العقل ولا يتناقض معه . ولهذا

---

[٤١] " **الدين والتحليل النفسى** " أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٤ . ولمزيد من التفاصيل حول هذه المعانى أنظر كذلك : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٤٢] تطلق كلمة بارانويا **Paranoia** على المرض النفسى " **جنون الإضطهاد** " أو " **جنون العظمة** " وهو إضطراب عقلى مزمن يتميز الفرد المصاب به بأن لديه إحساس زائف بانه مضطهد أو بأنه إنسان عظيم ، وهو يدافع دائما عن نفسه بمنطق يملؤه كثير من الحزن نتيجة شعور الأخرين تجاهه .

سوف ينكر بعض الوقائع الواضحة ، وسوف يشوه بعضها الاخر . أو تراه حين يوافق على بعض الوقائع والأقوال ، فإنه يشرح موقفه بأنه موقف منطقى ومتسق [٤٣] .

ويضيف علماء التحليل النفسى [٤٤] أن الدرجة التى يبلغها الإنسان فى إستخدام تفكيره لتبرير **العواطف اللامعقولة** وأفعال طائفته ، تبين عظم المسافة التى ما زال على الإنسان أن يقطعها لكى يصبح إنسانا حكيما ومتعقلا . ولكن ينبغى علينا أن نتجاوز عن مثل هذا الوعى ، ونحاول فهم أسباب هذه الظاهرة وإلا وقعنا فى خطأ الإعتقاد بأن إستعداد الإنسان للتبرير جزء من "الطبيعة الإنسانية" (أى الفطرة) حيث لا سبيل الى تغييره .

ويوجد ــ الآن ــ فى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من (٤٠) مليون أصولى دينى مسيحى (هم اتباع الكنيسة الإنجيلية البروتستانتينية بوجه عام) ، ومنهم الرئيس الأمريكى الأسبق : "**رونالد ريجان**" (لفترتين متتاليتين : ١٩٨١ - ١٩٨٩) . وتقول الكاتبة الأمريكية "**جريس هالسل**" ــ وهى أصولية إنجيلية أيضا ــ فى كتابها "**النبوءة والسياسة**" : "أن الأصولى الدينى ينشأ على الإعتقاد فى المسيحية ، وبأن عمر الكون هو ستة آلاف سنة ، وأن تاريخ الإنسانية سوف ينتهى بمعركة (أو بكارثة نووية) تدعى "**هرمجدون : Harmageddon**" [٤٥] وأن هذه المعركة سوف تتوج **بعودة المسيح** الذى سيحكم بعد عودته

---

[٤٣] الحقيقة التى لم يدركها علماء النفس هنا ، هو أن الإنسان يدافع عن فطرية وجود "الله" فى نفسه . وهذا الإتجاه النفسى القوى يجعل من السهل على المرء بأن يضحى بمنطقه العقلى ، عن أن يضحى بوجود الله فى نفسه .

[٤٤] "**الدين والتحليل النفسى**" أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٥ .

[٤٥] وردت هذه الكلمة فى **مكان واحد فقط** من الكتاب المقدس فى "**سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى**" فى النص التالى :

[(١٢) ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات فنشف ماؤه لكى يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس . (١٣) ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسه شبه ضفادع . (١٤) فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم . يوم الله القادر على كل شىء . (١٥) ها أنا آتى كلص . طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عريانا فيروا عريته . (١٦) فجمعهم إلى الموضع الذى يدعى بالعبرانية هرمجدون]
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى : {١٦} : ١٢ - ١٦)

وهذا السفر ، اى "**سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى**" هو السفر الذى اتخذته **الكنيسة الأورثوذكسية** الأساس النظرى للبرهنة على أن "إله" المسيحية هو ، بما لا يدع مجالا لأى شك :

[(٦) ... خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض .]
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى : {٥} : ٦)

على جميع الأحياء والأموات على حد سواء . كما وأن " **اليهود** " هم شعب الله المختـــار ، وأن الله قد أعطى الأرض المقدسة إلى هذا الشعب المختار . ولأن اليهود هم شعب الله المختار فـــإن الله يبارك من يبارك اليهود ، ويلعن من يلعنهم "

ويقول الكاتب التوراتى الأمريكى " **هال ليندسى** " فى كتابه " **الكرة الأرضيـــة العظيمـــة السابقة** [٤٦] " : " **إن دولة إسرائيل هى الخط التاريخى لمعظم أحداث الحاضر والمســـتقبل** ... فسيأتى ما لا يقل عن (٢٠٠) مليون جندى من الشرق مع ملايين أخرى من قـــوات الغـــرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوربا الغربية) . وسوف يضرب " **عيسى** " ــ بعد عودته ــ أولا أولئك الذين دنسوا مدينته القدس (بديهى الفلســطينيين) . ثـم يضرب بعد ذلك الجيوش المحتشدة **فى ماجيدو أو هرمجدون** ، ولا غرابة ــ إذن ــ أن يرتفـــع الدم حتى مستوى ألجمة (جمع لجام) الخيل ولمسافة (٢٠٠) ميل من القدس .. وسوف يملأ هذا الوادى بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء " .

ويضيف " **ليندسى** " فى كتابه السابق : " عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى بحيـــث يكون كل شخص تقريبا قد قتل ، تحين اللحظة العظيمة ، فينقذ المسيح الإنسانية مـــن الإندثـــار الكامل ، وفى هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية " . ثـم يحســم " **ليندسى** " هذا السيناريو لنهاية التاريخ فيقول : " **وسيبقى فقط ١٤٤ ألف يـــهودى علـــى قيـــد الحياة بعد معركة هرمجدون ... وسينحنى كل واحد منهم ، الرجل والمـــرأة والطفـــل أمـــام المسيح ، وكمتحولين إلى المسيحية فإن الناضجين منهم سوف يبـــدءون التبشـــير ببشـــارة المسيح** . "

ويضيف كاتب أصولى أمريكى اخر ــ هو : **لارى جونـــز** ــ : " إن المؤمـــن بنظريـــة هرمجدون هو **أصولى يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموسا ليتنبأ بالمستقبل** " . **ويضيف قائلا**

وتقع أرض " هرمجدون " شمال " تل أبيب " بمسافة ٥٥ ميلا ، وعلى مسافة ٢٠ ميلا جنوب شرق " حيفـــا " ، وتبعد عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط بمسافة ١٥ ميلا تقريبا . ويعتقد الأصولـــى الدينـــى (أو المســيحى الإنجيلى البروتستانتى) بأن أرض " **هرمجدون** " هى أرض المعركة المتوقعة ، التى سيقود فيها " **المسيح** " عقب عودته إلى الأرض قوات الخير ، **للإنتصار على قوات الشر المتمثلة فى شعوب السوفييت والصين والمســـلمين والمسيحيين غير الإنجيليين .. وغيرهم من الشعوب الأخرى** . وعقب انتصار المسيح على قوات الشر ســـيحكم الأرض لمدة ألف سنة يسودها السلام ..!!! (انظر تذييل رقم ٥٢ من هذا الفصل ، لرؤية ما بعـــد الألـــف ســـنة السعيدة)

[٤٦] يعتبر هذا الكتاب من أحسن الكتب مبيعا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد الكتاب المقدس ، حيث بلغـــت مبيعاته أكثر من (١٨) مليون نسخة .

: " إن اليمين المسيحى الجديد (الطائفة الإنجيلية) ، يعتقدون فى أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية " **للمسيح** " بعد مرحلة من " **الحرب النووية العالمية** " أو الكوارث الطبيعية والإنهيار الإقتصادى والفوضى الإجتماعية . إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل " العودة الثانية " ، كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح فى الكتاب المقدس . وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ ، فإن المسيحيين **المخلّصين** ، أى الذين سوف يتمتعون بخلاص المسيح ، سوف يرفعون ماديا من فوق الأرض ، ويجتمعون بالمسيح فى الفضاء . ومن هناك سوف يراقبون بسلام الحروب النووية والمشاكل الإقتصادية . وفى نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون من جديد مع **المسيح** كقائد عسكرى ــ ظافر ــ لخوض معركة الهرمجدون (أو الأرماجدون) ، لتدمير أعداء الله ، وسوف يبقوا معه الفترة السعيدة ، وهى التى سوف يحكم فيها المسيح الأرض لمدة ألف سنة " .

وتقول الكاتبة الأمريكية " **جريس هالسل** " ، عن الأصوليين الإنجيليين ، فى كتابها السابق [٤٧] : " إن معظم الإنجيليين التلفزيونيين ، وعلى رأسهم **جيرى فولويل** [٤٨] ، ***يخبروننا بأننا نتحرك بسرعة نحو مأساة نووية ، كتب الله السيناريو الخاص بها*** ، فهم يعتقدون فى أن الله سوف يأخذ بزمام التاريخ الإنسانى " . وتضيف قائلة : " وعندما كنت أتساءل لماذا يتصور الأصولى الإنجيلى أن الله يريد أن يصدر سلسة من الأحكام التى من شأنها أن تقتل معظم شعوب الأرض بل وتدمر مدنيتنا أيضا ؟! فكانوا يجيبون : **إن الله يفعل ذلك بصورة أساسية من أجل شعبه القديم ... الشعب اليهودى** " .

ويقول الرئيس الأمريكى الأسبق " **رونالد ريجان** " (أحد الأصوليين الدينيين) : إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل **معركة هرمجدون** قد تحققت فعلا ، ففى " **الإصحاح الثامن والثلاثون** " **من** " **سفر حزقيال** " أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . لقد تحقق ذلك أخيرا بعد ألفى سنة ، **ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار معركة الهرمجدون والعودة الثانية للمسيح** " ...

---

[٤٧] " **النبوءة والسياسة** " ، جريس هالسل ، ترجمة : محمد السماك ، دار الشروق ، ص : ٣٥ .

[٤٨] **مبشر دينى وسياسى أمريكى مرموق أهدته إسرائيل ــ من ضمن هداياها ــ طفرة نقالة طراز " ويند ستريم " يتراوح ثمنها بين (٢,٥) و (٣,٥) مليون دولار ، بالإضافة إلى نصف مليون دولار ثمن قطع الغيار . ويقول الدكتور " وليام غوردون " إن " فولويل " كان ينادى بفصل السياسة عن التبشير حتى عام ١٩٦٧ ، ولم يكن يشير إلى إسرائيل المعاصرة بأى صورة من الصور ، ولكنه تغير بعد هذا التاريخ تماما ، وأضاف قائلا : إن فولويل أصبح أول سياسى مرموق يقول بأن على الولايات المتحدة حماية إسرائيل ليس فقط من أجل مصلحة إسرائيل ، ولكن من أجل المحافظة على أمريكا نفسها . " المرجع السابق " ، ص : ٦٦ .**

وقد دفعت اراء الرئيس " **ريجان** " المعهد المسيحى فى واشنطن (وهو معهد متخصص فى الدراسات الدينية عن الإسلام والمسيحية واليهودية) فى عام ١٩٨٥ ، لإجراء دراسة بقيادة " **القس اندرو لانج** " ، حول إيمان الرئيس الأمريكى " **رونالد ريجان** " بنظرية **هرمجدون** ، وجاء فى الدراسة : " إن إمكانية إيمان رئيس الولايات المتحدة بأن الله قد قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة : فهل يؤمن بجدوى مباحثات التسليح " **رئيس** " يعتنق هذا النظام الدينى ؟! وخلال أى أزمة نووية هل سيكون مترويا وعاقلا ؟! أو أنه سيكون متهافتا للضغط على الزر ، وهو يشعر فى قرارة نفسه أنه يساعد الله فى مخططاته التوراتية المقررة مسبقا لنهاية الزمن ؟! " [٤٩]

وتقول الكاتبة الأمريكية " **جريس هالسل** " ، عن الأصوليين الإنجيليين ، فى خاتمة كتابها السابق : " لقد وجدت فكرهم الوعظى تحريضيا وتصادميا فى حثهم الناس على الإستعداد لنهاية العالم ، فعلى مدار سنوات وأنا مستمعة إلى " **جيرى فولويل** " وغيره من الإنجيليين ، والكتاب المقدس فى أيديهم ، ناقلين إلينا عن " **سفر دانيال** " من العهد القديم ، وعن " **سفر الرؤيا** " من العهد الجديد ، قائلين : **إن الله قد قضى علينا أن نخوض حربا نووية مع روسيا ، إقتناعا منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية** " . وتضيف قائلة : " **إن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيرية [٥٠] ألزموا أنفسهم بسلوك طريق مع إسرائيل يؤدى بصورة مباشرة ــ باعترافهم أنفسهم ــ إلى محرقة أشد وحشية وأوسع إنتشارا من أى مجزرة يمكن أن يتصورها أى عقل .. حتى عقل " أدولف هتلر " الإجرامى نفسه** " ..!!!

ونكتفى بهذا القدر من التعريف بالأصولية الدينية وبالأصوليين بمعناهما الحقيقى والفعلى . فهى ــ كما نرى ــ جنون دينى وهوس عقلى يستعجل خراب ودمار العالم ويساهم فيه الأصوليين

---

[٤٩] " **المرجع السابق** " ، ص : ٧ .

[٥٠] " **المذهب التدبيرى : Dispensationalism** " ، أحد المذاهب أو الحركات الدينية المسيحية الإنجيلية ، التى تؤمن بالفكر الأصولى الدينى السابق الإشارة إليه . وهو المذهب الذى يقول : " **بأن الله هو مدبر كل شىء ، وأن الكتاب المقدس وخاصة سفر حزقيال ، وسفر الرؤيا توجد بهما نبوءات واضحة عن الطريق أو الإسلوب الذى يحدده الله فى كيفية تدبيره لشئون الكون وكيف ينهيه** " . وهكذا يعتقد الملايين من الأصوليين المسيحيين الأمريكيين ، ومن جميع مسيحى العالم أيضا ، فى أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود واسترجاعهم لكل أرض فلسطين ، بما فى ذلك هدم وتدمير المقدسات الإسلامية ومنها المسجد الأقصى ، حتى وإن تسبب هذا فى نشوب " **حرب عالمية ثالثة** " (أى : أرماجدون نووية) ، وهم بهذا الإعتقاد يؤمنون بـ : " **أنهم يتصرفون بحسب مشيئة الرب** " .

المسيحيين الدينيين بصورة إيجابية وبشكل مباشر وتصادمى ، لكى يعجلوا بعودة المسيح الثانية إلى الأرض .. بافتعال حرب نووية تؤدى إلى الإبادة الشاملة للبشرية بكل اتجاهاتها [٥١] ..!!!

وبعد هذا التعريف بالأصولية والأصوليين ..!!! وبعد هذا العرض للهوس الدينى والجنون العقلى للأصولية والأصوليين ، الذى يرجع فى كل دوافعه ــ إذا ما استثنينا الفطرة الدينية ــ إلى الخوف المتناهى للإنسان من الموت ، وتشبث الإنسان المتناهى بالحياة [٥٢] ..!!! يبرز السؤال التالى : أين يقف الإسلام والمسلمين من الأصولية والأصوليين بعد هذا التعريف ..؟! ثم .. أين يوجد هذا التوازى (The Parallelism) بين النصوص المسيحية والنصوص الإسلامية فى تلك المفاهيم السابقة ..؟!

إن إتهام الإسلام بالأصولية إنما تعنى ــ ببساطة شديدة ــ إتهام " **العلم** " بالأصولية ..!!! فكلنا يعلم ــ بديهيا ــ أنه " **لا توجد أصولية فى نص أو نظرية علمية صحيحة** " نظرا لصحتها . فلا **توجد أصولية إلا عند وجود نص باطل يُطلب منا التسليم الأعمى به وقبوله على أنه حقيقة غير قابلة للجدل** . وهو ما يعنى ــ فى ما يعنى ــ أن على الإنسان أن يتخلى عن عقله وخبراته وعلمه التراكمى حتى يستطيع أن يسيغ هذا الباطل ..!!!

---

[٥١] انظر تفاصيل أخرى فى الفصل الخامس عن : " اليهودية " و " المسيحية " ، وكذا تفاصيل ما بعد العودة .

[٥٢] يجب ان أشير إلى ان **الأصوليين الإنجيليين** يعتقدون فى أنهم سوف يرفعون إلى السماء ليجتمعوا بالمسيح لمراقبة أحداث معركة الهرمجدون ، وسوف ينزلون مع " **المسيح** " إلى الأرض بعد أن تكون المعركة قد حسمت لصالحه ، ليعيشوا معه مدة ألف سنة فى سعادة . وفى خلال هذه المدة الألفية السعيدة سوف يقيد الإله (أى المسيح) الشيطان ويتم سجنه . وليس معنى هذا أن القصة تكون قد انتهت عند هذا الحد ، بل مازال للقصة بقية ...!!! فعقب نهاية الألف سنة السعيدة سوف يتحرر الشيطان من قيده ــ بطريقة ما أو بأخرى لم يذكرها الكتاب المقدس ــ ثم يقوم بإضلال الناس مرة أخرى ، بما فى ذلك الأصوليين الإنجيليين أنفسهم . ولهذا سوف تقوم معركة أخرى بين الإله وأتباعه من جانب ، وبين الشيطان واتباعه من جانب اخر ..!!! **ولكن الإله ــ فى هذه المرة ــ سوف يحسم الموقف ، ويقهرهم جميعا بشكل نهائى ، وسيلقى بالشيطان ، فى نهاية الأمر ، فى بحيرة النار والكبريت ..!!! ثم ينتقل الإله " المسيح " بعد ذلك إلى الفردوس .. مع (١٤٤) ألف فقط من شعبه المختار من اليهود . ، والغريب أن يفصح " الإله " عن شكله النهائى .. بأنه : " خروف كأنه مذبوح له سبع قرون وسبع أعين " ..!!!**

والفردوس هو مدينة أورشليم السمائية ، وهى مدينة صغيرة نسبيا تبلغ مساحتها حوالى (٦٠ فى المائة) من مساحة الولايات المتحدة الأمريكية ، ولهذا لن تسع إلا (١٤٤) ألف يهودى فقط السابق الإشارة إليهم . أما بقية **المسيحيين الأصوليين الإنجيليين** فليس لهم مكان فى هذا الفردوس السمائى نظرا لضيق المكان ..!!! ولهذا تأتى نهايتهم عقب نهاية الألف سنة السعيدة إما بالفناء التام فى المعركة الأخيرة (أى فى معركة ما بعد الألفية السعيدة) السابق الإشارة إليها .. وإما بإلقائهم مع الشيطان والنبى الكذاب فى بحيرة النار والكبريت ، وهى البحيرة التى تقع خارج أسوار مدينة الفردوس السمائى ..!!! (يوجد تفاصيل أخرى لهذا ***الهوس الدينى والجنون العقلى*** ، فى الفصل السادس من هذا الكتاب ، وفى المرجع السابق لنفس المؤلف) .

فكما بينت سابقا ، وكما يبين هذا الكتاب ، أن الإسلام لا تحوى تعاليمه أى نص علمى خاطىء يطلب من المسلم الإعتقاد فيه أو التسليم به . **فالعقل مطلوب فى الفكر الإسلامى بأعلى ملكاته ... والعلم مطلوب فى الإسلام بأقصى إمكاناته** . فلا توجد أصولية دينية فى الإسلام بأى صورة من الصور . وليس هذا فحسب ، بل أن الإسلام ــ نفسه ــ يرفض فى كل نصوصه الإنتماء الأعمى إلى الدين ..!!! فهو يطلب ــ على طول الصياغة القرانية ــ التحقق العقلانى من أى فكر ومن أى نص ، مهما كان هذا الفكر ، ومهما كان هذا النص ، بما فى ذلك الفكر والنص الدينى نفسه ..!!! لهذا يجىء قوله تعالى لإنسان الميراث الدينى الأعمى ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ إِتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَلَيهِ ءابَاءنَا أَوَ لَوْ كانَ آباؤهُمُ لا يَعْقِلونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

فأين التنكر للعقل فى الديانة الإسلامية ..!!! كما ينبه المولى (ﷻ) الإنسان بأنه مرفوض أن يقول ..

﴿ ... حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ ءاباءنَا أَوَ لَوْ كانَ آباؤهُمُ لا يَعْلَمُونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١٠٤)

فالعقل مطلوب بكامل ملكاته فى القضية الدينية . فالإسلام هو ــ ببساطة شديدة ــ " **قضية البلاغ العقلانى** " الصادر عن الله (ﷻ) للإنسان .. لتعريف الإنسان بالغايات من خلق والتى يجب عليه أن يحققها قبل يغادر هذه الحياة بموته ..!!!

ويعتبر الإسلام " **العلم** " بأنه ــ يكاد يكون ــ الوسيلة الوحيدة للتحقق من صحة هذا " **البلاغ العقلانى القادم من الله ، عز وجل** " ..!!! حتى بات العلم ــ من المنظور القرانى ــ هو وسيلة التفضيل بين مفردات الوجود الإنسانى .. لهذا يجىء قوله تعالى ..

﴿ .. يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ (١١) ﴾

(القران المجيد : المجادلة {٥٨} : ١١)

وقد يتنبه الإنسان ــ أو قد لا يتنبه ــ إلى موضع كلمة ﴿ .. مِنكُمْ .. ﴾ فى سياق كلمات الاية الكريمة السابقة ، ليدرك أنه يوجد سياقين فى التفضيل . سياق تفضيل ايمانى يقع فى داخله المنظور الإسلامى ﴿ .. الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ .. ﴾ أى أنه أمر مقصور على المسلمين فقط . وسياق تفضيلى اخر ، هو سياق تفضيل علمى ــ مستقل عن الإيمان الإسلامى ــ تقع فى داخله البشرية جمعاء ، أى ﴿ .. وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ .. ﴾ من كل البشرية بما فى ذلك المسلمين وغير المسلمين . فالعلم له درجته الخاصة به ، كما وأن الإيمان له درجته المستقلة عن درجة العلم ، وهى درجة مقصورة على المسلمين فحسب .

ولهذا يقول الرسول (ﷺ) :

[من سلك طريق يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة]

ليصبح العلم فى الإسلام ــ بعد هذه المفاهيم ــ فريضة على كل مسلم ، وليس ترفا فكريا قد يؤخذ به أو لا يؤخذ به ... ***لأنه يصبح طريق واضح المعالم إلى الجنة وخلاص الإنسان ...!!!*** ولهذا إذا ما نسب البعض " **الأصولية** " إلى الإسلام ، فإنما تعنى ببساطة شديدة هو عدم الفهم الواعى لهؤلاء البعض لواقع المنهاج أو الدين الإسلامى . فالموضوع ــ إذن ــ يصبح **كله منوط بجهل وعلم من يتحدث عن الإسلام وعن الأصولية .**

وننتقل الآن إلى مفهوم الأصولية لدى بعض فلاسفة الشرق العربى .. **ودعنا نبين هذا بأحد الأمثلة للفكر النمطى عن الدين والتدين** ، التى تتردد دائما بدون دراسة كافية .. ففى هذا الصدد ؛ يقول أحد رواد التنوير والمفكرين من فلاسفة العرب المعاصرين [٥٣] ..

[.. لقد امتدت **ميكانيكا نيوتن** إلى جميع مجالات المعرفة الإنسانية مطعمة بالرياضيات الجديدة التى صاغها **ليبنتز** وأسهمت فى حل المشكلات الناجمة من الكهرباء والحرارة . وتأسست رؤية كونية علمية كبديل عن الرؤية الكونية الدينية التى هيمنت على فكر العصر الوسيط] [٥٤]

---

[٥٣] " **الأصولية والعلمانية** " ، **مراد وهبه** . دار الثقافة . ص : ٤٢ – ٤٣ .

[٥٤] **ثلاثة أسطر فقط ..!!! تحوى فيما تحوى ــ وليس كل ما تحوى ــ الأخطاء العلمية التالية :**

(١) أن " **ميكانيكا نيوتن** : Newtonian Mechanics " ليس لها علاقة بجميع مجالات المعرفة الإنسانية ... فالكيمياء والبيولوجى والطب والجيولوجيا والزراعة والهندسة الوراثية .. إلى أخره .. وقل ماشئت عن المعرفة فى المجالات الإنسانية الأخرى ليس لها علاقة بميكانيكا نيوتن . **وميكانيكا نيوتن** هى مجموعة القوانين التى تحكم حركة الاجسام ذات السرعات التى تقل كثيرا عن سرعة الضوء . أما إذا تحركت الأجسام

ثم يتساءل هذا الفيلسوف عن الأصولية الدينية .. ويجيب :

[والجواب عن هذا التساؤل ليس ممكنا من غير معرفة **العلاقة بين الأصولية الدينية والعلم** . ودليلنا على معرفة هذه العلاقة هو قول **سيد قطب** [٥٥] فى كتابه " **المستقبل لهذا الدين** " (يقصد بهذا الديانة الإسلامية) [٥٦] : أن عصر الإحياء (النهضة) وعصر التنوير وعصر النهضة الصناعية قد صرفت أوربا لا عن تصورات الكنيسة وحدها وإنما عن منهاج الله كله فتم الإنفصال بين التصور الإعتقادى ونظام الحياة الإجتماعية وحدث ما يسميه **سيد قطب** بـ " **الفصام النكد** "]

وهكذا يتهم الفيلسوف الكاتب " **الإسلام** " **بالأصولية الدينية** ..!!! ثم يواصل كلامه ـ فى صورة تهكم مستتر ـ فنجده يقول :

[والفصام هو مرض عقلى من أهم أعراضه التجول الذهنى فى عالم الخيال والوهم ، وعدم الإتساق بين المزاج والفكر ، واعتقادات باطلة . ومعنى ذلك أن الثقافة الأوربية (من وجهة نظر **سيد قطب**) هى ثقافة مريضة بسبب عصر التنوير والثورة الصناعية المستنده إلى العلم . فإذا أردنا ثقافة صحية (من وجهة نظر سيد قطب) وجب استبعاد التنوير والصناعة

بسرعات عالية تقترب من **سرعة الضوء** فإن **قوانين ميكانيكا نيوتن** لا تنطبق على الحركة ، وتأتى بدلا منها قوانين " **للنظرية النسبية الخاصة** " التى تعرف باسم " **ميكانيكا النسبية : Relativistic Mechanics** " .

(٢) أن ما اكتشفه **نيوتن** (١٦٤٣ - ١٧٢٧) **فى مجال الرياضيات الجديدة** هو أعم وأشمل مما اكتشفه **ليبنتز** (١٦٤٦ - ١٧١٦) فى نفس المجال ، وهو مجال " **حساب التفاضل والتكامل : Calculus** " وبالتالى فإن **ميكانيكا نيوتن تصاغ برياضة نيوتن وليست برياضة ليبنتز** . وعادة ما يحسب **ليبنتز** على الفلسفة أكثر مما يحسب على الرياضة ، وهو الفيلسوف الذى قال : **بعدم التعارض بين الإيمان والعقل** .

(٣) ليس لنيوتن علاقة بالكهرباء ولا بقوانين الكهرباء من قريب أو من بعيد ..!!! فالكهرباء وقوانينها تنسب إلى عشرات من العلماء الذين جاؤا من بعد نيوتن .. منهم : **كولوم** (١٧٣٦ - ١٨٠٦) ، **وفولتا** (١٧٤٥ - ١٨٢٧) ، **وأمبير** (١٧٧٥ - ١٨٣٦) ، **وأوم** (١٧٨٧ - ١٨٥٤) ، **وفراداى** (١٧٩١ - ١٨٦٧) ، **وماكسويل** (١٨٣١ - ١٨٧٩) .. إلى آخر هذه الأسماء ، **وليس منهم نيوتن** .

وهكذا نرى **أحد فلاسفة التنوير** يعجز ـ حتى ـ عن مجرد صياغة ثلاثة أسطر علمية صحيحة وبدون أخطاء علمية فاحشة .. ثم يطلق عليه أحد رواد التنوير .. ***أى تنوير هذا ..!!!***

[٥٥] **سيد قطب** : كاتب ومفكر إسلامى مصرى ، له عدة مؤلفات دينية ، أهمها تفسير القران الكريم الذى يعرف باسم : " **فى ظلال القرآن** " . **حوكم فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر** (١٩٥٦ ـ ١٩٧٠) لآرائه .. **وأعدم** ..!!!

[٥٦] الفقرات الموضوعة بين هلالين فى هذا النص هى إضافات من كاتب هذا الكتاب للإيضاح ، وليست من ضمن النص الأصلى المستشهد به .

والعلم . ولكن هذا الإستبعاد يلزم منه تحويل مسار الرأسمالية المستندة إلى التنوير والعلم إلى مسار اخر يخرجها من عالم العلم والصناعة .

وقد تحولت هذه الرأسمالية المستنيره (الرأسمالية الغربية) إلى " **رأسمالية طفيلية** " (أى إلى رأسمالية إسلامية لا تعتمد على الربا) تقتات مما هو ضد العلم وضد العقل ، أى تقتات من كل ما يغيّب العقل . وليس لدينا ما يغيّب العقل سوى المخدرات (أى يعود لمقولة الدين أفيون الشعوب بوجه عام) فى شتى أنواعها وما يلازمها من تقوية للشهوات والأهواء ومن تعامل مع السوق السوداء ، الأمر الذى أدى إلى بزوغ ظاهرة جديدة هى ما يمكن أن يطلق عليها " رجل الشارع المليونير " أى أنه فى إمكان رجل الشارع أن يمارس عملية تراكم رأس المال بلا إنتاج . وتأتى تجارة المخدرات فى مقدمة هذه العملية .]

(إنتهى)

وفكر هذا الفيلسوف ليس فكرا شخصيا يعكس وجهة نظر خاصة بذاته . بل هو ــ فى الواقع ــ فكرا نمطيا ومتداولا ــ الآن ــ بين العلمانيين . وبديهى إن مثل هذا الفكر لا يستحق الرد ، لأنه من الواضح بعد العرض السابق لمفهوم **الأصولية** ، وبعد ما رأينا ما هو العلم ، وما هو الإسلام واحتواءه للعلم ، وما هى المسيحية وبعدها السحيق عن العلم ، بل وحتى عن العقل ..!!! **نرى أن فلاسفة التنوير : لا يدرون ما هى الأصولية .. ولا يدرون ما هو العلم .. ولا يدرون ما هو الإسلام ... ولا يدرون ما هى المسيحية ...!!!** ومع ذلك تجد منهم ، **من يعتقد** بأنه يتكلم فى كل هذه المواضيع باقتدار ، وبديهى سوف تكون النتائج التى ينتهى إليها لا قيمة لها ، ولا تستحق منا الرد . وعلى الرغم من ذلك ؛ يجد هذا الكاتب وأمثاله ، من يطلق عليهم اسم : الفلاسفة المفكرون .. ورواد التنوير فى مجتمعنا العربى المعاصر ..!!!

﴿ *قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)* ﴾

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٣ ــ ١٠٦)

ويكاد يكون من الغريب ــ حقا ــ أن لا يكون عدم وضوح الحق هو سبب رفض الإنسان للإيمان ، بل يقبع هذا الرفض أيضا ، فى كره الإنسان لهذا الحق الدينى . حيث يأتى هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ .. بَلْ جَاءهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) ﴾

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ٧٠)

أى أن **محمد** (ﷺ) قد جاء الناس بالحق ، ولكن أكثرهم كارهون لهذا الحق ..!!! وربما يشير هذا عن بعد إلى وجود جانب فى الفطرة البشرية يمثل " **كره الإنسان للحق الدينى** " .. كنوع من طبيعة الإختبار المقبل عليه الإنسان فى هذه الحياة ..!!! **فَكُرْه** الحق فى العقيدة هو جزئية من قانون فطرى عام لدى الإنسان ، ممكن أن يكون فرع من قانون " **مقاومة التغيير** " ، وخصوصا إذا ما تعارض هذا الحق مع هوى النفس أو مصلحة الإنسان . وهكذا يصبح هذا القانون العام هو جزء من ابتلاء واختبار الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ..

﴿ .. لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٦٥)

وهكذا يصبح الدين ليس بترفا فكريا قد يؤخذ به أو قد لا يؤخذ به ..!!! بل هو قمة الإدراكات الفكرية المؤهل بها الإنسان لهذا الغرض ، لأنها غايات من الخلق ..!!!

٤ . ٢ والعلمانية ... أو " الديانة العلمانية ... والتنوير "

ثم نأتى إلى العلمانية وقصتها ؛ حيث نجد أن فكرها ينبع ــ أساسا ــ من الثورة العلمية على تعاليم الديانة المسيحية وطقوسها ، ولا علاقة لتعاليم للإسلام بها لا عن قرب ، ولا عن بعد ..!!! ويؤرخ الغرب أن ظهور العلمانية قد بدأ مع بداية " **التنوير : Enlightment** " الذى أتى

به القرن السابع عشر ، وذلك مع اكتشاف **نيقولا كوبرنيكوس** [٥٧] الفلكى البولندى لدوران الأرض والكواكب حول الشمس ، وحول هذا المعنى يقولون ..

" بيد أن الإنتقال ــ إلى العلمانية ــ كان فى جوهره تعبيرا عن نقلة فكرية يمكن تحديدها بعام ١٥٤٣ ، وهو العام الذى صدر فيه كتاب من تأليف **نيقولا كوبرنيك** بعنوان " **فى دورات الأفلاك السماوية** " (**On the Revolutions of the Heavenly Spheres**) . وهذا التاريخ يمكن أن يعتبر حدا فاصلا بين نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث ، إذ هو حدث أعمق من حادثة استيلاء الأتراك على القسطنطينية أو إكتشاف **كولومبوس** لأمريكا " [٥٨] .

وكلمة علمانية (**Secularism**) [٥٩] مشتقة من الكلمة اللاتينية سايكيلوم (Seaculum) وهى تعنى فى لاتينية العصور الوسطى " **العالم** " أو " **الدنيا** " فى مقابل " **الكنيسة** " . وفى الماضى كان يشار إلى **علمنة ممتلكات الكنيسة** ، بمعنى نقلها إلى سلطات سياسية دنيوية غير خاضعة لسلطة الكنيسة . وبمضى الوقت أصبحت العلمانية مرادفة لكلمة " **الدنيوية** " التى هى الترجمة الأكثر دقة لكلمة " **سيكيولاريزم** " . وفى **اللغة الأردية** يستخدم مصطلح " **الدنيوية** " فى التعبير عن العلمانية .

والمعنى المتغير للعلمانية ، يجعل بعض معتنقيها يقوموا بإلغاء الدين وتقديم شأن الدنيا وإعلائه فوق أى إعتبار آخر ، أو بمعنى آخر " **نزع القداسة : Desanctification** " عن كافة الظواهر بما فى ذلك الإنسان ذاته ، بحيث تصبح ــ الظواهر ــ لا حرمة لها ، كما ينظر لها نظرة مادية لا علاقة لها بما وراء الطبيعة . أو بمعنى آخر ؛ أن العالم له وجود مكتف بذاته ، كما يحوى داخله كل ما يكفى لتفسيره ، بغض النظر عن أى شىء خارجه .

---

[٥٧] نيقولا كوبرنيكوس **Nicolaus Copernicus** (١٤٧٣ – ١٥٤٣) ، فلكى بولندى ؛ يعتبر أبو الفلك الحديث . وهو الذى أسس النظرية التى تقول بأن " **الأرض كوكب متحرك** " ، وقال بأن الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس وحول نفسها . وفى وقت **كوبرنيكوس** كان أغلب الفلكيون يقبلون نظرية " **بطلميوس** " (القون الثانى للميلاد) التى تقول بأن الأرض ثابتة فى مركز الكون ، وأن جميع الأجرام السماوية تدور حولها .

[٥٨] " **الأصولية والعلمانية** " ، د. مراد وهبه ؛ دار الثقافة . ص : ٤٦ .

[٥٩] **هناك فرق بين : " العلمانية : Secularism " و " العولمة : Globalism " ؛ فـ " العولمة " يمكن تعريفها : " بأنها التوحيد الاقتصادى والسياسى والثقافى القسرى للعالم " . فإذا ما استثنينا كلمة " قسر " من هذا التعريف السابق (حيث لا إكراه فى الدين) ، يصبح " الإسلام " دعوة صريحة " للعولمة البشرية " باعتباره المنهاج الصادر عن الله (ﷻ) الذى يسمح للإنسان بتحقيق الغايات من خلقه ، وبالتالى نيل الخلاص المأمول .**

والرؤية العلمانية لا تكترث كثيرا بوجود " الإله " أو عدمه . فقد تفترض وجوده ، كما يمكن أن تعتبره غير موجود . والمعتدلون من العلمانيين هم الذين يعترفون بوجود الإله ، والمتطرفون هم الذين ينكرونه . ولكن كلاهما يتفق على استبعاد الغيب وكل ما يتصل به عن الوجود . **والمعرفة عندهم مصدرها الحواس والعقل ، والأخلاق لا تؤسس إلا على هذه المعرفة وحدها .**

ومثل هذا القول يحوى فى طياته تناقضات داخلية ، لأن القول بأن المعرفة مصدرها العقل إنما تعنى إمكان البرهنة على وجود الغيب ، ولكن قصور الفكر العلمانى من جانب ، وقصور الخلفية العلمية للعلمانى ذاته من جانب آخر ، هما اللذان لا يؤهلان العلمانى بالبينات الكافية للبرهنة على وجود هذا الغيب . والكاتب لن يكون مبالغا ، إذا لفت نظر العلمانى إلى أن الظواهر الحسية الظاهرة تشير بوضوح إلى وجود مثل هذه العوالم الغيبية التى يتنكر لها ..!!! فالقضية ــ إذن ــ تصبح كلها مرتبطة إرتباطا وثيقا بجهل العلمانى فحسب .

وهكذا تصبح المعرفة ــ من وجهة النظر العلمانية ــ هى " **المعرفة للمعرفة** " ، فهى معرفة بلا غايات . أما القول بأن " **المعرفة غايتها هو تحقيق سعادة الإنسان** " ، فهو قول ليس قاصرا فحسب ، بل هو قول خاطىء أيضا ، لسبب بسيط جدا هو أن " **متصل سعادة الإنسان** " فى الزمان والمكان مقطوع عن مفردات تكوينه . **أو بمعنى آخر ؛ أنه ليس للفرد من عمر البشرية إلا ما تبقى له من عمره هو ، وليس ما تبقى من عمر البشرية .. وأى تقدم علمى مستقبلى ــ ناتج عن أبحاث المعرفة ــ لن يستفيد منه إنسان اليوم فى شىء ..!!!**

فالإنسان يولد منفردا .. كما يموت منفردا بعد زمن بالغ القصر ، فهو لحظات بالقياس إلى الزمن الجيولوجى ، أو هو ثوان فى زمن التاريخ البشرى . فما قيمة الكلام ــ إذن ــ عن " سعادة الإنسان " ، والفرد يعلم أن نهايته هى الموت ..!!! كما يعلم ، على الرغم من تظاهره بالجهل بهذا ، بأن اللحظة التالية قد تحمل فى طياتها الموت ، تماما كما تحمل اللحظة الحالية الموت لآخرين مثله ..!!! فالإنسان هو ذلك الفرد الذى يحمل بين طياته حكم بالإعدام الصادر عليه .. وهو ذلك الفرد الذى يتجول فى هذه الحياة وهو منتظر تنفيذ حكم الموت فيه ، فى أى لحظة من اللحظات ..!!!

ثم يأتى ذلك الفيلسوف القاصر فكريا ليقول للإنسان : لقد جئتك لأحقق لك السعادة التى ترجوها .. فاسأل تجاب ..!!! وبديهى ليس هناك معنى لسعادة يمكن تحقيقها لمن ينتظر تنفيذ حكم الموت فيه ، فى أى لحظة ..!!! ولم يتجاوز موقف الفيلسوف ومع من يتجاوب معه .. عن موقف الأعمى الذى جاء ليقود أعمى آخر .. فكلاهما مقطوع عن رؤية الآخر .. كما وأن كلاهما مقطوع عن رؤية الوجود الباد للعيان .. فمن يقود من ..؟!

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : التكوير {٨١} : ٢٦ - ٢٨)

[**إن هو إلا ذكر للعالمين** : أى ما القرآن المجيد إلا تذكرة وموعظة للعالمين / **لمن شاء منكم أن يستقيم** : أى لمن أراد منكم تحرى الحق والصواب]

إن الباحث عن السعادة فى هذه المأساة .. كالباحث عن ماء فى صحراء قاحلة .. يحيط به السراب من كل جانب ويعلم أنه هالك ..!!! وبديهى كلنا يعلم حال الإنسان عندما يعلم أن ساعته قد دنت وأن نهايته قد حانت .. فمن منا الذى يستطيع مواجهة الموت بشجاعة ..!!!

وعلى الجانب الآخر ؛ فإن المعرفة التى يوجهها النص الدينى تصبح معرفة هى ذات غايات محددة .. بل هى معرفة تحتمها الغايات من الوجود وتكون دليل صدق على وجود الخالق المطلق ، **فهى المعرفة الصادره عن الخالق لتحقيق تواصل الإنسان به ..**

ونذهب إلى الموت ، قمة خوف الإنسان وإنفعالاته ، بديهى لا يُحل لغزه بسفسطة كلامية ، بل يحل لغزه بيقين معرفته ..!!! أى لا يتلاشى الخوف من الموت **إلا بإدراك الإنسان اليقينى لما يحدث له عند الموت وبعده** . ولا نجد هذا اليقين إلا فى الديانة الإسلامية فقط . ويعرض المولى (ﷻ) **قضية التحرر من الخوف على نحو مطلق** ، ومنها **الخوف من الموت** فى القضايا الإختبارية (أى التى يمكن التحقق من صدقها بالإختبار) التالية فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٤) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ

بالتى هِىَ أحْسَنُ فَإذا الَّذى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوةٌ كأنَّهُ وَلِىٌّ حَميمٌ (٣٤) وَما يُلَقَّاهَا إلَّا الَّذينَ صَبَروا وَما يُلَقَّاها إلَّا ذُو حَظٍّ عَظيمٍ (٣٥) وإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ بِاللَّهِ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ (٣٦) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٣٠ - ٣٦)

ويتراوح تنزيل الملائكة على الإنسان بين الإلهام ، أو القذف الروحى ، أو القذف القلبى .. حتى يصل الأمر إلى ظاهر النص الحرفى .. ولكلٍ مقام ..!!!! ***إن الدين ليس ترفا فكريا قد يؤخذ به أو لا يؤخذ ..!!!!***

ثم نأتى إلى من يقوم بتعريف العلمانية بأنها [٦٠] **: " التفكير فى النسبى بما هو نسبى وليس بما هو مطلق " ، وتصبح الأصولية الدينية ــ أيا كانت من هذا المنظور ــ ما هى إلا المحاولة المبذولة لجعل ما هو نسبى .. مطلقا " .**

وتعريف بهذا الشكل إنما يعنى أن العلمانية ترى أن الدين ــ أيا كان ــ هو فكر نسبى محض ، وتصبح الأصولية الدينية هى " **التعصب الدينى لدى أفراد الفئة** " لجعل هذا الفكر الدينى النسبى فكرا مطلقا ، وتعميمة بالقوة على الآخرين . وتعريف بهذا الشكل هو تعريف قاصر ؛ وقصوره ــ فى الواقع ــ ينبع من كونه يمثل " **حلقة مغلقة : A Closed Loop** " يصبح الفكر أسيرا فى داخلها لا يقوى على مغادرتها . **بمعنى إنك إذا حاولت الدفاع عن الدين من جانب ، فإنك سوف تصبح أصوليا دينيا من جانب آخر** ..!!! فإذا قلت ــ مثلا ــ أن هذا التعريف ، هو تعريفا صحيحا إذا ما استثنينا منه الديانة الإسلامية ، فإنك بقولك هذا سوف تقع فى ضمن دائرة الأصولية الدينية ، بمعنى أنك قد تجد من يقول لك بتهكم شديد أو بسخرية ..!!!! هكذا ــ يا صديقى ــ يقول الكل عن دياناتهم ..!!!! بأنها الصحيحة وديانات الآخرين باطلة ..!!!! فهذا هو التعصب الأعمى بعينه .. إنك ــ إذن يا صديقى ــ أصوليا دينيا ..!!!!

فإذا ما وضع هذا نصب عينينا ، وإذا ما استثنينا مفهوم **الحلقة المغلقة** السابق الإشارة إليه ، فإن " ***الإسلام*** " يمكن أن يعرّف ، على نفس الغرار السابق بأنه : " **التفكير فى المطلق بما هو مطلق ، وليس بما هو نسبى " ، وتصبح العلمانية ، هى المحاولة المبذولة لجعل ما هو**

[٦٠] **الأصولية والعلمانية** " ، مراد وهبه ؛ دار الثقافة . ص : ٣٥ .

obeikandi.com

مطلق ، فكرا نسبيا . أو بمعنى آخر : أن تصبح العلمانية هى المحاولة المبذولة لمساواة المطلق بالنسبى ، أو تقزيم (من قزم) اللامحدود إلى المحدود ..!!!

وحتى لا يكون هناك شائبة شك حول فكر " **تبادل المواقع بين ما هو نسبى ، وبين ما هو مطلق** " ، فإنه ينبغى الإتفاق على تعريف " **المطلق الدينى** " بشكل نهائى وقاطع . وقد سبق مناقشة هذا " **المطلق الدينى** " فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، كما سبق مناقشته فى الكتاب السابق [61] فى صورة " **سبعة عشر شرطا** " مصاحبة للنص الدينى لكى يكون هذا النص الدينى " **نصا مطلقا** " وصادرا عن الخالق المطلق (ﷻ) .

ولن ندخل هنا فى مناقشات فلسفية عائدها تخصصى بحت ، ولكن ننتهى هنا **بتلخيص الفكر العلمانى ، وهو الفكر الذى استقر عليه أكثر العلمانيين ، ويتلخص هذا الفكر فى النقاط العشر التالية :**

١. إن الإنسان حيوان طبيعى/إجتماعى جزء من الطبيعة .
٢. على الإنسان حصر إهتماماته بقضايا العالم والطبيعة ، لا العالم الآخر وما وراء الطبيعة .
٣. تَبَنّى " الدين الطبيعى " [62] الذى اخترعه العقل ، لا " الدين السماوى " ، ورد الشعور الدينى إلى الخوف الخرافى .
٤. تحرير العقل من سلطان الدين ، ليكون سلطانه مطلقا .
٥. إحلال العلم محل الميتافيزيقا ، وإحلال التجربة الحسية محل المعرفة النقلية والوجدانية .
٦. إعتبار الفكر وظيفة الدماغ ، فالمادة مصدر الفكر ، وليس هناك نفس للإنسان .
٧. جعل الإنسان هو " المطلق " بدلا من الله والدين .
٨. أستنبالط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية لا من الدين . وجعل السعادة واللذة ، وليس الفضائل الروحية ، هى معيارها .
٩. إحلال " الإجتماعية " محل " الدينية " سبيلا للسعادة الدنيوية .

---

[61] " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[62] **تُعَرّف** " الديانة الطبيعية " باسم " مذهب الربوبية : Deism " : وهو المذهب الفكرى الذى يدعو إلى الإيمان بدين طبيعى مبنى على العقل لا على الوحى ، حيث يقول هذا المذهب بأن الله قد خلق الكون وهو يجرى الآن بدون تدخل منه . تماما كما تقول بأن صانع الساعة قد صنعها ، وهى تجرى الآن بدون الحاجة إليه بعد أن صنعها .

١٠. رد القوانين إلى أصول فيزيقية وتاريخية ، لا إلى الشريعة الدينية . وتحرير الإنسان من السنن الإلهية .

وهذه هى العناصر العشرة التى يتبناها " **الفكر العلمانى** " الآن . وهى تمثل فى حقيقية أمرها بنود " **الديانة الوضعية** " الجديدة التى إنتهى إليها الإنسان معتمدا فى ذلك على فكره المجرد ، بعد أن استبعد ــ من حساباته ــ مبدأ الوحى الإلهى كمصدر للدين الصادر عن الخالق لهذا الوجود .

وفى الواقع كما سنرى ؛ فإن هذه البنود العشرة تمثل ــ فى ما تمثل ــ " **قمة قصور الفكر الإنسانى وعجزه** " **ليس فقط تجاه الدين ، بل وعجزه أيضا تجاه العلم . كما تقدم شهادة صدق بالغة الوضوح على العجز الكامل للفكر البشرى فى تفسير أو تقديم أى حل حول معنى وجود الإنسان ومصيره من جانب ، كما تؤكد على أن الإنسان لا يستطيع أن يحيد بدون " دين وتدين " ، من جانب آخر ، مهما كان هذا الدين ، حتى وإن كان نصا ناقصا لبعض فقرات هزيلة لوصف جزئية محدودة من هذا الوجود ..!!! وهكذا يفشل الإنسان ــ فى ما يفشل ــ ببنوده العشرة السابقة فى رؤية بانوراما الوجود على وجه مطلق ..!!!** ***لهذا يأتى قوله تعالى .. لتنبيه البشرية العاجزة بحالها ..***

﴿ .. قُلْ هَلْ عِندَكُم مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨ - ١٤٩)

فهى غايات من الخلق .. العقل والعلم مطلوبين فيها بكامل نسيجهما المتناغم ..!!!

وأريد أن أؤكد ــ وكما أكرر ذلك دائما ــ على أن هذه البنود العشرة إنما هى الناتج الطبيعى أو **هى الثمرة الطبيعية التى تمخضت عنها التجربة الدينية المريرة للإنسان مع جميع الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى** . وانسحاب نتائج هذه التجربة الدينية الفاشلة على الديانة الإسلامية بدون دراسة علمية وجدية هادفة ، لينتهى منها الإنسان إلى هذا المعنى بحياد كامل ، هذا إذا ما أخلص النية لمعرفة الحقيقة المطلقة ..!!!

وعودة بنا إلى بنود العلمانى العشرة .. ذلك التائه الضال ..

فنجد البند الأول منها يقول : (**أن الإنسان حيوان طبيعى/إجتماعى جزء من الطبيعة**) .
وبهذا المعنى ؛ قام الفكر العلمانى ــ ببساطة شديدة ــ باستبدال " الله " بالطبيعة فى قضية وجوده وخلقه ، كما أصبح يؤمن بوحدة الوجود . فبديهى ؛ مهما أوغل الإنسان فى إنكار وجود الخالق ، وحتى إذا ما أغفل وجود : " **النفس والروح** " فإنه لن يستطيع أغفال " **المادة** " و " **القانون الطبيعى أو القانون الفيزيائى** " الذى تخضع له المادة فى تشكيل الإنسان ذاته . وبهذا المعنى يكون العلمانى قد اعتقد فى أن " **المادة** " و " **القانون الطبيعى** " **... هما الإله الخالق له ..!!! ولم يكلف العلمانى نفسه عناء التفكير : فيمن خلق أو فيمن أوجد المادة ؟! وفيمن خلق أو أوجد القانون الطبيعى ؟!** وإذا ما قال بأنهما أوجدا نفسهما بنفسهما ، فيكون بهذا المعنى قد أسبغ ــ العلمانى ــ تعريف الإله عليهما ، أى على " **المادة** " و " **القانون الطبيعى** " ، أى هما الإله الخالق له ..!!!

وهكذا لم يتنبه هذا العلمانى ــ فى واقع أمره ــ إلى أنه لم يكف عن " **الإعتقاد فى وجود الإله** " ..!!! ولكن " **إلهه** " هذا أصبح ــ الآن ــ هو **المادة والقانون الطبيعى** ، أى " **الثنائى القدوس** " ، **إن جاز لنا استعارة هذا التعبير من المسيحية ..!!! وربما ينتهى الأمر ، مع مرور الوقت ، بالإنسان بعبادة ذلك الثنائى ــ القدوس ــ بطريقة أكثر وضوحا من الطريقة المستترة الآن ، بل ويمكن أن يصبغ على هذا الثنائى الوحدانية أيضا ..!!! وهنا سيجد العلمانى نفسه ، فى مأزق فى عبادته .. وربما لن يبدأ عمله ــ فى ما بعد ــ إلا بقوله : باسم المادة والقانون الطبيعى .. إله واحد آمين ..!!!**

وبديهى ؛ فإن هذا " **الإله** " ، أى المادة والقانون الطبيعى ، هو " إله " لا يعى ماذا يفعل ؟! كما وإنه " إله " لا يدرى ماذا خلق ؟! لأن الحياة قد انبثقت منه ــ من وجهة نظر العلمانى ــ بالصدفة البحته . أى لا تخطيط مسبق من جانب هذا الثنائى القدوس لخلق الحياة ، كما وأن ــ هذا الإله ــ ليس له غايات من خلق الإنسان ..!!! **وبديهى ؛ هى ديانة لا تختلف كثيرا ــ فى مفهومها ــ عن عبادة الأصنام ولكنها ديانة يصبح طقسها الوحيد هو : " هوى النفس " ..!!! ويمكن تسميتها باسم : " الديانة العلمانية " ...!!!**

وتعود دائرة الحياة للتكرار ..!!! أى أن إنسان العصر الحديث يعود الآن ، بعد رحلة حضارته الطويلة مع العلم ..!!! إلى عبادة الأصنام مرة أخرى ، كما كان يعبدها أسلافه سابقا مع بداية الحضارات . **وبديهى ؛ لكل عصر منطقه (His Logic) الخاص بعبادة الأصنام ..**

كما وإن لكل عصر منطقه الخاص ــ أيضا ــ فى شكل الصنم ..!!! ثم تبقى نقطة أخيرة لم تزل مفتوحة فى هذا البند ، وهى أن العلمانى لم يستطع أن يقدم لنا أى تفسير خاص عن وجود الفطرة الأخلاقية لدى الإنسان ، وعن الوعى الفطرى لدى الإنسان بوجود الإله ، وعن وجود الفطرة الدينية ، وعن وجود الفطرة الإجتماعية ... وقل ما شئت عن وجود الإدراك والنفس والروح ... والفطرات القابعة في داخل النفس البشرية . وهى الفطرات التى يعتبرها الفلاسفة من البراهين الدالة على وجود الله [٦٣] (ﷻ) ، وهو الظاهر فوق كل ظهور ..!!!

ثم نأتى إلى البند الثانى من البنود العشر السابقة " **للديانة العلمانية** " وهو : (**حصر الإهتمامات الإنسانية بقضايا العالم والطبيعة ، لا العالم الآخر وما وراء الطبيعة**) . وهو بند يعنى ــ فى ما يعنى ــ قصور **الفكر العلمانى** ليس أمام الدين فحسب ، بل وقصوره أيضا أمام العلم الذى يتشدق به ويدعى معرفته . فالمشكلة أن العلمانى ــ فى واقع أمره ــ لا يدرى من أمور العلم إلا قشرة رقيقة من ظاهر سطحه .. كما جاء فى قوله تعالى فى وصفه لهم ومن على شاكلتهم ..

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : الروم {٣٠} : ٧)

فالعلمانى لا يعلم أن " الدين علما " **..!!!** كما لا يعلم أن المنهاج العلمى يحوى ــ فيما يحوى ــ القدرة على البرهنة القاطعة على صحة الدين ، وعلى صحة وجود الأكوان المتراكبة ، وعلى صحة وجود الحياة الآخره . فالدين ليس مشكلة قدرية بالنسبة للإنسان ، قد يؤمن به الإنسان أو قد لا يؤمن . بل الدين ــ فى حقيقة أمره ــ هو " **قضية الغايات من الخلق** " ، فهو قضية سعى الإنسان لإدراك حقيقته وحقيقة الوجود معا . **واحتواء الدين للقضية العلمية هو ضرورة تحتمها حل " لغز الوجود "** ، إن جاز لنا استعمال هذه التسمية .

فالدين هو " **قضية علمية كلية** " يمكن البرهنة على صحته إذا كان صحيحا ، كما يمكن البرهنة على خطأه إذا كان خاطئا . وبهذا يخطىء العلمانى عندما يقفز إلى النتيجة التى تقول بأن

---

[٦٣] أنظر البراهين الدالة على وجود الله ، عز وجل ، منذ التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر ، والبراهين المناظره لها ، كما جاء بها القرآن المجيد ، فى : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

الديانات خاطئة على وجه مطلق بدون برهان . فالعلمانى هنا ، يكون قد حاد عن المنهاج العلمى الذى يتشدق بمعرفته ، وهو لا يدرى أنه لا يدرى من أمر العلم شيئا ..!!!

وهناك جانب اخر هام ؛ هو عدم دراية الفكر العلمانى بوجود ديانة صحيحة (هى الديانة الإسلامية) التى **تطلب من الإنسان الإهتمام بقضايا العالم والطبيعة كما يقولون** ، ولكنها لا تقف بالإنسان عند هذه الحدود الضيقة من المعرفة والفكر المادي ، بل تحرره من هذه القيود المادية وتطلقه فى أفاق أخرى لعوالم لا نهاية لها .. عوالم فيما وراء هذا العالم المادى .. وفيما وراء الطبيعة ..!!! بل وتعتبر ــ الديانة الإسلامية ــ أن علم الإنسان الفيزيائى ومنهاجه ، ومنطق الإنسان الرياضى وأسلوبه .. إنما هى المقدمة لهذا الوجود الآخر .. ودليل صدق على وجود هذه الآفاق اللامتناهية والعوالم الأخرى ، التى تمثل الإمتداد الطبيعى لعالمنا المادى وطبيعتنا هذه ..!!! ولهذا كان قوله تعالى للبشرية عن العلم والبرهان العلمى ..

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

و " **الآفاق** " فى الآية الكريمة السابقة تشير إلى المتناهى العلمى ، والمتناهى الزمانى ، والمتناهى المكانى (أو الزمكانى) . و" **الحق** " فى الآية الكريمة يشير ــ فى أحد معانيه ــ إلى القرآن المجيد ، وفى معانى أخرى يشير إلى الله (ﷻ) نفسه ، وفى معنى اخر يشير إلى الدين الإسلامى .

فالعلم ــ إذن ــ من المنظور الإسلامى يجب أن يقدم ــ فيما يقدم ــ البرهان الكاف على وجود هذه العوالم الأخرى التى يتنكر لها العلمانى (نظرا لقصور فكره العلمى) ، وإلا فلا قيمة لعقل ، ولا قيمة لعلم ، ولا قيمة لمنطق رياضى ..!!!

فالعقل والعلم والمنطق الرياضى قد أودعها الله (ﷻ) جميعا منه .. فى الإنسان ليخدموا أغراض بعيدة وأهداف عليا .. هى التعرف على دلائل القدرة المطلقة لله (ﷻ) ، والتأكيد على وجود الغايات من الخلق . فالعقل والعلم والمنطق هم من أهداف للوجود ، ومن أهداف التحقق من أن للخلق غايات .. فهم الطريق الحق إلى المعرفة الحقة .. لله (ﷻ) ؛ وقد خلقوا من أجل هذه الغايات .

وتعلو الفم إبتسامة شفقة .. وتملأ العين دمعة حسرة .. على هذا العلمانى الضال .. عندما يقول ــ فيما يقول ــ أن العلم هو الطريق الذى يؤدى إلى إعراض الإنسان عن الدين .. وأن العلم هو الطريق الذى يؤكد على عدم وجود الله ..!!! وما كان العلم ليكون هكذا ويطلب منا **المولى** (ﷻ) ــ نحن ذلك الإنسان العاجز ــ الدعاء بالإستزادة من العلم .. كما جاء فى قوله تعالى لرسوله الكريم ..

﴿ .. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١١٤)

فالعلم ــ إذن ــ يكاد يكون الطريق الوحيد للبرهان المادىعلى وجود الله (ﷻ) ..!!! وهكذا لا يدرى العلمانى ــ فى ما يدرى ــ أن العلم هو منحة أو هبة " الله " (ﷻ) للإنسان ، وهو العامل الحاسم فى تحقيق الإنسان للغايات من خلقه . فهل يمكن بعد هذا أن يسمى .. ما يتشدق به العلمانى .. " **علما** " ..!!! فالذى لم يدركه العلمانى والإنسان الغربى معا ــ حتى الآن ــ أن **التناهى العلمى** لابد وأن يقود إلى المعرفة اليقينية لله (ﷻ) . وبديهى ؛ تقود معرفة الله (ﷻ) ، إلى الخشية من الله ، ليتحقق بذلك القانون الطبيعى المحيط فى العلماء ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ .. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٢٨)

فهل يمكن بعد هذا أن يسمى العلمانى نفسه : **عالما** ..؟! ضعف الطالب والمطلوب ..!!! ولا يريد العلمانيون التنبه إلى كل هذا .. لهذا كان قوله تعالى لهم ومن على شاكلتهم ..

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأنفال {٨} : ٢٣)

أى أسمعهم بالقرآن ...!!!

ولابد لى أن أنوه هنا إلى أنه ــ فى مقابل المنظور العلمى الواضح والصريح فى الديانة الإسلامية ــ لا يوجد منظور علمى فى الديانة اليهودية أو المسيحية .. بل أن الديانة المسيحية نفسها تحض على الجهل وتروج له بشكل مباشر [٦٤] ..!!!

ثم نأتى إلى البند الثالث الذى يقول : (تَبَنِّى " الدين الطبيعى " الذى اخترعه العقل ، لا " الدين السماوى " ، ورد الشعور الدينى إلى الخوف الخرافى) . وقد يعلم العلمانى أو لا يعلم أن فكر " **الديانة الطبيعية : Natural Religion** " [٦٥] ، هو فكر نابع ــ أساسا ــ من الفلسفة التنويرية (**The Englightenment**) التى ظهرت فى القرن الثامن عشر . وهى الفلسفة التى **تمثل تمرد الفكر البشرى على وثنيات الفكر الدينى اليهودى والمسيحى** ، وقالت ــ هذه الفلسفة ــ بأنه يجب إصلاح ما أفسدته الكنيسة . وقد كان من بين أهم برامج الإصلاح لدى **فلاسفة التنوير** برنامج " **الإصلاح الدينى : Religious Reform** " ، وفيه حاولوا **فصل الأخلاق عن اللاهوت والميتافيزيقا** . كما إعتبروا أن التطبيقات الكنسية خاطئة ، واعتقدوا أن " **الديانة الطبيعية** " هى الديانة الصحيحة . وهى الديانة **التى تعنى بالإيمان المبنى على العقل** ، **والتى تقول بوجود إله خالق ، ولكنها لا تعترف بوجود الوحى السماوى** (بديهى كما يجىء به الكتاب المقدس) . كما أكدوا على ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة . ولم تقدم هذه الفلسفة أى معلومة إيجابية عن الله .. كما لم يتجاوز فكر فلاسفتها فى **الديانة الطبيعية** عن فكر الفطرة البشرية عن وجود الله ، والحاجة إلى التدين فحسب ..!!!

وهكذا يصبح هذا البند هو الناتج المباشر لتجربة الغرب الدينية مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، والتى انتهى منها ــ الغرب ــ بشكل قاطع إلى وثنية وخرافة تلك الديانتين [٦٦] . وبديهى ؛ عندما يرفض العلمانى " **الدين السماوى** " ، فإنه ــ فى حقيقة أمره ــ يرفض الديانات الوثنية ، متمثلة فى الديانتين اليهودية والمسيحية من جانب ، وباقى الأديان الوثنية الأخرى من جانب آخر . وبديهى ليس **للديانة الإسلامية** أى علاقة من بعيد أو قريب بمثل تلك الوثنيات الفكرية الخاصة بالأديان . ويبقى الشموخ ــ فى ما يبقى ــ فى قوله تعالى ..

---

[٦٤] *أنظر تذييل رقم ١ من الفصل السابع من هذا الكتاب ، لبعض نصوص الكتاب المقدس عن العلم .*

[٦٥] وتُعَرَّف " الديانة الطبيعية " باسم " مذهب الربوبية : Deism " : وهو المذهب الفكرى الذى يدعو إلى الإيمان بدين طبيعى مبنى على العقل لا على الوحى ، حيث يقول هذا المذهب بأن الله قد خلق الكون وهو يجرى الآن بدون تدخل منه . تماما كما تقول بأن صانع الساعة قد صنعها ، وهى تجرى الآن بدون الحاجة إليه بعد أن صنعها .

[٦٦] أنظر الفصل الخامس من هذا الكتاب . وأنظر ــ أيضا ــ التفاصيل فى كتاب : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ؛ لنفس المؤلف .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٨)

[ظهيرا : معينا ، أى اجتمعوا على عقل كائن واحد]

وليس فى الأمر تحدى أو خلافه .. فلا تحدى بين الخالق والمخلوق ..

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ١٦)

ولكنها غايات من الخلق ..!!!

وتتمثل الإستحالة فى الإتيان بمثل هذا القرآن فى كونه أن : " **الوجود مركب على الصياغة القرآنية ، وليست الصياغة القرآنية مركبة على الوجود . أو بمعنى آخر أن القرآن يمثل الدستور الإلهى الأول أو الإبتدائى ، الذى بنى على أساسه الوجود الكلى ــ فيما بعد ــ بتفصيلاته المختلفة** [٦٧] " . والوجود ــ هنا ــ له معناه المطلق ، وهو المعنى الذى يحوى كوننا هذا ، كما يحوى الأكوان الموازية ، وفيما وراء ذلك ..!!!

ومن يملك أن يقول ــ فيما يمكن أن يقال ــ والقول وحده لله الخالق المتعال ...

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ٥١)

---

[٦٧] لن نتعرض هنا ، لمناقشة " **مشكلة أزلية القرآن أو أنه حادث وغير أزلى** " ، لأن نفى أو إثبات جزئية هذه المشكلة (والتى كانت تعرف بإسم " **فتنة خلق القرآن** ") ، أعتقد أنه لا يفيدنا كثيرا . وقد سببت هذه المشكلة قديما ، خلافا بين **أهل السنة والمعتزلة** (وهما من الفرق الإسلامية) . **فقالت السنة بأزلية القرآن ، بينما قالت المعتزلة بأنه مخلوق وغير أزلى** . وكان من ناتج هذا الخلاف أن قام الخليفة المأمون ــ الذى إقتنع برأى المعتزلة ــ بإيداع الإمام أحمد بن حنبل ، أحد أئمة السنة الأربعة ، فى السجن (لمدة أربعة عشر شهرا) ، ثم أفرج عنه بعد ذلك . ووجهة نظر أهل السنة فى هذا أن الكلام هو من صفات الله تعالى ، وأن **الصفة الإلهية شىء مضاف إلى الذات الإلهية وأنها أزلية مثله** ، وبذلك يكون كلام الله ــ أى القرآن ــ قديم وأزلى بأزلية الله ــ سبحانه وتعالى ــ وإنه غير مخلوق فى زمن معين فى التاريخ . بينما كان المعتزلة يقولون بأن الصفة هى " عين الذات " أى أنها ليست مضافة إلى الذات ، وبالتالى يمكن أن يتكلم ــ أى يوجد القرآن ــ حين يشاء ، وبالتالى فهو مخلوق وغير أزلى . كما كانوا يقولون بأن الإعتقاد فى قدم القرآن إلى جانب قدم الله هو شرك .

ثم تبقى كلمة أخيرة فى هذا البند عن .. **رد الشعور الدينى إلى الخوف الخرافى ..!!!** أقول بأن هذه العبارة هى قول طبيعى جدا .. فهى ناتج طبيعى من كون الفكر الغربى قد سلم بخرافة ووثنية الأديان ، **مستمد قوله هذا من تجربته المباشرة مع الديانتين اليهودية والمسيحية** . فبديهى ؛ طالما أن الشعور الدينى لا يمكن تفسيره إلا بوجود الدين ، وطالما قد ثبت للفيلسوف الغربى بأن الأديان ما هى إلا خرافات ووثنيات فكرية (من واقع تجربته السابقة) ، فبديهى لابد وأن يكون الشعور الدينى هو الاخر : إما يكون خرافة ، أو هو فكر لا أساس له فى أرض الواقع . ولما كان الواقع يفرض نفسه على الفيلسوف ويؤكد أن الشعور الدينى هو حقيقة كامنة فى النفس البشرية لا يمكن إنكارها ..!!! لهذا لا سبيل آخر أمام الفيلسوف الغربى إلا أن ينسب هذا الشعور الدينى إلى الخوف الغير واع والمقطوع عن الواقع الحسى ، أى إلى **الخوف الخرافى ..!!!**

ونأتى إلى البند الرابع الذى يقول : (تحرير العقل من سلطان الدين ، ليكون سلطانه مطلقا) . وهو نص مباشر آخر ، كناتج حتمى من تجربة الإنسان المباشرة مع الديانة المسيحية وحجرها على الفكر البشرى ..!!! وبديهى ؛ نص كهذا لا يتفق مع " **الديانة الإسلامية** " على أى نحو ، كما سبق وأن بينا . فالديانة الإسلامية تحرر عقل الإنسان من كل ما يقيده ، بل وتطلق ملكاته الفكرية فى حدود لا نهاية لها . وليس هذا فحسب ، بل تساعد الإنسان ــ أيضا ــ على كيفية تخطى حواجز المحدود لتطلقه فى آفاق لا نهائية لها فى عوالم متراكبة لا نعرف عنها إلا شذرات عن بعد ..!!! وليس هذا فحسب ؛ بل أن الديانة الإسلامية تعتبر تناهى الفكر البشرى وعلمه يلزم أن يكون هو المعرفة المباشرة " لله " (ﷻ) ، كما سبق وأن بينا ...

ثم نأتى إلى البند الخامس الذى يقول : (إحلال العلم محل الميتافيزيقا ، وإحلال التجربة الحسية محل المعرفة النقلية والوجدانية) . أقول ــ هنا ــ بأنه لا معنى لكلمة " **إحلال** " فى شطرى هذه الصياغة . فالعلم الفيزيائى هو المقدمة لما وراء الفيزياء ، أو هو المقدمة للميتافيزيقا . فالفيزياء وفيما وراء الفيزياء (أى الميتافيزيقى) ينبعان من مشكاة واحدة ، وليس هناك معنى لكلمة " **إحلال** " لأنهما يمثلان عنصرى المتوالية أو المتسلسلة الواحدة . وكلمة " **إحلال** " فى الشطر الثانى من الصياغة السابقة ، ليس له معنى هو الآخر ، لسبب بسيط هو أن التجربة الحسية هى الدليل المادى على صدق المعرفة الحدسية أو الوجدانية . فالعلم ــ فى واقع الأمر ــ هو إلهام أو قذف إلهى (أو هو حدس) والتجربة المادية هى دليل صدق هذا الحدس .

فعلى سبيل المثال نجد أن " **قانون الجذب العام** " قد صاغه نيوتن أولا بالحدس (أو التخمين) ، ثم أثبتت التجارب فيما بعد صحته . و" **معادلة شرودنجر الموجية : Schrodinger Wave Equation** " ، أساس " **ميكانيكا الكم** " قد استنتجها شرودنجر على أسس عقلانية بحته ، ثم أثبتت التجارب ــ فيما بعد ــ صحتها ، بعد أن أتفقت القياسات المعملية مع النتائج المستنتجة من هذه المعادلة . و" **النظرية النسبية الخاصة** " تعتمد على مسلمتان ليس لهما برهان ، ولكن القياسات أثبتت صحة نتائجهما ، وبالتالى صحتهما . و " **النظرية النسبية العامة** " [٦٨] تعتمد على مسلمة ليس لها برهان ، أثبتت أيضا القياسات الكونية صحة نتائجها ، وبالتالى صحتها ..!!! إن العلم يزخر بمثل هذه القوانين التى صيغت أولا ، بقذف إلهى أو بإلهام باطنى أو حدس ، ثم ثبت فيما بعد صحة هذه القوانين من التجارب المعملية والقياسات الكونية التى أكدت صدق هذا الحدس . وعلى هذا فصياغة مثل هذا البند ، لا يعكس سوى جهل الإنسان بموقفه من العلم ومن معناه الفيزيقى والميتافيزيقى ..!!!

ثم نأتى إلى البند السادس الذى يقول : " **إعتبار الفكر وظيفة الدماغ ، فالمادة مصدر الفكر ، وليس هناك نفس للإنسان** " . هنا يقفز العلمانيون إلى نتيجة لم تحسمها الفلسفة بعد وهى " **نظرية المعرفة : Epistemology** " . وقد أنتهى الفلاسفة إلى أن المعرفة تتكون من عنصرين : معرفة ذاتية (Subjectivity) ، ومعرفة موضوعية (Objectivity) ، والعلاقة بينهما هى أساس نظرية المعرفة ، أو المشكلة الإبستومولوجية (Epistemological Problem) . وقد قسم الفلاسفة " **مبحث المعرفة** " إلى ثلاثة مذاهب أساسية هى :

- **المذهب التجريبى أو الواقعى** : وفيه يتم إرجاع كل معرفة إلى التجربة أو الواقع . وفى هذا المذهب فإن العقل قبل التجربة يكون بمثابة صفحة بيضاء ، ثم تطبع عليه الحقائق الخارجية ــ بعد التجربة ــ بدون أن يكون للعقل أى فاعلية أو تأثير على هذه المعرفة .
- **المذهب العقلى** : وهو عكس المذهب السابق ، وهذا المذهب يعتبر أن العقل هو مصدر المعرفة ، وهو الذى يصدر عنه كل علم حقيقى .
- **المذهب النقدى** : فهو محاولة الجمع أو التوفيق بين المذهبين السابقين . وذلك بتفسير المعرفة بأنها تحوى عنصر صورى يرجع إلى طبيعة العقل ، وعنصر مادى يتمثل فى المدركات الحسية .

ولم تحسم الفلسفة بعد هذه القضية ..!!! فكيف حسمها العلمانى ، وعلى أى أساس صاغ عبارته السابقة ..!!!

---

[٦٨] سبق التعرض لهذه المسلمات فى الفصل الثانى ؛ ص : ٩٠ .

ثم نأتى إلى البند السابع الذى يقول : " **جعل الإنسان هو " المطلق " بدلا من الله والدين** " . ودعنا نبدأ هذه القصة .. بمقولة الفيلسوف الألمانى **فريدريك نيتشه** [٦٩] :

" إن الإله قد مات ، وسيظل ميتا ونحن الذين قتلناه "

وبديهى ؛ بعد موت الإله ، لم يجد **نيتشه** لديه إلا الإنسان .. فيضعه **نيتشه** فى مكان الإله [٧٠] ، ويبشر **نيتشه** بمجىء الإنسان الأعلى .. أو السوبرمان ..!!! **وموت الإله** من وجهة نظر " **فلسفة نيتشه** " ، كما يصفها فلاسفة اخرون ، معناه تحرر الإنسان من الدين ، ولكنهم يضيفوا قائلين .. بأن هذه الفلسفة ، قد أدت بالإنسان إلى **عصر العدمية (Nihilism)** [٧١] ، وبذلك لم يعد للإنسان إلا ذاته . وتأكيد الإنسان لنفسه أو إثباته لذاته يقوم على خلفية أساسية ، هى إننا موجودون فى **عالم عبثى لا معقول (Absurd)** [٧٢] ليس فيه " إله " ، **ولا غايات من الخلق**

---

[٦٩] **فريدريك نيتشه : Friedrich Nietzsche** (١٨٤٤ - ١٩٠٠) ؛ فيلسوف ألمانى ، يعتبر من وجهة نظر كثيرين من الفلاسفة أمثال " **مارتن هيدجر** " (١٨٨٩ - ١٩٧٦) و " **كارل يسبرز** " (١٨٨٣ - ١٩٦٩) ، أحد المؤسسين الأوائل ، أو على الأقل ، أحد المفكرين الأوائل الذين مهدوا الطريق إلى " **مذهب الوجودية الحديثة** " . وقد بشر " **نيتشه** " بـ " **الإنسان الأعلى** " أو " **السوبرمان** " ، بعد أن مات الإله على يديه . وبديهى القول **بالسوبرمان** ، هى دعوة للتميز المتطرف بين البشر . ولهذا كان **نيتشه** يتطلع إلى ميلاد أخلاقيات جديدة تنصر الأقوياء على الضعفاء ، وتزيد من اللامساواة الإجتماعية ، بل وتخلق نوعا معينا من القسوة ، ولهذا كان **نيتشه** عدوا صريحا للديمقراطية وللعقلانية التى تقوم على أساسها . (أنظر تفاصيل أخرى فى تذييل رقم ٢ من الفصل السادس من هذا الكتاب) .

[٧٠] أنظر تذييل رقم ٩٧ من الفصل الخامس ، حول هذا المعنى .

[٧١] **العدمية (Nihilism)** ؛ هى **فلسفة** ترفض القيم والمعتقدات التقليدية وتقول بأنها باطلة ولا أساس لها من الصحة ، كما تقول بأن الوجود لا معنى له ولا غناء فيه . **والعدمية** بهذا المعنى قديمة ، وقد قال بها بعض الهراطقة فى القرون الوسطى ، ومن ثم اتخذت معانى متفاوتة عبر العصور . كما قال بعض **العدميين** بأن المبادىء الأخلاقية لا أساس موضوعيا لها ، وقال البعض الآخر بأن الأحوال فى المجتمع هى من السوء بدرجة تجعل من الهدم مرغوبا فيه لذاته وبمعزل عن أى برنامج إنشائى أو بناء . وقد انتشر استخدام هذا المصطلح فى الأوساط الأدبية والسياسية الروسية خلال القرن التاسع عشر بعد أن روج له **تورغنيف** فى تصويره لشخصية " **بازاروف : Bazarov** " فى رواية " **الآباء والأبناء : Fathers and Sons** " (عام ١٨٦٢) . وقد دعت بعض الفئات العدمية الروسية إلى الإصلاح الثورى فى روسيا ، واستعانت فى ذلك بالإرهاب والإغتيال .

[٧٢] **العبثية (Absurdism)** ؛ هى **الفلسفة** التى تقول بأن الإنسان موجود فى عالم **لاعقلانى وخالى من المعانى** . وجاء " **ألبير كامى : Albert Camus** " (١٩١٣ - ١٩٦٠) الذى عمل على تطوير لون من الوجودية سمى باسم " **وجودية العبث واللامعقول** " ، واعتبر " **سيزيف : Sisyphus** " رمزا للجنس البشرى . **وسيزيف** هذا حسب الأسطورة اليونانية القديمة ، هو مؤسس مدينة " **كورنثه** " ، وهو شخص دنىء وبخيل وغادر ومماكر ... وسىء السمعة ، حكمت عليه الآلهة بالذهاب إلى الجحيم ، لكنه استطاع أن يخدع " **هاديس : Hades** " إله العالم الآخر ويهرب منه . فحكمت عليه الآلهة **بأن يقضى** أيامه **يدحرج** أمامه **حجرا ويصعد به إلى قمة الجبل حتى إذا ما اقترب من القمة أفلت منه الحجر واندفع هابطا إلى السفح ، ويكون عليه أن يعاود الكرة من جديد ، وهكذا بلا إنتهاء** ..!!! وهكذا كان " **كامى** " يرى أن جهود الإنسانية لا معنى لها فى هذا العالم العابث اللامعقول ، وهى جهود تشبه فى معناها جهود **سيزيف** التى لا طائل من وراءها . أنظر كذلك الفلسفة الوجودية فى : " **الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان** " ؛ **لنفس المؤلف** .

أو الوجود . وعلى الرغم من أن " نيتشه " كان ينحدر من أسرة إكليركية (أى كنسية) ، حيث كان والده قسيسا وكان معظم أجداده من أمه وأبيه من رجال الدين المسيحى (أى أنه كان ذى خلفية دينية مسيحية واضحة) ، إلا أنه لم يكن يقصد بكلماته هذه إلا الديانة المسيحية نفسها ، ولهذا نجده يؤكد على هذا بقوله ...

" ***إن الإيمان المسيحى معناه الإنتحار المتواصل للعقل البشرى*** [٧٣] "

ويردد العلمانى ــ بدون عقل ــ ما ردده نيتشه من قبل ، ولم يدرك العلمانى ــ فيما يدرك ــ أن نيتشه ما قال هذا ، إلا كناتج طبيعى من تجربته الفكرية الأليمة التى خاضها مع الديانة المسيحية ..!!! وهكذا ، لم توصد الديانتين اليهودية والمسيحية طريق الدين أمام المفكرين والفلاسفة فحسب ، بل جعلتهم يكفرون بكل ما هو دينى على نحو مطلق أيضا ..!!!

ثم نأتى إلى البند الثامن الذى يقول : " أستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية لا من الدين . وجعل السعادة واللذة ، وليس الفضائل الروحية ، هى معيارها " .

سبق التعرض فى المرجع السابق إلى أن " **البرهان الأخلاقى** " ، أى وجود الفطرة الأخلاقية لدى الإنسان ، هو أحد البراهين الدالة على وجود " الله " (ﷻ) ، وعلى وجود الغايات من خلق الإنسان وإلا لما ركبت هذه الفطرة فيه وعلى هذا النحو . كما سبق وأن بينت ، أن الأخلاق ليست فكرا نابعا من معايير نفعية كما تنادى بهذا الفلسفة البراجماتية . فقد تكون الجريمة والإبادة البشرية ــ كما سنرى فى بقية هذا الفصل ــ هى الناتج الطبيعى والمباشر للمعايير النفعية لدى الإنسان .

أما التكلم عن السعادة واللذة .. فهو قول يثير الشفقة أيضا .. إذا ما كانت السعادة واللذة مقصورة على تحقيق أهداف مادية فحسب ..!!! فقد يتحقق للإنسان ــ فعلا ــ لذة مادية ما ، ولكن سرعان ما سيجد الإنسان نفسه ــ بعد تحقيقها ــ داخل سجن حقيقى لا متعة فيه ولا سعادة ..!!! وقد يرى الانسان ــ كما يحدث أحيانا ــ أن لا مخرج له من هذا السجن إلا إلى التخلص من الحياة نهائيا (بالإنتحار) .

---

[٧٣] " **الوجودية** " ، جون ماكورى ؛ ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة د. فؤاد ذكريا . دار الثقافة للنشر والتوزيع . صفحة : ٧٤ /٧٥ .

وحتى نتبين معنى هذا البند عن كثب ؛ دعنا نحلل حركة الإنسان ــ فى هذا الوجود ــ عن قرب . ففى الواقع ، يتحرك الإنسان فى حياته نحو تحقيق " **أطوار خمسة** " متدرجة فيما يعرف باسم " **مراتب الإحتياجات : Hierarchy of Needs** " ، ويأتى ترتيبها زمنيا وتحقيقيا ، على النحو أو النسق التالى :

- **تحقيق : الإحتياجات الأساسية (Basic needs)** : فالإنسان ــ بادىء ذى بدء ــ لابد وأن تكون حركته فى الحياة مستغرقة بشكل كامل نحو تحقيق إشباع إحتياجاته الأساسية ، والتى تشمل إشباع غرائزة الأساسية من : مأكل ومشرب ومأوى وجنس ..!!! وبعد تحقيق هذا الإشباع يتجه الإنسان ــ عادة ــ إلى التطلع نحو الدخول فى المرحلة الثانية ..
- **تحقيق : الأمن الذاتى (Security needs)** : وفى هذه المرحلة ؛ يتجه الإنسان نحو تحقيق أمنه المادى بمعناه الشامل لتأمين مستقبله . وهنا يظهر الميل نحو الإدخار ــ عادة ــ فى سلوكه . ويشترك الإنسان فى هذا السلوك مع الحشرة والحيوان فى هذه المرحلة . حيث نجد الحشرات ــ النمل مثلا ــ يقوم بتخزين الطعام فى فصل الصيف تحسبا لفصل الشتاء ، الذى ينقص فيه الغذاء بشكل مباشر .
- **تحقيق : الإحتياج الإجتماعى (Social needs)** : وفى هذا الطور يحاول الإنسان إشباع رغبته فى أن يكون عضو هام فى داخل أو وسط الجماعة ، كما يحاول ــ عادة ــ أن يحظى بتقدير البيئة المتاخمة ما استطاع .
- **تحقيق : الإحترام الذاتى أو القيمة الذاتية (Self Esteem)** : وهى ما يعنى أن الإنسان يسعى لأن يكسب إحترامه لذاته ، تلك الذات المميزة عن ذات الآخرين . ولن يتحقق له هذا إلا إذا أحس أن ما يؤديه لا يستطيع أن يؤديه الآخرين . وبعد تحقيق هذه المرحلة يتجه الإنسان ببصره نحو تحقيق المرحلة الأخيرة .. وهى ..
- **تحقيق : " تحقيق الذات " (Self Actualization)** : حيث يخرج الإنسان من نطاق ذاته لتشمل البحث عن تحقيق هذه الذات ، بترك بصمة واضحة ــ إن أمكن ــ فى البشرية أو التاريخ البشرى .

وعلى الرغم ، من إتفاق العلماء على تدرج هذه الاحتياجات ، وسعى الإنسان على تحقيقها على الترتيب الإشباعى النمطى السابق ، إلا أننا قد نجد من يأتى على البند الخامس مباشرة ، أى على بند " **تحقيق الذات** " على الرغم من إنه لم يحقق إشباعا ما للبنود الأربعة السابقة عليه ..!!! وعادة ما يكون هذا هو حال العلماء والفلاسفة الذين يتركون بصمة واضحة فى التاريخ البشرى ..!!!

ولنا أن نتنبه إلى أن جميع الأطوار السابقة إنما هى تدور فى فلك **الفردية والأنانية الذاتية للإنسان** ، وهى ما يعنى بأنه إذا لم يحكم هذه التطلعات الأنانية والذاتيه القانون الأخلاقى الإلـهى المنظم ، الذى يقصر حركة الفرد على الخير عند سعيه لتحقيق هذه الأطوار ، فقد يلجأ الفرد إلى تحقيق هذه البنود السابقة بطرق غير مشروعة ..!!! وليس هذا فحسب ؛ بل يمكـن أن يكـون الإنسان هو **ذلك الوحش الكاسر المدمر أو المبيد للآخريـن** .. الذيـن يحولـون دون تحقيـق اشباعاته الذاتية وأنانيته الفردية التى تصل فى مستواها ــ فيما يمكن أن تصـل إليـه ــ إلـى مستوى فكر الغرائز الحيوانية ..!!! وما أكثر أن نرى مثل هذا الفكر متحقق فـى كثـير مـن المجتمعات الإنسانية ، ولكن تصبح هذه الظاهرة واضحة المعالم فى حكام الـدول المتخلفـة ، والدول الديكتاتورية ورجال الحكم فيها ..!!! وهكذا ننتهى إلى أن هذا البند لا يعكس ــ فيمـا يعكس ــ إلا قصور الفكر العلمانى وقصوره فيما آتى به ..!!!

ثم نأتى إلى البند التاسع الذى يقول : " إحلال " الإجتماعية " محل " الدينيـة " سـبيلا للسعادة الدنيوية " . ثم إلى البند العاشر الذى يقول : " رد القوانيـن إلـى أصـول فيزيقيـة وتاريخية ، لا إلى الشريعة الدينية . وتحرير الإنسان من السنن الإلهية " . وحتـى نتجنـب تكرار الشروح ، فإنه هذين البندين سوف يتضح الرد عليهما كناتج طبيعى من مناقشـة بـاقى قضايا هذا الفصل .

وهكذا ننتهى من تحليل بنود " **الديانة العلمانية** " ، إلى " **قصور الفكر العلمانى ذاتـه** " ، متأثرا فى هذا إلى التجربة الخاصة التى خاضها الإنسان مع الأديان الوثنية ــ وفـى مقدمتـها الديانتين اليهودية والمسيحية ــ والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى ، وانسحاب نتائج هـذه التجربة على الديانة الإسلامية بدون التروى الكافى من جانب ، ورفض الإنسان دراسـة الديـن الإسلامى الدراسة العلمية العقلية المتأنية من جانب آخر . وهذه التجربة الفاشلة ــ أيضا ــ هـى التى أدت بالإنسان إلى رفض الأديان والتدين على نحو ظاهرى فقط .. لأن الحقيقة أن الإنسـان مازال متدينا ، ولكنه يعبد الأصنام ..!!! سواء أدرك هذا أم لم يدرك ..!!!

وكما سبق وأن بينت ــ وأكرر هنا ــ أن " **القضية الدينية** " لا ينبغى لها أن تكـون " **قضيـة نسبية** " ، بل يجب أن تكون " **قضية مطلقة** " . فـ " **نسبية القضية الدينية** " إنمـا تعنـى ــ ببساطة شديدة ــ عدم إتساقها الذاتى (Self-inconsistent) مع نفسها ، وهو ما يعنى أن يفقـد الوجود غاياته .. كما يصبح خلق الإنسان لا هدف ولا معنى له سوى العبث الإلهى ، كما قـال

بهذا الفيلسوف الألمانى " **نيتشه** " ..!!! وليس هذا فحسب بل يفقد الخالق هويته أيضا ، بل ويصبح الخالق متغيرا وليس سرمديا (واقعا وبالتعريف) ، وهو ما يتناقض مع الكمالات الإلهية ..!!!

وننتهى من هذه الفقرة ، بأن المعنى الوحيد الذى يقول بأن " فلانا " فيلسوف تنويرى مسلم لا يدل على شىء ــ إن دل ــ إلا على جهل هذا الفيلسوف وعدم درايته بالإسلام ، وبالعلم ، وبالتنوير .. فى مقابل الفكر الكنسى المظلم بلا حدود ..!!!

وهكذا الفلاسفة لم تتجاوز حركتهم ، حركة من تاه فى ما لا يعلم ليحكم بدون دراية فى لا يعلم ، بل ويعتقد فى صحة أحكامه على الرغم من كونه فاقد القدرة بشكل نهائى فى الجانبين .. حول رؤية الوجود .. والهدف النهائى من رحلة الحياة ..!!!

ويوصد الباب مع الفلسفة .. وتنتهى الفلسفة إلى طريق مغلق .. لتنتهى إلى اليأس القاطع فى معرفة أى شىء .. عن أى شىء ..!!! عن معنى الوجود .. وعن معنى الغايات من الخلق .. وعن معنى ..

﴿ ... اللَّـهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

(القران المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

[**الواحد القهار** : أى هو القادر على قهر عباده بالإيمان بما يريده ويبغيه ... ولكنها غايات من الخلق ...!!!]

وتدور دائرة الحياة (The circle of life) للتكرار .. ونردد نداء نوح (عليه السلام) لربه ..

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

(القران المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

[**فرارا** : تباعدا ونفارا عن الإيمان / **استغشوا ثيابهم** : بالغوا فى التغطى بها كراهة لنوح ، حتى لا يروه]

٥ . فلسفة ... ما بعد الفلسفة ...

الكَاوِسْ والتَشَظّى والشَيْطَان الأعظَمْ ...

ثم تأتى " **فلسفة ... ما بعد الفلسفة** " تتهادى إلى ساحة الفكر .. وهى فلسفة ــ كما سنرى حالا ــ لم تأت إلا بلغو لفظى لا قيمة له .. ولا حكمة فيه ..!!! ففى الواقع ؛ كنت لا أنوى التعرض لهذه الفلسفة ــ **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** ــ بهذا التوسع النسبى ، لولا تعرض هذه الفلسفة **للديانة الإسلامية بطريقة توهم القارىء بأن هذه الديانة لم تعد قادرة على ملاحقة التطور السريع والمتلاحق فى العلوم الطبيعية ، ليس فقط من خلال الفكر البالى الذى تقدمه لنا ، بل أيضا من خلال اللغة القديمة التى كتبت بها .**

فكما تقول هذه الفلسفة : "*لم تعد لغتنا القديمة تختزن فى جوفها الإبداع الفكرى ، لأن بقوالبها القديمة ومعانيها المنصرمة لا تستطيع أن تنتج الإبداع والتفوق الجديد*" ؛ كما تضيف قائلة : بأن التطور العلمى الحديث والمعاصر قد أدخل لغة جديدة نبعت من المكتشفات العلمية الجديدة ، لا قبل للديانة الإسلامية على ملاحقتها ، نظرا لأنها ــ أى الديانة الإسلامية ــ قد كتبت بلغة قديمة لا تتناسب مع لغة العصر الحالى ..!!!

وبديهى القول بأن اللغة الدينية هى لغة قديمة [٧٤] إنما **يعنى ــ فيما يعنى ــ الآتى :**

- **أولا : عدم ثبات الفكر الدينى** بالنسبة لتطور الإنسان ، وتطور حضارته .
- **ثانيا : عدم ثبات الخالق** ، كناتج طبيعى من عدم ثبات الدين لأن الخالق هو مصدر الدين . وبديهى فى هذا تناقض مع صفة الثبات التى ينسبها الخالق (ﷻ) لنفسه .
- **ثالثا** : أن الخالق عند تنزيله للدين لم يأخذ فى الإعتبار التطور الذى سوف يلحقه ــ **هو** ــ على الإنسان مخلوقه ، وبالتالى لم يأخذ فى الإعتبار التطور الذى سوف يلحقه ــ **هو** ــ على اللغة التى سوف يطور بها الإنسان مخلوقه . وفى هذا تناقض مع صفة الإحاطة العلمية بكل شىء التى ينسبها الخالق (ﷻ) لنفسه ...!!!
- **رابعا** : من منظور آخر ؛ يمكن القول بأن الإنسان (المخلوق) يتطور بشكل مستقل عن إرادة (الخالق) أو بطريقة لا علاقة لها بالخالق . وبالتالى فإذا ما قلنا ؛ بأن الخالق قد قام

---

[٧٤] أنظر كذلك " **الفصل الثامن** " من هذا الكتاب ، عن اللغة والنظريات الخاصة بنشأتها .

بإيحاء الدين إلى أنبيائه ورسله ، ولم يأخذ فى الإعتبار أو لم يتنبه الى التطور الذى سوف يلحق باللغة كناتج طبيعى من تطور الإنسان نفسه ، فإن الدين ــ من هذا المنظور ــ يصبح مناسب لفترة زمنية محددة ومحدودة فقط ، وهى الفترة المناسبة لما قبل تطور الإنسان فحسب . أما الآن ــ وبعد كل هذا الكم التراكمى الذى أضافه الإنسان للعلم ــ أصبح الدين يلهث وراء علم الإنسان .. ولا يطاوله ..!!! وبهذا المفهوم يصبح تفوق الإنسان على الخالق هو أمر من الأمور الواضحة والمسلم بها الان ..!!!

وبهذه المفاهيم السابقة يصبح التخلص من الدين ــ بشكل أو بآخر ــ هى من الأمور الحتمية . وبهذا المعنى يصبح التمسك بالدين هو أمر لن ينتج عنه إلا التخلف والقهر .

وتضيف فلسفة ... ما بعد الفلسفة [٧٥] فتقول :

لقد ... [أظهر التطور السريع المتلاحق للعلوم الطبيعية ، وبالتالى العلوم الإنسانية ، بأن مقولات الفكر القديم التى اخترعها العقل اليونانى (حتمية ، لوجوس ، نظام ، منطق صُورى ، جدل ، ثنائية ، ، أزواج ، التباسية المعنى ... إلخ) **واستثمرها العقل العربى الإسلامى** ، والعقل الغربى المسيحى ، **أصبحت عاجزة عن تفسير ، وحتى تأويل ، ما استجد وانبثق من تجارب حديثة وما ظهر فى الكون من ظواهر معقدة ومركبة . فالحلف القديم ، على حد تعبير جاك مونود قد انهار ، وعرف الإنسان فى النهاية بأنه وحيد ملقى فى الكون الذى انبثق منه بالصُّدفة . هذا الوضع المأسوى جعل الإنسان يفكّر فى قراءة جديدة للكون المتمدد المتباعد ، وإيجاد مُسَلَّمَات أخرى يفسّر بها الخطاب الدينى والطبيعى والفلسفى .**]

(إنتهى)

وهنا يقع الفيلسوف الكاتب ، فى النص السابق من هذه الفلسفة ، فى سلسلة طويلة من الأخطاء الواضحة .. منها :

أولا : أنه لم يتنبه إلى أنه لا يوجد أدنى علاقة مهما صغرت أو كبرت بين الفكر الإسلامى ، وبين الفكر ــ الفلسفى ــ اليونانى القديم أو حتى الفكر الحديث منه (هذا إن وجد شيئا حديثا) .

---

[٧٥] " ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتَنَطّى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ٧ ، ٩ .

وهذا يؤكد على أن الكاتب ليس لديه دراية كافية عما جاء فى نصوص الديانة الإسلامية . وأزيد ؛ بأن كل ما يوجد من علاقات ما .. بين الفكر ــ الفلسفى ــ اليونانى القديم ، وبين الفكر الإسلامى ، هو أن الفكر اليونانى القديم استطاع معرفة بعض الأفكار القليلة والمشوشة عن الفطرة البشرية فحسب ، ومما ورد ذكره فى الفكر الإسلامى (أى فى فكر القرآن المجيد) بشمولية كبيرة وإحاطة متعالية ، ولهذا **قُدِّرَ لهذا الفكر** (أى الفكر اليونانى القديم) البقاء [٧٦] .

فالواقع ؛ أن الفلاسفة اليونان القدماء لم يقدموا للإنسانية شيئا .. سوى ــ شىء ــ من الفطرة فى بعض الأحيان وفى أبسط معانيها فحسب ، ولكنهم أخطأوا ــ فى أغلب الأحيان ــ فى معظم ما كتبوه عن صفات الله وخصائصه ، ولهذا لم يقدموا للعالم أى جديد يمكن أن يعول عليه عن معرفة حقيقة الإنسان ، وعن معرفة حقيقة الله (ﷻ) ، وعن معرفة الغايات من الخلق .

أما قول الكاتب بـ " **أن مقولات الفكر اليونانى القديم** " **<u>قد استثمرها الفكر المسيحى</u>** ، فقد أصاب الكاتب فيها تماما ، نظرا لوثنية هذا الفكر الدينى المسيحى . فكما سبق وأن بينت فى الكتاب السابق [٧٧] ــ ببراهين دامغة ــ بأن الديانتين اليهودية ليست سوى وثنيات فكرية لا غير ، لديانتين قدر لهما البقاء إعتمادا على قشرة خارجية رقيقة وهزيلة ، لا تمثل سوى حاجة الإنسان الفطرية إلى الدين والتدين ، وكذلك وجود الفطرة لدى الإنسان فى إدراك وجود الله (ﷻ) . وقد إنسحب حكم هذا الفيلسوف على الديانة الإسلامية ــ بدون وجه حق وبدون دراسة ــ من خلال أو منظور هذه التجربة الخاصة والفاشلة معا ، والتى خاضها الفكر البشرى مع الديانتين المسيحية واليهودية معا .

<u>ثانيا :</u> إن " **إطلاق** " معنى " **إستثمار الفكر الدينى السماوى للفكر اليونانى القديم** " ، لا تعنى إلا عدم وجود الدين .. سماويا كان أو غير سماويا ..!!! وفى أحسن الأحوال إذا ما أردنا الإحتفاظ بوجود فكر الدين السماوى فإننا نجبر على أن نقبل بأن " **الخالق** " ــ من هذا المنظور اللاواعى ــ يقوم بإقتباس ما يراه مناسبا من حكمة موجوده فى الفكر اليونانى القديم .. ليضيفها للديانة التى يوحى بها لأنبياؤه ورسله . وبديهى ؛ تفوح من هذه المقولة رائحة تفوق حكمة فلاسفة *اليونان القدماء على حكمة الإله الخالق لهم ولحكمتهم ..!!! لهذا .. يجىء قوله تعالى لهؤلاء العجزة ..*

---

[٧٦] أنظر " **نظرية الإحتواء** " فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

[٧٧] " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب . أنظر كذلك الملخص العام لتلك الديانتين فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

﴿ ... سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) ﴾

(القران المجيد : الزخرف {٤٣} : ١٩)

والحقيقة التى لم يدركها الفيلسوف الكاتب ؛ أن " **تفوق الفكر وتفوق الحكمة البشرية على فكر وحكمة الإله الخالق** " هو فكر نابع وبشكل مباشر من فكر الديانتين اليهودية والمسيحية معـــا ، فهو فكر نابع من نصوص العهد القديم (الجزء الأول من الكتاب المقدس) [٧٨] ..!!! ولهذا فإن الفيلسوف الكاتب لم يدرك معني الدين ، كما لم يدرك معنى الله (ﷻ) . ولهذا نراه يسوى بيـن الدين والنظم الفلسفية الوضعية . وليس هذا فحسب ، بل يقول بتفوق لنظم الفلسفية الوضعيـــة على النظام الدينى ..!!! ولم يدرك ــ فيما يدرك ــ أن نصوص الديانتين اليهودية والمســـيحية هما الدافع الأوحد للتأكيد على مثل هذه الأفكار ..!!!

فيجب التنبه إلى أن الدين ليس نظاما وضعيا من وضع الإنسان ، بل هو " علم " مصـــدرة " الله " (ﷻ) ، حتى وإن حُرّف الدين وشوه فيما بعد بمعرفة الإنسان ، الحامل لأمانـــة حفـظ النص الدينى . وبهذا لم يفهم ــ فيلسوف ... ما بعد الفسفة ــ " **معنى الدين** " ، كما لـــم يفـهم معنى " **دور الدين فى حياة الإنسان** " . وهو بهذا يغفل معنى " **الوحى الإلهى** "، بل ويجعـــل " **الفطرة الدينية فى الإنسان** " هى مصدرا للدين ، وهذا خطأ فادح اخر . فـــ " **الفطرة الدينيـــة** " لدى الإنسان إنما تعكس ــ فقط ــ إستعداد الإنسان نحو قبول الفكر الدينى أو التدين على نحـــو عام ــ ومن حيث المبدأ ــ وبدون تخصيص لمضامين ــ دينية ــ بعينها . أما " **الدين** " نفســـه ، فيجب العلم بأنه " **قضية علمية إخبارية إختبارية** " تحوى من القضايا الفرعية ما يلى :

- التعريف بالإله الخالق وبصفاته .
- التعريف بالغايات من خلق الوجود على وجه مطلق .
- التعريف بالغايات من خلق الإنسان " وجود ومصير " ، على وجه التخصيص .
- التعريف بالفعل الإلهى الكلى .
- إحتواء الدين على البراهين الذاتية ، والبراهين العامة الدالة على صدقه ، شأنه فى هذا شأن القضايا العلمية الأخرى .

---

[٧٨] أنظر المرجع السابق .

ومعنى أن " **الدين قضية علمية إخبارية إختبارية** " ، إنما تعنى أن الدين لابد وأن يحوى دليل صدقه بالمفهوم العلمى العريض للكلمة . ومعنى أن الدين " **قضية إخبارية** " إنما تعنى أن الدين يحوى المسلمة أو الخبر أو النبوءة ، ومعنى أن الدين " **قضية إختبارية** " إنما يعنى أن الدين عليه أن يقدم طرق الإختبار اللازم للبرهنة على صدق ما ورد به من أخبار وفروض أو مسلمات .. من خلال العقل الذى خلقه الله للإنسان لتحقيق والتحقق من هذه الغايات .

ثالثا : القول بأن الفكر الدينى : " **أصبح عاجزا عن تفسير ، وحتى تأويل ، ما استجد وانبثق من تجارب حديثة وما ظهر فى الكون من ظواهر معقدة ومركبة** " **هو قول لا ينطبق إلا على** الفكر اليونانى القديم ، والفكر الوثنى للديانات الأخرى .. كالمسيحية ، واليهودية ، والأديان الوضعية الأخرى ، كالبوذية والطاوية والكنفوسشية .. إلى آخره . أما فكر الديانة الإسلامية ــ أى فكر القرآن المجيد ــ فهو فكر لا يستوعب العلم الحديث لغويا وفكريا فحسب ، بل هو **فكر يستوعب الإنسان بِرمّته وكونه وظواهره** ، ويتعدى ذلك إلى العوالم الغيبية الأخرى ، التى لا قبل للإنسان ولا عهد بإدراكها ، إلا من خلال الفكر أو النص الدينى ذاته ..!!! وبديهى حتى أطمئن " **فلسفة ... ما بعد الفلسفة** " على صحة مثل هذا القول .. أقول ؛ بأن على الدين أن يقدم لنا البراهين الدالة والدامغة على ما يقول ، وهو ما تقدمه لنا ــ فعلا ــ الديانة الإسلامية . فهى تقدم لنا من البراهين العلمية ما تجعل التيقن من وجود مثل هذه العوالم حقيقة علمية لا تقبل الجدل .

وبديهى ؛ عندما تتمرد " فلسفة .. ما بعد الفلسفة " على الدين ــ بما فى ذلك الديانة الإسلامية ــ وتقول ..

أن .. [ظهور **الكسمولوجيات** [79] الحديثة والمتعددة ، وخصوصا كسمولوجيات الإنفجار الكبير ونظرية تمدد الكون وما نجم عن ذلك من اكتشافات فى الجزئيات الكونية والثقوب السوداء والنجوم المقزّمة والمنطفئة والمجرات المتباعدة و [illegible]واش الكونى ، كل ذلك يستدعى انعطافات جديدة فى الفكر على صعيد العلوم النظرية والتط[illegible]قية .]

---

[79] كلمة : " **كوسمولوجى** : Cosmology هى كلمة إنجليزية معر[illegible] ، تعنى " **علم الكونيات** " والدراسات الكونية المصاحبة . والمشاهد فى هذه الفلسفة هى انها دائمة الإستخ[illegible] للألفاظ ــ الأجنبية ــ المعربة وذلك على الرغم من وجود الكلمات العربية المناظرة لها ، والتى يمكن استخ[illegible] بدون صعوبة تذكر أو إخلال بالمعنى ؛ ومع ذلك تصر هذه الفلسفة على استخدام هذه الكلمات المعربة [illegible] [illegible]لى الإنطباع العام بقدم اللغة العربية أو الدينية ، وبالتالى الإيحاء بأنها أصبحت لغة لا تلاحق التطور [illegible] [illegible] العصر الحديث ، هذا بفرض " سوء النوايا " ، أما بفرض " حسن النوايا " فيكون فى المقابل هو [illegible] ... **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " ذاتها .

obeikandi.com

(انتهى)

أجزم بأن " **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " .. تتعامل بخطأ فادح مع الفكر الدينى الإسلامى . فهى تتعامل معه من خلال المنظور الفكرى للأديان الوثنية الأخرى . وهو ما يؤكد على عدم دراية الفيلسوف الكاتب بالحد الأدنى من الفكر العلمى الوارد فى الديانة الإسلامية . فقد سبق معالجة " **نظرية الإنفجار الكبير : The Big Bang Theory** " [٨٠] من خلال الفكر القرآنى ، بداية ومصير ، بتوسع غير مسبوق حتى الآن متجاوزا لفكر الكونيات الحديثة والمعصرة . وقد تمت معالجة هذه الأفكار بنفس اللغة التى يدّعى الفيلسوف بأنها لغة قديمة وغير معاصرة ، ولا تصلح لمواكبة التطور العلمى الحديث . وقد تم تقديم بعض من النبوءات العلمية التى لم ينتهى العلم بشأنها ــ حتى الآن ــ برأى قاطع **كبعد مطروح لعلماء الكونيات للبحث خلفه** .

رابعا : القول بأن اللغة المستخدمة فى النص الدينى قديمة ولم تعد تصلح لوصف ما استجد من تطور واضح قد انتهى إليه الإنسان ؛ هو قول يعكس قصورا واضحا فى فكر هذه الفلسفة أيضا ، إذا ما أخذ فى الإعتبار الآتى :

- نزول الدين فى زمن محدد بعينه .
- ثبات النص الدينى ، على الرغم من تطور الإنسان وتقدمه .

وبديهى أن نزول الدين فى زمن محدد بعينه فى التاريخ البشرى ، يجعل من هذا الزمن تاريخا زمنيا فحسب على إمتداد تطور الحضارة الإنسانية ، حيث لا توجد عودة للتصحيح ، وخصوصا إذا ما أعلن " **الخالق** " بأن " **الرسالة الإسلامية** " هى نهاية رسالاته إلى البشرية جمعاء ، كما جاء فى قوله تعالى للرسول (ﷺ) ليبلغنا بهذا ...

﴿ .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا .. (٣) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٣)

وكما جاء فى قوله تعالى ..

---

[٨٠] انظر كذلك الفصل الثامن من هذا الكتاب .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٤٠)

وبديهى والحال كهذا ؛ يصبح من المحتم على الخالق أن يكون إنتقاؤه للغة مبنى على أساس أن تحمل مفرداتها من المعانى الكلية اللامتغيرة ما يمكنها ليس فقط من أن تشمل الوجود الإنسانى فى زمن الرسالة فحسب ، بل أيضا ما يمكنها من أن تمتد لتشمل حضارات الإنسان المستقبلية ، وحتى نهاية الوجود . ودعنا نبين ما نقصده ببعض الأمثلة العملية ، فعن مراحل تكون وتطور الجنين فى داخل رحم الأم ، يقول المولى (ﷻ) :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١٢ - ١٤)

[من طين : من العناصر الأرضية / قرار مكين : مكان استقرار مثبت بإحكام / علقة : كلمة جامعة تعنى الصور المختلفة للزيجوت وتعلقه بجدار الرحم]

وهنا ؛ يقول عالم الأجنة الدكتور " كيث ل . مور " فى كتابه المعروف :

" تطور الإنسان : حقائق الجنين الطبية : بإضافات إسلامية " (الطبعة الثالثة) :
The Developing Human; Clinically Oriented Embryology
With Islamic Additions
Keith L. Moore; (Third Edition)

عن تطور مراحل تطور الجنين : " نظرا لكون مراحل تطور الجنين البشرى معقدة ، وذلك بسبب التغير المستمر الذى يطرأ عليه فى كل لحظة ، فإنه يصبح فى الإمكان تبنى نظام جديد فى تصنيف مراحل تطور الجنين باستخدام الإصطلاحات والمفاهيم التى ورد ذكرها فى القرآن والسُّنَّة . ويتميز هذا النظام الجديد بالبساطة والشمولية ، هذا إلى جانب إنسجامه التام مع علم الأجنة الحالى ، أى المعاصر " .

وهنا لا نصبح أمام لغة قديمة ، ولا نصبح أمام لغة حديثة فحسب ؛ بل نصبح أمام لغة تفرض وجودها وصياغتها على علم الإنسان المعاصر (أنظر تفاصيل أخرى فى الفصل الثـــامن) . وهو ما يعنى ــ فى الواقع ــ أننا أمام لغة يتم ضبط إيقاع المفاهيم الحديثة والمعـــاصرة علـــى مفرداتها ذات المعانى الكلية التى نزلت بها منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة . حيث وجد أن هـــذه المفردات ــ الدينية ــ تعبر بصورة أكثر دقة وشمولية عما انبثق عنه الفكـــر الإنســانى مـــن مفردات أقترحتها المكتشفات الحديثة . أو بمعنى آخر ؛ أن اللغة التى نزل بها الوحى الإلـــهى تعبر بصورة أكثر دقة عما إنتهى إليه الإنسان من مفردات لغويـــة فرضـــها العلـــم المعـــاصر ومكتشفاته على الإنسان ؛ وهو ما يعنى أن هذه " **اللغة الدينية** " ، فى الواقع ، تسبق زماننـــا ، بل وكل الأزمنة ..!!! وليس هذا فحسب بل تصبح اللغة الدينية ــ فى القران المجيد ــ تمثـــل التناهى العلمى للإنسان وتطوره ..!!! *ولهذا كان قوله تعالى لمخلوقاته ..*

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُـــلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

و " **الآفاق** " فى الآية الكريمة السابقة تشير إلى المتنـــاهى العلمـــى ، والمتنـــاهى الزمـــانى ، والمتناهى المكانى (أو الزمكانى) . و" **الحق** " .. فى الاية الكريمة يشير ــ فى أحد معانيه ــ إلى القرآن المجيد ، وفى معانى أخرى يشير إلى الله (ﷻ) نفسه ، وفى معنى اخر يشير إلـــى الدين الإسلامى .

ودعنا نضرب مثال آخر عن " **حداثة اللغة فى النص الإلهى** " ، أى فى القران المجيـــد ، فعندما سأل المشركون والمنكرون للبعث الرسول (ﷺ) عن مصير الجبال فى يوم القيامـــة ، جاء الرد الإلهى فى قوله تعالى ..

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) ﴾

(القران المجيد : طه {٢٠} : ١٠٥ - ١٠٧)

[**فيذرها** : يفتتها كالرمل ثم يطيرها بالرياح / **قاعا صفصفا** : أرضا ملساء ومستوية / **لاترى فيها عوجا** : لا ترى فيها إنحفاضا ولا إرتفاعا / **ولا أمتا** : ولا روابى أو نشوز كأنها لم تكن معمورة من قبل]

والآن ؛ كلنا يعلم أن فعل " نَسَفَ " ومشتقاته لم يتحدد معناه ، بل ولم يفهمه الإنسان بشكل كامل وواضح إلا بعد أن اخترع الكيميائى السويدى المعروف " **ألفريد نوبل** " [٨١] **مادة الديناميت فى عام ١٨٦٧** ، أى بعد نزول " **القرآن المجيد** " بأكثر من ١٢٠٠ سنة . ومع ذلك يأتى هذا الفعل " **نسف** " واثاره فى القران المجيد قبل أن يعلم الإنسان معناه إلا بعد نزول القران بأكثر من ألف ومائتين سنة . ونلاحظ معنى نسف الجبال ــ فى النص القرآنى السابق ــ يستلزم معنى أعتى أنواع الإنفجارات ، بما فى ذلك الإنفجارات الذرية . وتأتى صور أخرى من الإنفجارات بنص مباشر فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾

(القران المجيد : الانفطار {٨٢} : ٣ - ٥)

وبديهى لن تتفجر البحار إلا من خلال تفجر البراكين التى تتواجد فى قاع المحيطات . وهكذا لا تظل لغة القران غضة فحسب ، بل وتنبض بالحياة أيضا مع تطور الإنسان على مدى حضاراته المتوقعة ، وحتى نهاية وجوده على هذه الحياة [٨٢] . ولهذا يأتى **قوله تعالى** لينبه إلى أن تناهى تأويل مفردات القرآن المجيد ، إنما يعنى ــ فيما يعنى ــ نهاية التاريخ ، أو نهاية الجنس البشرى ..

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَو نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ٥٣)

---

[٨١] " **ألفريد نوبل** : **Alfred Nobel** " (١٨٣٣ – ١٨٩٦) ، كيميائى سويدى ، اخترع **الديناميت** عام ١٨٦٧ . وفى غضون سنوات قليلة من إختراعه ، أنشأ عدة مصانع على طول العالم لصناعة الديناميت ، وأصبح واحدا من أغنى أغنياء العالم . وفى نهاية أيامه أصبح مريضا وعصبيا بشكل زائد ، **وأخذ يتملكه الشعور بالذنب لأنه صنع مادة تسببت فى موت الكثيرين** . ولهذا خصص **نوبل** ما يوازى (٩ مليون دولار أمريكى) من ثروته ، يمنح عائدها السنوى كجوائز (تحمل اسمه : **جائزة نوبل**) تمنح لأى فرد ــ بغض النظر عن جنسيته ــ **يعمل على تخفيف ويلات وعناء البشرية** . **ويوجد ــ الآن ــ ستة جوائز لنوبل فى مجالات : السلام ، والطبيعة ، والكيمياء ، والطب ، والأدب ، والإقتصاد** (**بدأت جائزته منذ عام ١٩٦٩ فقط**) . وقدمت هذه الجوائز لأول مرة فى عام ١٩٠١ ، وهى تقدم بمعرفة **البنك المركزى السويدى** ، وتبلغ قيمة كل جائزة حوالى (٨٠٠,٠٠٠) دولار أمريكى .

[٨٢] لمزيد من الأمثلة يمكن الرجوع إلى الفصلين الثامن والتاسع من هذا الكتاب .

وهو ما يعنى أن تأويل القران بشكل نهائى ، أى إدراك معانيه وما تعنى اياته بشكل قاطع ، إنما تعنى نهاية الإختبار البشرى وإعلان النتيجة عن مدى استفادة الإنسان من عقله الذى أودعه الله (ﷻ) فى الإنسان ، وعلمه الذى منحه اياه .. على هذا النحو .. إنما ليحقق الإنسان الغايات من خلقه ..!!! **وهنا ينتهى التاريخ الإنسانى عند إدراك الإنسان للتأويل النهائى لمعانى القرآن المجيد ..**

ثم نعود إلى " **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " فنجدها تقول : " .. فالطف القديم ، على حد تعبير " **جاك مونود** " قد انهار ، وعرف الإنسان فى النهاية بأنه وحيد ملقى فى الكون **الذى انبثق منه بالصُّدفة** . "

ولكى نلقى الضوء على معنى أن الإنسان **قد انبثق من الكون بالصدفة** ؛ نقول بأن جميع النتائج النهائية ــ الآن ــ لجميع الباحثين قد أكدت على استحالة بداية الحياة فى الكون بطريقة عفوية أو بالمصادفة ، وقالت بضرورة وجود قوى سامية غير مادية قامت بإتمام هذه العملية . وقد قام العالم الألمانى " **ر. كابلان** " ــ فى عام ١٩٧٢ ــ بتقدير احتمال اجتماع البروتينات المناسبة فى جزىء إنزيمى محدد تتألف سلسلته الكيميائية ، مثلا من مائة حلقة من الأحماض الامينية ، فوجده إحتمال ضعيف جدا إلى درجة لا يتصورها العقل . فقد وجد أن هذا الإحتمال قد يحدث بالصدفة بنسبة : واحد إلى أكثر من مليون مضروب فى نفسه عشرين مرة (أى : واحد ، مقسوم على واحد وأمامه ١٢٠ صفر) ، وهو إحتمال يمثل الإستحالة بعينها ، إذا ما علمنا أن **عدد ذرات** الكون باسره لا يتجاوز قيمته عن واحد وأمامه ستة وسبعين أو وثمانين صفرا ..!!! وبناءا على هذا فإن إحتمال تكون جزىء إنزيمى واحد بالمصادفة يكاد يكون مستحيلا أو منعدما تماما .. ولابد لهذه العملية من وجود خالق كما تقرر بذلك الرياضة وعلماء الحياة . وإذا كنا نقول هذا عن مجرد احتمال تكون جزىء إنزيمى واحد ، فما بال الحال بتكون الإنسان ذاته وبكامل أجهزته [٨٣] ..!!!

وتُوَاجَهُ " فلسفة ... ما بعد الفلسفة " بالفطرة الدينية لدى الإنسان ، فنجدها تقول [٨٤] :

---

[٨٣] انظر " **الفصل الثامن** " من هذا الكتاب .

[٨٤] " **ما بعد الفلسفة** " الكاوس ، والتشظّى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١١٦ .

" إن نصوص الأديان الكبرى تبدو معقدة فى تركيبها ، بحيث تمتزج الثقافة اللغوية والثقافة العلمية مع النص الدينى فيصعب تفكيكه وإرجاعه إلى حالته الأصلانية الصافية . **فالعقلانية والعلمية واللاعقلانية والعاطفية** تمتزج داخل النص الدينى ويصبح هدفنا (أى هدف : فلسفة ... ما بعد الفلسفة) هو تفكيك النص ــ الدينى ــ بطريقة سيمنطيقية منطقية ، تعتمد على المعنى وعلى الصور الشكلانية ، وذلك لإظهار ما هو عقلانى وما هو لاعقلانى داخل البرهان الدينى ، وللوصول إلى جوهر الدين الحقيقى والإيمان الصحيح . "

(إنتهى)

وبديهى ؛ كان التوقع أن تتجه هذه الفلسفة مباشرة ، إلى دراسة النص الدينى فى الأديان المختلفة ــ طالما وأن هذا هو هدفها كما تقول ــ لبيان مدى إنطباق هذه المقولات عليه ، لا مجرد قولها بالتفكيك فحسب لاستخلاص النص الدينى النقى من نصوص فوضوية حالية . وأتمنى أن تقوم " **جماعة فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " بمثل هذا العمل فعلا إن كانت صادقة النية فيما تقول . **وإن كنت استبعد قيامهم بهذا ، لضعف إمكانيات أفرادها العلمية من جانب ، وعدم توفر العمق الفكرى لديهم للقيام بمثل هذا العمل من جانب آخر** . وأعتقد إذا ما قامت هذه الفئة بمثل هذا العمل ، **فإنها سوف تشعر بمدى الفحش البالغ فيما اقترفته من إثم ، بوضع الديانة الإسلامية فى نفس سلة النفايات الخاصة بالأديان الأخرى ..!!!** وعموما فإنهم لن يقوموا بمثل هذا العمل ، لأنهم قد انتهوا ــ فعلا ــ إلى قرارات بشأن الديانات ــ بما فى ذلك الديانة الإسلامية ــ فحواها يدور حول مفهومين فقط ــ **هذا إن صح فهم هذه الجماعة لنفسها** ــ هما :

- ***أن الدين محض خيال ليس له علاقة بعالم الواقع التجريبى .***
- ***أن الحِكْمة يمكن أن تنبع من الفوضى ، كما وأن الخُلُق يمكن أن يأتى من الصدفة .***

وبديهى لم تتنبه " **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " إلى هذا ، نظرا لاستغراقها الكامل فى مشاكل اللغة [٨٥] التى جلبتها على نفسها ..!!! فعلى الرغم من بساطة معانى الوجود ، إلا أن هذه الجماعة تتناول شرح هذه المعانى بتعبيرات وبتباينات لفظية غريبة ومطولة ، وبطريقة غامضة ومبهمة

---

[٨٥] كان الفلاسفة حتى " **القرن الثامن عشر** " يعتبرون سائر المعرفة الإنسانية ، بما فى ذلك العلوم ، مجال اختصاصهم ، وكانوا يناقشون أسئلة مثل : **هل للكون بداية ؟** إلا أن " **العلم** " اعتبارا من " **القرن التاسع عشر** " ، أصبح تقنيا ورياضيا إلى حد يفوق قدرة الفلاسفة ، وأى شخص آخر باستثناء قلة من المتخصصين . فخفف الفلاسفة من مدى أسئلتهم وتطلعاتهم إلى الحد الذى دعى " **فيتجنشتاين : Wittgenstein** " (أشهر فلاسفة هذا العصر) أن يقول : " **إن المهمة الوحيدة الباقية للفلسفة هى تحليل اللغة** " ..!!!

، وفى غاية من عدم الوضوح ، حتى بت متأكدا أنهم لا يفهموا ما يقولون ، وإن فهموا ــ أحيانا قليلة ما يقولون ــ فهم لا يقولوا إلا أمورا معادة فى غاية من البساطة و لسذاجة معا ، ولكن بلغة فى غاية من التعقيد . ولهذا يمكننى إضافة الحقيقة الثالثة التالية إلى الحقائق السابقة ، ***والتى لم تتنبه إليها هذه الجماعة ــ حتى الآن ــ وهى الحقيقة التى يمكن أن تصاغ على النحو التالى :***

- ***كما وأن الحكمة يمكن أن تنبع من الفوضى ، فإن حل " لغز الوجود " يمكن أن ينبع من السفسطة الكلامية .***

وحتى لا أكون متجنيا على هذه الفلسفة .. سوف أقوم بجوله قصيرة فى داخل هذه الفلسفة لنرى ــ معا ــ ماذا تقدم هذه الفلسفة للبشرية من فكر ، ونبدأ هذه الجولة بمقوله لها عن الفطرة الدينية لدى الإنسان ، فنجدها تقول [٨٦] :

" **القَبْلى الدينى** يتكون فى الخيال ، وهو شعور ترنسندنتالى لا يرصد إلا بالتفكيك الفينيمينولوجى ، أى بعملية تفكيك لما هو فى الخيال من مفاهيم وتصورت وصور خيالية . فللوصول إلى القبلى الدينى يجب القيام بعملية اختزالية فى النص المتشظى [٨٧] والعالم الخيالى . وهذا الإختزال يعنى إعدام العالم الخيالى أو وضعه بين مزدوجين ، وتعيقه ليتسنى للذاتية الترنسندنتالية الوصول إلى النواة الدينية ، التى تكون الكاوس الدينى . القبلى الدينى ليس هو

---

٨٦ " **ما بعد الفلسفة . الكاوس ، والتَشَظّى ، والشيطان الأعظم** " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١٠٢ .

٨٧ " **التشظى : Fractal** " : يمثل التجمع العشوائى لمفردات أو بقايا مفردات النظم فى زمن ما ، أو أثناء حدوث الكارثة أو عقب حدوث الكارثة . مثال ذلك ؛ بقايا حطام المنازل ، أو الجثث فى شكل تجمعات عشوائية متفرقة طافية بعد حدوث فيضان ، أو التجمعات العشوائية للحطام عقب حدوث إعصار فى قرية ما أو مدينة ما ، هو الكاوس . والتجمعات الجزئية للبقايا المختلفة هو التشظى . **وبناءا على هذه التعاريف يصبح التشظى هو مفردات الكاوس . وبهذا المعنى يصبح الكاوس هو نوع من الفوضى الكلية ، بينما التشظى هو نوع من التجمع الجزئى لمفردات الفوضى الكلية ، وكلاهما يحمل معنى الفوضى ، ولكن بدرجات متفاوتة ــ من التشابه وغير التشابه ــ من العشوائيات التكوينية .**
كما توجد أشكال متشظية كثيرة فى الطبيعة ، وهو ما يعرف باسم " **التشظى الطبيعى** " . منها ما هو **مستقر ومنها ما هو متغير كاوسى** . فالأشجار بأوراقها وأزهارها وبعض ثمارها هى أشكال متشظية ، أى تتكرر أجزاؤها بتشابه لا ينتهى . وهناك الظواهر الجوية والعواصف وتشكلات الغيوم فى الجو ... إلى اخره هى مواضيع طبيعية متشظية متغيره . والصور الغريبة المعقدة فى أشكال الجبال والصحور الناتئة ، والشواطىء الملتوية المتكسرة بخلجانها تكون الأشكال المتشظية . وهضاب الجبال وسفوحها ، تمثل ــ أيضا ــ التشظى الطبيعى المستقر .

الأمبريقى أو المُعطى الحِسّى . وهو يُرصد فى الخيال وبالخيال ، ولا يمكن إلتقاطه بالحسى . لذلك وجب تعلّيق العالم واللجوء إلى التغيير الصورانى الخيالانى ، وتعقب الصور الدينية فى منابعها وأصلانيتها ، بين مجاهل التشظى والكاوس العام . إن رؤية الجواهر والماهيات تتم بواسطة التعليق ، وفى داخل الذاتية الترانسندنتالية (هوسّرل) ، **وبما أن الدين يُعرف من خلال جوهره الخيالى ، لذلك وجب رصده ، ورصد ماهيته داخل الخيال** . الخيال الدينى هو صور متشظية لامتناهية . وهو متشظٍ لأن لحظاته متشابهة ومتناسبة ، وهى تنطلق إلى مالانهاية . الصور الدينية متشظية فى جوهرها ، وهى ليست تامة متناهية ، بل متفرعة ومتكاثفة ، ولا متناهية . وهى فى كل لحظاتها تتشابه وتتناسب مكونة صورا خيالية كثيرة . الصور الدينية ليست متناهية ، لأن ذلك يُعرّضها للزوال والذوبان ، بل هى كثيرة العدد فى خيال متشظٍ كاوسى . فكل لحظة هى صورة متكونة من مجاز لغوى أو استعارة لغوية ، وهذه اللحظات تتفرع وتتسع لتكوّن صورة الصور الكبرى ، وتتشابه لتكون عالما ضخما جوهره الخيال .

لا توجد الظاهرة الدينية خارج الذاتية الخيالانية ، ولا خارج التشظى الكبير ، بل تكوّن جوهر الكاوس . فالطبيعة المادية ليست جوهر الدين ، وليست ثمة علاقة بين الطبيعى والدينى ، بين التشظى الدينى والكاوس الطبيعى ، ذاك نفسانى وهذا طبيعى واقعى .

تتكون الأنطولوجية الدينية من صور كاوسية متشظية داخل الخيال ، وهذه الصور هى مجموعات وزمر تتكون داخل الخيال بواسطة الرموز واللغة والمجاز والتشابهية والاستعارات والتخييل ــ ألخ ، وتحويل الشبكة الرمزية إلى هيئة أنطولوجية لها حق الوجود . "

(إنتهى)

ومثل هذا الهرج والمرج اللفظى السابق يمكن تلخيصه فى السطر التالى :

" إن الفطرة الدينية هى خيال متعال ينبع من داخل الإنسان ، وليس له علاقة بعالم الواقع التجريبى ".

وأرجو أن يعيد القارىء قراءة المقالة الفلسفية السابقة عن الدين عدة مرات حتى يستطيع التأكد ــ إن استطاع ــ من المعنى المكتوب . وإن كان يوجد من يحتج لعدم فهم هذه المقالة ، نظرا لوجود بعض الألفاظ الغريبة أو الغير مألوفة مثل : الكاوس (Chaos) ، والتشظى (Fractal) ، والترانسندنتالى (Transcendental) ، الفينيمينولوجى (Phenomenology) .. وخلافه . أقول ــ لمن يحتج ــ بأن معظم هذه الكلمات ، إن لم تكن كلها باستثناءات قليلة جدا : " **كلمات**

معربة " ، أى هى كلمات إنجليزية كتبت بأحرف عربية بنفس النطق الإنجليزى ، وبهذا يمكن إلتقاط معناها من القواميس الإنجليزية العادية . وبديهى ؛ لا تشير الفلسفة إلى هذه المعانى زيادة فى الغموض ، حتى تصيب القارىء المدقق بالحيرة . وليس هذا فحسب ؛ بل وتلجأ هذه الفلسفة إلى الغموض حتى عند شرح هذه المعانى فنجدها تقول عن معنى **الكاوس** [88] :

[ويعرف **الكاوس** [89] بالسرعة اللامتناهية التى يبدو بها كل شكل يرتسم فيه أكثر ما تحدده فوضاه . الكاوس هو فراغ لكن ليس عدما ، وما هو بالقوة ، وهو يحتوى على كل الجزيئات الممكنة مجتذبا كل الأشكال الممكنة التى تنبثق لتختفى بسرعة ، دون استقرارية ولا مرجعية ولا مفعول . إنها سرعة لامتناهية للولادة والإختفاء . لكن تسأل الفلسفة : كيف يمكن الإحتفاظ بالسرعات اللامتناهية ، وفى الوقت نفسه الإحتفاظ بالإستقرارية ، وبإعطائها صفة لما هو قوة ؟ الغربال الفلسفى ، بما هو مسطح محايث يقطع الكاوس ، ينتقى حركات لانهائية للفكر ويمتلىء بتصورات مكونة كجزيئات مستقرة تسير بسرعة الفكر (ديلوز) . العلم ، على عكس ذلك ، فهو يقتحم الكاوس بطريقة معاكسة : إنه يتخلى عن اللانهاية وعن السرعة اللانهائية ليربح مرجعا قادرا على تحقيق ما هو بالقوة . والفلسفة باحتفاظها باللانهاية تعطى استقرارية لما هو بالقوة بوساطة التصورات . وبتخليه عن اللانهاية ، فالعلم يُعطى لما هو بالقوة مرجعا يحققه بوساطة الدّالاّت . الفلسفة تعمل بواسطة المحايثة الذهنية أو الإستقرارية ، أما العلم فبوساطة مسطح المرجع . فى حالة العلم ، فإننا بإزاء صورة متوقفة ، إنه تخفيف رائع ، وبه تصبح المادة متحققة كما يصبح الفكر العلمى متحققا وقادرا على دخولها بواسطة القضايا .]

(إنتهى)

هوس لفظى .. لبعض خيالات صورية لا قيمة لها ..!!! يعتقد هذا الفيلسوف المسكين ــ فيلسوف .. ما بعد الفلسفة ــ أنه سوف يحل بها لغز الوجود .!!! ولم يدرك هذا الفيلسوف ــ فيما يدرك ــ أن الدين " **علم ومنطق** " ، **ولو كان** " **الدين** " **فى مثل هذه الخيالات والفوضى الكلامية ، لأصبح المجانين قديسوا العصور ، والمعاتيه فلاسفة الحضارات ..!!!**

---

[88] " ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتَشَظّى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١٨٠ .

[89] فى المقابل نجد أن تعريف كلمة " **كاوس : Chaos** " كما تأتى فى المعاجم الإنجليزية ، بأنها نوع من الفوضى التى تحدث فى أى نظام عقب حدوث كارثة ما فى هذا النظام . فعلى سبيل المثال ؛ الفوضى التى تحدث فى بلدة ما بعد حدوث إعصار مدمر بها ، أو فيضان تعرف فى الإنجليزية بالـ " **كاوس : Chaos** " (أنظر كذلك تذييل رقم ٨٧ السابق) .

ولم تتنبه هذه الفئة إلى أنها لم تتجاوز فى فلسفتها إلا إعادة صياغة ما سبق وجوده باسهاب لغوى ممل لا قيمة فيه ، بل ويشوبه كثير من الغموض . وفى الواقع ؛ لن تنتهى هذه الفلسفة إلا بما هو موجود فعلا (وبنفس اللغة) ، لأنها لم تبدأ إلا بما هو موجود . كما لم تتنبه هذه الفئة ــ كذلك ــ إلى أنها لن تنتهى إلى رؤية فيما وراء هذا الوجود ، لأنها رؤية **تحتاج إلى " القفزة المعرفية " الضرورية واللازمة لعبور حاجز الوجود للإنتهاء إلى ما هو وراء الوجود .**

وبديهى ؛ لن تتحقق هذه " **القفزة** " إلا بـ " **المُسَلَّمات الدينية** " ، وبديهى لن تكون المسلمات الدينية ــ هنا ــ بمفهوم القضايا الغيبية الغير قابلة للتحقيق ، **ولكن تكون المسلمات الدينية** ــ هنا ــ بمفهوم " **المُسَلَّمات العلمية** " التى يمكن **التثبت من نتائجها بشكل قطعى أو يقينى** وذلك من خلال تجربة حسية مباشرة ، أو من خلال رؤية أو ملاحظة أو قياس مباشر يتم إجراؤه بمعرفة الإنسان . وكما سبق وأن أشرت بأن من يملك القول بهذه " **المسلمات الدينية** " هو :

﴿ ... اللَّـهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

[**الواحد القهار** : أى هو القادر على قهر عباده بالإيمان بما يريده ويبغيه .. ولكنها غايات من الخلق ..]

أو بمعنى آخر ..

﴿ هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ – ٢٤)

[**عالم الغيب** : هو عالم ما بعد الطبيعة ، أو العالم الميتافيزيقى / **عالم الشهادة** : هو العالم الفيزيائى الذى نحيا فيه ، أو كوننا المادى]

وليس المخبر بهذه القفزة المعرفية من لا يملك رؤية الوجود ، ولا رؤية ما بعد الوجود .. كما يتراءى لهؤلاء العجزة من الفلاسفة ..!!! ضعف الطالب والمطلوب ..!!! **وتنتهى " فلسفة .. ما بعد الفلسفة " بعد كل هذا اللغط اللفظى والخيال اللاعقلى إلى أن :**

" جوهر الخطاب على جميع المستويات العلمية والإنسانية والدينية هو الكاوس والتشظى[٩٠] "

وهو ما يعنى أن " الفوضى هى سمة الوجود " ..!!! والسؤال الآن لهذه الفلسفة هو : ما قيمة أن نعرف أن " **الكاوس والتشظى** " ــ وهو كما رأينا صور من صور الفوضى ــ هو جوهر الخطاب على جميع المستويات العلمية والإنسانية والدينية ..؟!!! وبديهى يصبح الجواب الحتمى ــ هنا ــ هو : ليس جنون الوجود .. بل جنون هؤلاء الفلاسفة ..!!!

وأخيرا ؛ إذا جئنا إلى لفظ " **الشيطان الأعظم** " ، فى فكر : " فلسفة ... ما بعد الفلسفة " ، فنجد أن هذا **اللفظ ليس له مدلول محدد لديهم** ، بل هو مجرد لفظ " **إسفالى** " لجذب الإنتباه فحسب ، ولا يعنى أكثر من تعميم فى درجة من درجات الفوضى التى يعانى منها هؤلاء القوم . وسواء كان هذا اللفظ يعنى " **أكبر تشظ** " أو يعنى " **التشظ المعمم** " ، فهى معانى تتقارب جدا فى مفهوم الفوضى ، ولكن بدرجات مختلفة ..!!! فعلى حسب مفهومهم نجد أن ..

[**التشظى المعمم** هو لا انتظام أو تقطع بالنسبة للمنطق الأكثر إنتشارا و لفلسفى ظاهريا ، وهو علاقة لعدم تطابق على العقلانية الفلسفية وعلى طرقها فى الإستمرارية . لكن يظل هذا التعريف غامضا . ومن شروط أسس التشظى الثابتة : اللاإنتظام والتجزىء والإنقطاع . أما اللاإنتظام فهو ليس اعتباطيا أو شواشيا أو فوضى مطلقة ، فهو مُعَّرف بدرجة ثابته من اللاإختزالية المتصلة التى تثبت طبيعته . وداخل اللاإنتظامية يجب أن يوجد التشابه النسبى وهو مبدأ ذاتى فى التقطيع . وهذا المبدأ محدد بالتضايف لتغييرات سلم القياس .]

وبديهى ؛ مثل هذا الكلام " **السيريالى** " لن يضيف إلا المزيد من الفوضى الفكرية لديهم ، ومزيد من الغموض إلى واقع الوجود الذى يحيونه .

ومن ناحية أخرى ؛ نجد أن الفطرة الدينية قد فرضت نفسها على " **فلاسفة .. ما بعد الفلسفة** " ..!!! ولهذا كان لابد لهم من الإعتراف بها ، ولهذا قالوا بأن **الإدراك الدينى** هو فكر راسخ فى

---

[٩٠] " ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتَشَظّى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١١ .

وعى الإنسان وهو مستقل عن أى ثقافات أخرى علمية كانت أو إجتماعية ، كما سبق وأن ذكرنا فى بداية هذا الفصل ، لهذا نجدهم يؤيدون ما جاء فى الدراسات الغربية ، ويقولون [٩١] :

[أن **الثقافة الدينية لها أصالة مستقلة عن الثقافات الأخرى** . وتحليل الوعى الدينى يتطلب إزالة ثقافات عالقة بالوعى الإنسانى ، ويتطلب الحفر إلى مستويات بعيدة فى جذور الثقافة الإنسانية . فالوعى الثقافى الإقتصادى يؤثر على الوعى الدينى لكنه لا يحرفه عن جوهره القبلى . ويمكن أن يُقالْ بأن الوعى الإجتماعى والوسائل المادية الإقتصادية ، تؤثر على الممارسة الدينية ، وعلى الطقوس من الناحية الخارجية .. لكنها لا تؤثر على جوهر الدين المتعلق بالمعجزات . وهذا يظهر من خلال مسح للعادات التى دخلت على الطقوس ، وعلى الممارسات التى تغيرت عبر القرون داخل **الكنيسة المسيحية** مثلا . فالممارسة **الكاثوليكية** من خلال مذاهبها المتعددة ، والممارسة **البرتستانتينية** كذلك قد تغيرت وتطورت وأفرزت عادات وطرقا جديدة وأساليب تنوعت وتعددت ، مع الإنتشار الإقتصادى والتبدل الإجتماعى . لكن النواة الأصلية فى الدين المسيحى والأيديولوجية المتجذرة فى جذور الدين المسيحى لم تتغير منذ بدء الكنيسة ، فظلت المعجزة أو العجيبة هى الأساس ، والأشياء الخارقة هى المفصل الأساسى فى المسيحية . وظل التجسد الإلهى فى المسيح هو الفيصل بين المؤمن واللامؤمن . وهذا التجسيد هو الذى يخلق الفضاء المتشظى والكاوس الدينى .]

(إنتهى)

وبديهى القول بخضوع الدين لمتغيرات السوق الإقتصادية ، هو كلام معاد ونابع من مفهوم ومعنى الديانتين المسيحية واليهودية معا ، لتغيرهما مع واقع المجتمعات ، كما سبق وأن بينا هذا فى مرجع الكاتب السابق (بند : **ملاءة فوق الأديان**) .

وعن المعجزة يقول " فلاسفة .. ما بعد الفلسفة " [٩٢] :

[يعتقد المؤمن بالمعجزات وهى الشرط الضرورى لإيمانه واعتقاده . فليس هناك دين بلا معجزات ، وهناك أمثلة عديدة على ذلك . فالمعجزات والخوارق هى الأساس فى تكوين شعور الإنسان المتدين ، وبدونها يصبح الخيال واقعيًا ، ويصبح الدين كلمات فارغة . من هنا فإن

---

[٩١] المرجع السابق ؛ ص : ١١٣ / ١١٤ .

[٩٢] " *ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتشظّى ، والشيطان الأعظم* " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين – بيروت ؛ ص : ١٢٦ – ١٢٧ .

ماهية الصورة الدينية هى المعجزة ، أى الصورة / المعجزة . فكل نص ديني ، وكل استعارة لغوية تهدف إلى إظهار المعجزة . فالبيان لا يكون دينيا إلا إذا إعتمد على الصور الدينية التى تتساءل لتظهر المعجزة . ففى الصورة / المعجزة يتحول الماء نبيذا ، ويصبح ماء العماد مقدسا (فى المسيحية) . وفى الإسلام هناك **الإسراء والمعراج** ، والوحى ، والمخاطبة عن بعد ، **وانبجاس الماء من بين أصابع النبى ، والجن والملائكة ، ومعجزة القرآن .. إلخ** . وثمة معجزات كثيرة فى القران : إحياء الموتى ، وشفاء الأبرص ، شفاء الأعمى (عند المسيحيين) [٩٣] . وقد حصرت هذه المعجزات بالخالق والأنبياء والقديسيين ، وكل ما عداها من خوارق أخرى هى من صنع السحرة الذين يستعملون الوهم والسيطرة على النفوس . يخترع الخيال الصورة ، ولا تصبح دينية إلا إذا كانت فى جوهرها معجزة خارقة ، أى إذا تعامل معها الشعور كمعجزة متعالية ومفارقة .]

وتضيف هذه الفلسفة عن ' المعجزة ' فتقول :

[(المعجزة) هى رغبة **شعور ــ إنسان ــ عاجز** لا يقدر على تحقيق رغباته وأمانيه . يريد المؤمن أن يتحول الماء نبيذا ، وهذه رغبة مستحيلة ، لكن الماء يتحول نبيذا بواسطة **المسيح** وذلك على الرغم من الإستحالة الطبيعية . العلم لا يؤيد ذلك ، لكن المعجزة تؤيد ذلك ، فهل نلغى التصديق والإعتقاد لمصلحة العلم ؟]

ويصل الإعتقاد فى المعجزة ــ فى نظرهم ــ إلى نوع من الهلوسة الفكرية ، أو الهذيان العقلى ، حيث يقولون :

[فالمؤمن الذى يرى المعجزة وقد تحققت فى الواقع يكون خاضعا للهلوسة ، لأن ما تخيله فى صورة خيالية يقترب من المحسوس ، فهى أقرب إلى الحلم والرؤيا . ويجب على المؤمن أن يعرف بأن المعجزة لا تتحقق فى الواقع وأنها خيالانية ، وهذا شرط إيمانه .]

[فالإيمان يفك رغبات الإيمان من الروابط ومن العقل الطبيعى ، وهو يؤكد ما ترفضه الطبيعة ويرفضه العقل ، لذلك يجعل الإنسان سعيدا لأنه يشبع رغباته الأكثر ذاتية .] [٩٤]

---

[٩٣] يقصد بذلك المعجزات التى تم ذكرها فى القران المجيد عن المسيح ــ عيسى بن مريم ــ عليه السلام .

[٩٤] " ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتَشظّى ، والشيطان الأعظم " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ــ بيروت ؛ ص : ١٣١ - ١٣٣ .

وتضيف : [بأن الإعتقاد بالعالم الآخر من ملائكة وجن وشياطين هو أمر ضروري بالنسبة للمؤمن . وهذا الإعتقاد يصبح واقعيا بالرغم من عدم وجوده الحسى ، إلا أن **المسرح الدينى** يوفر للإعتقاد دعما قويا لوجود العالم الآخر . فالمؤمن يعتقد بصدق وعن إقتناع بوجود العالم الآخر ، ويعتقد بواقعيته الحسية المؤكدة . وهذا يتم من خلال خلق مسرح دينى تلغى فيه الحواجز بين الأنا واللاأنا ، بين المرئى واللامرئى ، **وبين الناسوت واللاهوت فتتداخل فى هذا المسرح الشخوص من كلا الطرفين ويتحد العالمان ويتآخيان** . إن تحويل الواقع المحسوس بواسطة لغة دينية خاصة وحركات جسدية خاصة إلى واقع دينى غيبى **هو عمل يرفضه العقل** المستقل ويعتقد به المؤمن . وهكذا **فخيال المؤمن** يظل ضمن عالمه الدينى الواقعى ويحاول أن يتحول نحى المحسوس .]

وكما نرى من هذا النص أن " **فلسفة .. ما بعد الفلسفة** " تدور فى فلك " **الديانة المسيحية** " فحسب . فكلمة " **ناسوت** " تعنى الصورة الإنسانية للإله ، و " **اللاهوت** " تعنى صورة " **الإله** " الحقيقية أى صورته " **الإلهية** " . والصورتان تتبعان بشكل مباشر من فكر الديانة المسيحية ، فالسيد " **المسيح** " هو الإله المتجسد فى الصورة الإنسانية (أى الناسوت) على الأرض ، وهو أيضا ذلك الإله فى السماء . فـ " **المسيح** " ــ من منظور الديانة المسيحية ــ ثلاثى الشخصية .. فهو " **ناسوت** " ، وهو " **لاهوت** " ، وهو " **الروح القدس** " أيضا . وبديهى هذا المسرح الدينى المشار إليه فى هذا النص ، وتداخل شخصياته ، ومعجزاته مرتبط فقط إرتباطا مباشرا بالديانة المسيحية ، وليس للإسلام علاقة بهذا الفكر من قريب أو بعيد ..!!! وبناءا على هذا فلا يمكن أن ينسحب أيا من الآراء السابقة على الديانة الإسلامية بشكل أو بأخر .

وكاتب هذا الكتاب ؛ يكرر ويؤكد على أن كل فلسفات الغرب تدور فى **فكرين أساسيين** :

الفكر الأول منهما : محاولة البحث عن هوية للإنسان .. ومعرفة طبيعة الإله (إن وجد) ، وكذا البحث عن وجود الغايات من الخلق (إن وجدت) .

أما الفكر الثانى : فهو محاولة الجمع أو التوفيق بين اللاعقل المتمثل فى الديانة المسيحية ، مع العقل المتمثل فى العلم والتجارب الحسية والمنطق الرياضى المتمثل فى الواقع الذى نحياه .

فعلى الرغم من أن الإنسان قد وجد نفسه غارق فى لامعقوليات الديانتين اليهودية والمسيحية ، **يفاجأ بأنه لا يستطيع التخلص من الفطرة الدينية ، والوعى الفطرى بوجود " الله "** . فتصبح ناتج محاولاته للجمع بين اللامعقول (المتمثل فى الديانتين اليهودية والمسيحية) من جانب ، والمعقول الذى يفرضه عليه الحواس والمنطق من جانب آخر ، أن يصبح الإنسان **أمام واحد من خيارين : الأول منهما : هو الإعراض عن الدين أو ورفضه كلية . والخيار الثانى : هو دفاع المرء باستماتة عن الدين ، وفى هذه الحالة يصاب المرء بالمرض النفسى الذى شخصه** علماء الغرب النفسانيون باسم " **البارانويا : Paranoia** " حتى يمكنه الجمع بين التناقضات الصارخة الموجودة فى الدين فى مواجهة العقل ، كما سبق وأن بينا ذلك . والتعليق على هذا القول لا أريد أن يأخذ مفهوم الجدل ...

﴿ .. وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ٥٤)

لأن صدق " القضية الدينية " محسوم بالمفهوم الفيزيائى والرياضى المطلق . ولكن أود أن أشير إلى رفض الإنسان للمعجزة أنما يعنى إستقلال العالم والإنسان عن خالقهما .. وهو ما لا يتفق مع وجود الغايات من الخلق . فرفض الإنسان للمعجزة أنما يعنى أن الإنسان قد قام بسجن نفسه بنفسه ــ بلا مبرر ــ داخل هذا العالم المادى فحسب .. كما قام بسجن نفسه بنفسه ــ وبلا مبرر ــ أيضا داخل حواسه المجردة والمحدودة معا . ولهذا نراه يرفض رفضا قاطعا كل ما لا يتفق مع القانون الطبيعى الصارم ، وكل ما هو غير مألوف لحواسنا . وبديهى فإن كاتب هذا الكتاب ، يؤيد هذا الفكر بشدة ، ولكن إذا كان الأمر يتعلق بالخالق لنا ولهذا الكون .. فالأمر هنا يحتاج إلى القفزة المعرفية لإرضاء العامة .. وليست للإقناع أو للبرهنة على صدق القضية الدينية . ***ولهذا عندما طالبت قريش محمد (ﷺ) بالمعجزات ، جاء قوله تعالى لهم***

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ [illegible] (٥٩) ﴾

(القرآن المجيد : [illegible] {١٧} : ٥٩)

[**الآيات** : المعجزات]

وليس فى الأمر خبرة ــ إلهية ــ مكتسبة من [illegible] الإنسان السابقة ، فهى تنبيه وتبصرة للإنسان [illegible]

obeikandl.com

سوف يتم التكذيب بها . فعدم تكرار المعجزة هى رحمة بالإنسان ، لأن من سبقونا قد رفضوها ، **وإن كانت ضرورية الحدوث لبيان إمكانية حدوثها من حيث المبدأ .**

وقد رأينا فى الكتاب السابق ؛ أن المعجزة هى وبال على كل من رآها ولم يؤمن بها .. فالإنسان أمام المعجزة الإلهية ليس بمتفرج فى مسرح إلهى .. أبطاله الرسل والأنبياء ..!!! ومخرج هذا المسرح هو " الله " (ﷻ) ..!!! بل هى قوانين سرمدية علينا تحكمنا نلك الإنسان المحدود .. حتى وإن كنا لا ندرى ــ نحن ــ هذا بشكل مباشر ..!!!

فبديهى كلنا يعلم أن التحقق من حدوث معجزة ما ، **كإحياء ميت مثلا** (لاحظ أن الديانة الإسلامية تعترف بإحياء عيسى (عليه السلام) للموتى بإذن الله) ، هو أمر يحتاج إلى فريق كامل من الأطباء المزودين بالأجهزة الطبية اللازمة والدقيقة معا ... حتى يمكننا التحقق والقول بحدوث مثل هذه المعجزة . فكلنا يعلم ؛ أنه من السهولة بمكان الطعن فى المعجزة ، ما لم تتخذ الإحتياطات الكافية للتأكد من حدوثها . ومن هذا المنظور لا تأتى **المعجزة** [٩٥] فى الفكر الإسلامى ــ فى غير القرآن المجيد ــ كحادث مستقل وقائم بذاته ، بل لابد من ترشيح الأدلة المادية الكافية التى تؤكد صدق وصحة حدوث المعجزة . وبهذا المعنى فإن توثيق المعجزة ــ فى الديانة الإسلامية ــ بالدليل المادى الدال على حدوثها هو أمر أساسى وحيوى . ونجد هذا واضحا عندما أسرى بالرسول الكريم (ﷺ) ، فى حادثة **الإسراء والمعراج** (أنظر الفقرة التالية) ، حيث عرج به إلى السماوات العلى (أى إلى الأكوان الموازية) . فلم يترك مثل هذا الحدث قائما بذاته ، بل رشحت له الحوادث المادية التى أمكن التثبت من صدقها فى حينه ، وبالتالى يمكن التثبت من صدق وقوع هذا الحدث الغيبى . وعلى الرغم من أن صدق الحدث كان يكفيه مجرد ذكره فى القرآن المجيد .. كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١)

---

[٩٥] **مع الإقرار بصحة المعجزات** التى حدثت لرسول الله (ﷺ) ، إلا أنها لم تكن ركيزة الرسول فى إقناع الكفار بصحة نبوته ورسالته ، فقد تمثلت ركيزته (ﷺ) فى المنطق الإعجازى للقرآن المجيد . فالواقع أن معجزات الأنبياء الذين سبقوا محمدا ، كانت معجزات وقتية إقتصرت على من شاهدها فقط ، بينما نستطيع أن نسمى " **القرآن المجيد** " بـ " **المعجزة الخالدة** " ، لأن تأثيرها دائم ، ومفعولها مستمر فى كل زمان ، وفى كل مكان .

[أسرى : السرى " هو السير ليلا / المسجد الحرام : بمكة / المسجد الأقصى : ببيت المقدس . ويضيف " سيد قطب (المفكر الإسلامى) ، بأن استخدام لفظ " العبد " فى هذا الموضع ، هو ضرورة يحتمها موقف صعود الرسول (ﷺ) إلى السماوات حتى لا تكون له شبهة أو شائبة ألوهية لإيثاره بهذه الرحلة . **ولابد من الإشارة إلى النبوءة الواردة فى الآية الكريمة السابقة ، ففى وقت تنزيل الآية لم تكن الكعبة مسجدا بل كانت لا تزال بأصنامها ، كما لم يكن بيت المقدس قد تحول إلى مسجد بعد .**]

نظرا لاحتواء القران على براهينه الذاتية والعامة التى تؤكد صحته ، إلا أننا نجد أن المولى (ﷻ) **قد رشح لهذا الحادث ثلاث براهين مادية أخرى تؤكد صدق وقوع هذا الحدث ، وهنا يلزم أن نقترب منه لنراه عن كثب ..**

٥. ١ حادثة " الإسراء والمعراج "... وسيناريو الوجود

وقصة " **الإسراج والمعراج** " هى ــ ببساطة شديدة ــ تمثل رحلة الإنسان إلى العوالم الأخرى (الأكوان الموازية) التى أخبرنا بوجودها المولى (ﷻ) فى قرانه المجيد ، والتى أعطانا من العقل والمنطق والعلم ، ما يكفى للبرهنة على وجودها . وفى الواقع ؛ تمثل هذه العوالم الإمتداد الزمانى والمكانى لقصة وجود الإنسان وسيناريو أحداثه . **فكلنا يعلم ؛ ما من بشر تخطى حاجز الموت ، ثم عاد ليخبر الناس بما رآه فى هذه العوالم** . ولهذا لم يكتف المولى (ﷻ) بهذا الإخبار البرهانى عن هذه العوالم الغيبية ، بل يذهب إلى أبعد من هذا .. فياخذ " **ممثل للبشرية** " متمثل فى رسوله الصادق الأمين **محمد** (ﷺ) كشاهد عيان على وجود هذه العوالم ، لرؤية استكمال سيناريو قصة وجود الإنسان ، ***وليلتقى بمن سبقوه من الرسل والانبياء ليصلى بهم ، تحقيقا لقوله تعالى ..***

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّـهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين (٨١) ﴾

(القران المجيد : ال عمران {٣} : ٨١)

[الحكمة : هى احسن القول واحسن الحكم / إصرى : عهدى]

ثم يعرج به ــ أى بالرسول ــ إلى السماوات (الأكوان الموازية) ليريه المولى (ﷻ) من اياته فى خلقه ، ثم يعود أدراجه ليخبر البشرية ــ بنى جنسه ــ على وجود هذه العوالم ، وواقع وجود الإنسان ومصيره بشكل مباشر ، الذى لا يحتمل الشك . وتبدأ هذه القصة [96] عندما ...

قال رسول الله (ﷺ) [97] : " **لما كانت ليلة أسرى بى . وأصبحت بمكة ، فظعت أسرى . وعرفت أن الناس مكذبى** " .

قال : فمر أبو جهل ، فجاء حتى جلس إلىّ ، فقال له أبو جهل كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله (ﷺ) : " **نعم** "

قال : ما هو

قال : " **انه أسرى بى الليلة** " .

قال : الى أين ؟

قال : " **إلى بيت المقدس** " .

قال : وأصبحت بين ظهرانينا ؟

قال : " **نعم** " .

قال فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا . قال : أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم بما حدثتنى ؟

فقال رسول الله (ﷺ) : " **نعم** " .

فانطلق أبو جهل إلى قريش فقال : هيا معشر بنى لؤى .

قال : فانتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال أبو جهل : حدث قومك ما حدثتنى ؟!

---

[96] وقعت حادثة الإسراء والمعراج فى (٢٧ رجب) من السنة الحادية عشرة من البعثة (عام ٦٢١ م.) . وكان محمد (ﷺ) فى بيت ابنة عمة هند بنت أبى طالب ، وكنيتها أم هانىء . وقالت هند : " إن رسول الله نام عندى تلك الليلة فى بيتى . فصلى عشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا . فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله (ﷺ) ؛ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت الغداة معكم الأن كما ترين ، فقلت له : يا نبى الله لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك . قال (ﷺ) : والله لأحدثنهموه " . وكلمة " إسراء " تعنى السير ليلا ، أى الإنتقال فى نفس المستوى الفيزيائى ، وهذا تعنى الإنتقال برسول الله ، من مكة إلى بيت المقدس . أما كلمة " المعراج " ، فهى تعنى الإنتقال من مستوى فيزيائى ما ، إلى مستوى فيزيائى مغاير ، وهى ما تعنى الإنتقال برسول الله من السماء الدنيا (أى كوننا المادى هذا) إلى السماوات الأخرى ، أى إلى الأكوان المتراكبة مع كوننا هذا (كما سبق وأن بينا هذا فى الفصل الأول من هذا الكتاب) .

[97] عن ابن عباس رضى الله عنهما ــ فيما رواه الإمام أحمد .

فقال رسول الله (ﷺ) : " إنى أسرى بى الليلة " .
قالوا : إلى أين ؟
قال : " إلى بيت المقدس " .
قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا
قال : " نعم "

فإذا بالقوم بين مصفق ، وبين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب ..!!! زعم .

قالوا : وهل تستطيع أن تنعت (تصف) [98] لنا المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .
فقال رسول الله (ﷺ) : " فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس علىّ بعض النعت . فجيء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وضع دون دار عقيل . فنعته وأنا أنظر إليه " .

قال : فقال القوم : " أما النعت فوالله لقد أصاب " .

ولما لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعانى ؛ لذلك ما لبثوا حين حدثهم محمد (ﷺ) بأمر إسرائه أن وقفوا عند الصور المادية من أمر هذا الإسراء وإمكان حدوثه أو عدم إمكانه . ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم الريب فيما يقوله . وقال كثيرون ؛ هذا والله الأمر البيّن ، والله إن العير (أى القافلة) لـتَطْرِد (أى تسير بلا انقطاع) شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أيذهب محمد (ﷺ) فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ! وارتد كثير ممن أسلم . وذهب من أخذتهم الريبة فى الأمر إلى إبى بكر (صديقه الحميم) ..
فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ؟
يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة ..!!
فقال لهم أبو بكر : <u>أنكم تكذبون عليه ؟!</u>
فقالوا : لا ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس .
قال أبو بكر : ***<u>والله لئن كان قاله لقد صدق</u>*** فما يعجبكم من ذلك ؟ إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد مما تعجبون منه . وجاء أبو بكر إلى النبى (ﷺ) واستمع إليه يصف بيت المقدس ، وكان أبو بكر قد جاءه ، فلما

---

[98] لاحظ أن " حادثة الإسراء " قد تمت ليلا ، وهو ما يعيق رؤية المسجد الأقصى ، فكيف لهم بهذا الطلب الإيضاحى ، وكيف له بوصفه ؟!

أتم النبى (ﷺ) صفة المسجد ، قال له **أبو بكر** : صدقت يا رسول الله . ومن يومئذ دعا محمد (ﷺ) ***أبا بكر الصديق*** .

وهكذا تم الإختبار المادى للمعجزة التى آتى بها النبى (ﷺ) عندما سألوه عن وصف بيت المقدس ، وهكذا تتأكد المعجزة بالدليل المادى . ثم يوضع النبى (ﷺ) مرة أخرى فى دائرة الإختبار ، بأن قريشا لما سمعت بأمر إسرائه سألته عن آية ذلك ، فإنهم لم يسمعوا بشىء من مثله ؛ فوصف لهم عيرا (قافلة) مر بها فى الطريق ، فضلت دابة من العير (القافلة) فدلهم عليها . وأنه شرب من عير (قافلة) أخرى وغطى الإناء بعد أن شرب منه [٩٩] . فسألت قريش العيران (القافلتان) ــ بعد أن وصلوا مكة ــ فى ما روى محمد (ﷺ) عنهما ، فصدقت العيران (القافلتان) ما روى عنهما . **وهكذا تتأكد المعجزة من ثلاث جوانب مادية مختلفة هى** : وصف المسجد الأقصى ، والدابة التى ضلت طريقها فى أحد القوافل ، والشرب من إناء قافلة أخرى ، لتكون أدلة صدق مادية على حدوث تلك المعجزة ، وعلى أن محمد نفسه كان فى حالته المادية ، بدليل شربه للماء المادى . ثم ليحكى القرآن المجيد عن حدوثها ، لتتأكد بعدد غير محدود من الأدلة المادية الأخرى ، لأنها تدخل ــ ضمن ما تدخل ــ فى البرهنة على صدق وصحة القرآن المجيد نفسه . ثم تتوالى باقى أحداث القصة والمرائى التى رآها الرسول (ﷺ) فى الأكوان الموازية كما تأتى فى كتب السيرة .

٢.٥ وعودة إلى : فلسفة ... ما بعد الفلسفة ...

وهكذا تأتى المعجزة ــ فى غير القرآن المجيد ــ فى الفكر الإسلامى لكى تعطى للإنسان معان كثيرة منها : خروج الإنسان من المعنى الضيق عن مفهوم وجوده فى عالم محدود ، إلى المعنى العام بوجوده فى عوالم غير محدودة عليه أن يترقبها فى حركته اللحظية والمستقبلية معا . كما تعطى الإنسان الإحترام الكاف لعقله .. الذى يجب عليه ألا يتخلى عنه فى كل حركاته وسكناته .. حتى يتأكد له أن " **القضية الإيمانية** " هى قضية " **المسئولية الإنسانية** " تجاه وجوده .. وهو محاسب عليها ــ فيما هو محاسب ــ بعدل مطلق . ففكر فلسفة ما بعد الفلسفة هو فكر ساذج بكلمات عقيمة لا قيمة فيها ، حتى اعتقدت هذه الفلسفة أنها تقدم شيئا **يمكن**

---

[٩٩] يستدل من حادثة الشرب هذه بأن الإسراء كان بالجسد .

أن يقود إلى حل لغز الوجود [١٠٠] ، وهو اللغز التى لا تعرف : " فلسفة ... ما بعد الفلسفة " حتى كيفية صياغته . ودعنا نبين ذلك بالمثال التالى ، الذى تقول به فلسفة ما بعد الفلسفة [١٠١] :

[أما عن العلم الحديث فقد صنع صورا تفوق الخيال وتتجاوزه . فالصور التى تظهر على شاشة الكمبيوتر بوساطة تقنية متشظية أو معادلات رياضية ، تسبق الخيال ، وتبهر العين ، وتجعل الفكر يتوه فى حقول متشظية لم يألفها من قبل . لقد تغير الخيال ، وتغيرت الصورة الذهنية ، وأصبح الفكر يبحث عن صور تسبق الخرافة وتسبق الفانتازيا .

فالصور الإستعارية التقليدية لم تعد صالحة فى هذا العصر ، لأنها تظهر ضعيفة أمام صور الكمبيوتر والصور المُصَنّعة . لم يعد العقل يقبل الصور الخيالية التقليدية ، بل يريد أن يغوص فى أجواء أخرى أبعد من المتجانس ، إلى فضاءات ذات أبعاد متكسّرة . لم تعد الأبعاد الفضائية ذات الأرقام الصحيحة تستهوى العقل البشرى ، فأخذ يبحث عن المتكسّرة والمتناثل فى برامج مستحدثة بطريقة إلكترونية . لذلك أصبح الخيال التقليدى فقيرا ، وأصبحت الصور الذهنية شحيحة لا تتعدى المحسوس والخرافى التقليدى . لم يعد الذهن الإنسانى يستطيع أن يتخيل صورا فائقة تتجاوز ما استجد على شاشة الكمبيوتر . إذ التكرار الآلى لمعادلة خطية ، يُنتج صورا خيالية رائعة تسبق الخيال ذاته . لقد اعتمد العقل على اللغة لاستحضار الصور الخيالية فى الشعر وفى النصوص الأدبية والتجارب العلمية ، وقد كونت الإستعارة والتشبيه والمجاز والكناية والترميز والتخييل حجر الزاوية فى هذه النصوص . أما اليوم فقد أصبح العلم الإلكترونى يتحدى اللغة وتقنياتها فى صنع صور خيالية فائقة . وقد أصبحت الصورة الخيالية على شاشة الكمبيوتر تتحدى الخيال الصوفى الذى يشطح بعيدا فى أجواء السماء محاولا الوصول إلى سدرة المنتهى ، وتتحدى الخيال الدينى الذى يستهدف الملائكة والجن وإبليس وكل ما هو مقدس . فالتداخل العجيب والتناثل ثم التشابه التناسى الذى يخلق التشظى فى الصورة الصُنعة يجعل الخيال يتجاوز ذاته ، ويخلق ويبنى تخطيطات واسعة ، لكنه لا يستطيع أن يدخل فى المعقد والمركب والمتشظى المذهل ، فهو يظل متزمنًا ونفوذه يُقصّر عن تجاوز ما يتجاوزه رؤية وانبهار .]

---

[١٠٠] لغز الوجود سبق تعريفه فى سياق الكتاب ، كما يمكن أن يأخذ صور كثيرة أخرى منها : (١) البرهان العقلى على وجود الله . (٢) البرهان العلمى على صحة الدين . (٣) معرفة الغايات من خلق الإنسان . (٤) حتمية تحقيق الإنسان لهذه الغايات . (٥) البرهان القاطع على شكل ومصير الإنسان .

[١٠١] " *ما بعد الفلسفة : الكاوس ، والتشظى ، والشيطان الأعظم* " ؛ د . سامى أدهم ؛ دار العلم للملايين ـ بيروت ؛ ص : ٩٣ .

(إنتهى)

فكما نرى ــ من هذا النص السابق ــ أن فكر جماعة ما بعد الفلسفة .. لم يتعد فكر طفل قد إنبهر برؤية بعض الصور والتداخلات اللونية على شاشة الكمبيوتر ، فظن ــ هذا الطفل ــ إن هذا علما ، وظن كذلك أن هذه الهلوسة اللونية سوف تقوده إلى شيئا ما ، أو ربما تقوده إلى حل لغز وجود الإنسان ومصيره ..!!!

وبهذا المفهوم تصبح القضية الدينية ــ من وجهة نظر هؤلاء الفلاسفة المنبهرين بالتداخلات اللونية ــ هى صور خيالانية أو هى مجرد خيال قديم ، فى مقابل خيال جديد ــ أشد جموحا ــ أتى به الكمبيوتر أو الصور الإلكترونية . والغلبة ــ بديهى هنا ــ لهذا الخيال المبهر . **ولم تتنبه هذه الفلسفة أن : " القضية الدينية هى قضية علمية كلية "** أشد دقة وصرامة مما هو مألوف فى العلم الحديث الحالى . وهى أيضا ــ أى القضية الدينية ــ ليست وهما أو خيالا كما تدّعى هذه الفلسفة ، بل هى منطق وعلم . وهكذا تصبح " القضية الدينية " المعروضة الان ــ من وجهة نظر **" فلسفة .. ما بعد الفلسفة "** ــ منوطة كلها أو مرتبطة إرتباطا وثيقا بعدم نضوج فكر أفرادها ، وبجهل هؤلاء الأفراد فى كلا الجانبين .. أى الجهل فى الجانب العلمى .. والجهل فى الجانب الدينى معا ..!!!

وأود أن أضيف هنا إلى أن الخيالات التى تظهر على شاشة الكمبيوتر كناتج عن حل ــ عددى ــ **لمعادلة تفاضلية مثلا ــ** إنما تعكس جهل الإنسان ذاته ، وتحكى قصة حدود فكره وتناهى علمه هو الاخر ..!!! ولن أتوسع ــ هنا ــ فى شرح معنى المعادلات التفاضلية . ولكن لابد لى من أشير ــ هنا ــ إلى أن أى حل رياضى لأى معادلة تفاضلية أيا كانت ، هو فى حقيقة الأمر ، **محاولة تخمينية أو حدس ليس إلا ، من جانب صانع الحل** ؛ حتى وإن بدت للمبتدء أو لغير المتخصص **أنها** " بِنْيَة عِلْمية " ، أى بدت أنها أسس علمية صرفة أو طرق رياضية بحته لا دخل للتخمين أو الحزر الإنسانى فيها . فالحقيقة أن " **الحل** " الرياضى للمعادلات التفاضلية هو فعل حدسى مطلق من جانب الإنسان ذاته ، حتى أننا نطلق على هذه الحلول أحيانا " **التخمين الرياضى المنظم : The Organized Mathematical Guess** " ..!!!

فجميع الحلول الرياضية للمعادلات التفاضلية ــ فى حقيقة أمرها ــ لا تمثل إلا طرق تخمينية تعتمد فى المقام الأول والأخير على مقدرة الباحث أو الرياضى فى معرفته للطرق التخمينية المتاحة (وعادة لا يتنبه من يستخدمها إلى أنها طرق تخمينية) . وبهذا فإن الحل الرياضى

يعتمد فى المقام الأول والأخير على " **الحدس : The Intuition** " . **والحدس** هو نوع من القذف الإلهى فى العقل البشرى (أو الإلهام) لرؤية الحل ، حتى وإن لم يتنبه الإنسان لهذا المعنى .

كما وأننا لا نلجأ ــ عادة ــ لإستخدام الحلول العددية (The numerical solution) إلا عندما نفشل فى إيجاد حل تحليلى كامل ، أى حل كامل للمعادلات التفاضلية (ويسمى ــ عادة ــ هذا الحل التحليلى باسم : " **صيغة الحل المغلق : The Closed Form Solution** ") . أما فى حالة الحل العددى ، فإن الحل الذى نحصل عليه يكون حل تقريبى . ولكن لا بد لى من أشير ــ هنا ــ إلى أننا نملك ما يعرف باسم : " **نظرية الوحدانية : The Uniqueness Theorem** " ، **وهى النظرية التى تؤكد على أن الحل الذى نحصل عليه (أيا كان الإسلوب الذى تم الحصول به على هذا الحل) ، سواء كان هذا بالتخمين المباشر أو بالحدس ، أو بالإلهام أو خلافه ؛ فهو حل واحد ونهائى** . بمعنى أنه لا يوجد أكثر من حل واحد يحقق مجموعة المعادلات التفاضلية وشروطها الزمانية الإبتدائية (The Initial Conditions) أو بشروطها المكانية المحيطة أى بالحدود الخارجية (The Boundary Conditions) التى تنطبق فيها هذه المعادلات ، أو بكلاهما معا (أى الزمان والمكان معا) .

وعلى هذا فيجب التنبه إلى أن الإنسان ليس لديه حل مستقل عن الفكر البشرى وعن خيال الفكر البشرى . وبهذا لا تأتى شاشة الكمبيوتر بجديد على الإطلاق ، غير بعض التداخلات اللونية التى يمكن أن تحوز إعجاب أو تبهر طفل ليس إلا ..!!!

وبديهى ؛ كلما قل نضج الطفل الفكرى كلما زاد درجة إنبهاره بتداخلات هذه الألوان ، والعكس صحيح ، حتى يصل الطفل إلى درجة معقولة من النضج الفكرى ، وهنا لا يرى ــ الطفل ــ فى خيالات صور شاشة الكمبيوتر إلا بعض التسلية أو المتعة المحدودة فى بعض أوقات الفراغ . أما إذا إعتاد الطفل رؤية هذه التداخلات اللونية ، فلن يراها فى النهاية إلا نوعا من الملل .. الذى يجب الإنصراف عنه إلى لهو آخر ..!!! .

ولم يتنبه فلاسفة ما بعد الفلسفة إلى أن هذا الترف اللونى الذى يظهر على شاشة الكمبيوتر ليس علما ..!!! وأعتقد : إن إعتقدت هذه الفلسفة فى أن هذه الصور اللونية الخيالانية التى تظهر على شاشة الكمبيوتر سوف تحل للإنسان **لغز الوجود** ، أعتقد أن هذه الفلسفة سوف

تكون قد وصلت إلى درجة من التردى والإسفاف والخلل الفكرى الذى لا يرجى معه أى إصلاح لحال هؤلاء الفلاسفة [١٠٢] ..!!! وبهذا ينطبق عليهم قوله تعالى ..

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً (١٠٦) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٢ - ١٠٦)

فهؤلا .. ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ فهل وعى الإنسان هذا ..!!! وينبههم المولى عز وجل لحال فكرهم .. وحال عبادتهم بقوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الجاثية {٤٥} : ٢٣)

ولن يعى الإنسان ــ فيما يعى ــ هذه الإحاطة العلمية فى هذه الآية الكريمة إلا بالرغبة فى المعرفة ..!!! ولهذا ﴿ .. وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ .. ﴾ أى أضله الله (ﷻ) على علم منه بأن لا أمل فيه من رؤية الحق .. ولهذا جاء قوله تعالى ..

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأنفال {٨} : ٢٣)

أى أن الله (ﷻ) يعلم أنه لا جدوى ، ولا أمل مع هؤلاء الذين يغيبون عقولهم إلى مثل هذا الحد ... فلا جدوى ــ إذن ــ فى نصحهم أو إرشادهم للعدول عما هم فيه من ضلال . فلو

---

[١٠٢] أكرر القول بأن الفلاسفة حتى **القرن الثامن عشر** ' كانوا يعتبرون سائر المعرفة الإنسانية ، بما فى ذلك العلوم هى من مجال اختصاصهم ، وكانوا يناقشون أسئلة مثل : **هل للكون بداية ؟** إلا أن العلم اعتبارا من ' **القرن التاسع عشر** ، أصبح تقنيا ورياضيا **إلى حد يفوق قدرة الفلاسفة** أو أى شخص آخر باستثناء قلة من **المتخصصين** . فخفف الفلاسفة من مدى أسئلتهم وتطلعاتهم إلى الحد الذى دعى ' **فيتجنشتاين : Wittgenstein** ' (أشهر فلاسفة هذا العصر) أن يقول : **إن المهمة الوحيدة الباقية للفلسفة هى تحليل اللغة** ' ..!!!

كان هناك أدنى أمل فى إستجابتهم لدينه الحق لأسمعهم به ...!!! وحتى لو أسمعهم بـــه ﴿ ... لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُون ﴾ . ولهذا لا يسمعهم بالحق .. على الرغم أنه متاح أمامهم ..!!!

فالحقيقة التى لا تقبل الجدل إن الإنسان ليس لديه إلا القليل من العلم ، تصديقا لقوله تعالى :

﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (٨٥) ﴾

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ ... ﴾ فى السياق القرانى لهذه الاية الكريمة ، إنما تعنى أن العلـــم من " الله " (ﷻ) وهو مصدره . ***وليس هذا فحسب بل :***

﴿ ... وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... (٢٥٥) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

فهذا هو الإنسان .. وهذا هو حاله .. فالإنسان بدون " الله " .. ***ليس عليه إلا أن يكـــون ذلك الرجل الأشعث الأغبر*** .. مهلهل الثياب .. شديد الإتساخ .. يحمل معه ورقاته الثلاث البالية .. التى هى كل علمه .. والتى هى كل ما يملك .. ليتجه بها .. إلى تلك الصحراء القاحلة التـــى تترامى أطرافها أمام عينيه .. لا يدرك لها نهاية .. إلا من ظله المنفرد الذى يتراقص مع مشيته المترنحة .. تحت أشعة شمس حمراء قاربت على الغروب .. ليجلس فيها وحيدا منفردا .. فـــى وحشة .. فى هذا الخواء .. لا تدركه رحمة ولا يدرك معها رحمة .. ولا يجد لـــه أنيســـا ولا جليسا .. ليضع ورقاته الثلاث بجانبه .. هى كل علمه .. لينتحب بجوارها على حاله .. وحـــال ما يملك .. حزنا منه على نفسه .. وحزنا منه على ما يملك .. ولتنتهى حياتـــه إلـــى الفنـــاء .. وليـــذهب بورقاته الثلاث إلى العدمية .. ومن حيث يعتقد أنه جاء ..!!!

فهذا هو حال الإنسان .. وهذا هو منتهى علمه .. الذى يتراوح .. بين القلة الممنوحة لـــه مـــن العلم من " الله " (ﷻ) من جانب .. وبين الحدود التى يسمح له بها " الله " (ﷻ) من جـــانب اخر .. لتعود دائرة الحياة للتكرار .. لتكرر ما قاله **نوح** ــ عليه السلام ــ لقومه :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

(القران المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

٦ . والإبادة البشرية كناتج حتمى للمفهوم الدينى الوثنى والفلسفة الحديثة ...

لقد إنتهينا من الكتاب السابق [١٠٣] ، إلى أن **الإبادة البشرية** هى ناتج حتمى من تطبيق بعض نصوص **الكتاب المقدس** . كما رأينا أن **إبادة** غير اليهود هو فكر يلقى حظوة خاصة فى نصوص الكتاب المقدس ، كما فى النص المقدس التالى :

[(١٠) حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح (١١) فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك (١٢) وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها (١٣) وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (١٦) وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما]

(الكتاب المقدس : تثنية { ٢٠ } : ١٠ - ١٦)

وهو ما يعنى أن " **تشكيل الضمير الدينى** " لدى الفرد اليهودى أو المسيحى يسمح بالسخرة ، كما يسمح بالإبادة بمفهومها المطلق . ولا يقتصر **فكر ونصوص الإبادة** فى الكتاب المقدس على نصوص العهد القديم ــ وهو العهد الذى يحوى الديانة اليهودية فحسب ــ بل توجد أيضا للإبادة نصوصها الخاصة فى العهد الجديد وبشكل مباشر . أو بمعنى اخر ؛ فإن نصوص "

---

[١٠٣] **الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب . يمكن للقارىء أيضا أن يذهب إلى الفصل الخامس من هذا الكتاب ، **ليرى بعض نصوص الإبادة فى الديانتين اليهودية والمسيحية** .

مسيحية المحبة " ــ إلى جانب احتوائها على العهد القديم والإيمان بنصوصه الإبادية ــ لها أيضا نصوصها الخاصة بها التى تسمح بالذبح والإبادة هى الأخرى ، كما يأتى هذا فى النص المقدس التالى الذى ينسب إلى السيد المسيح (عليه السلام) :

[(٢٧) أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى] [١٠٤]

(الكتاب المقدس : لوقا { ١٩ } : ٢٧)

ويأتى بعض بابوات الكنيسة الكاثوليكية المسيحية (ومنهم من كان يعبد الشيطان) لا ليمارسوا القتل الجماعى بالجملة فحسب بل يرسوا كذلك قاعدة القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ومن شروط خلاص النفس [١٠٥] .

والمسيحية هى الديانة التى حجرت على الفكر البشرى وأودعته فى ساحة من ساحات الجحيم لقرون طويلة ..!!! وهى التى قلبت ساحة الفكر البشرى إلى ساحة من الدماء كان على الإنسان أن يخوضها ، **حتى يحرر عقله من هيمنة الكنيسة وأصوليتها** ..!!! ويقلب الإنسان ــ فى النهاية ــ المائدة على الديانة المسيحية ..!!! ويستغل الشيطان الموقف ــ موقف هذا الإنسان الثائر على المسيحية ــ لصالحة .. فيغوى الإنسان ويزين له عمله حتى يجعله يقلب المائدة على " **الإسلام** " ..!!! " **إسلام .. العقل والعلم والحرية الفكرية** " .. التى تتناغم مع آفاق الوجود ..!!!

هذا وقد تم إعطاء بعض **الأمثلة التاريخية** فى الكتاب السابق التى تقيم الدليل الكافى على الإبادة المبنية على النصوص المباشرة للكتاب المقدس ، منها على سبيل المثال " **محاكم التفتيش** " . وهى المحاكم التى مثلت أسوأ أنواع الإستبداد والحجر الفكرى التى فرضته الكنيسة على الإنسان . فباستخدام هذه المحاكم حظرت الكنيسة حرية الفكر والإبداع على الإنسان ما يقرب

---

[١٠٤] و " **أملك عليهم ..** " يعنى أن *يكون المسيح ملكا عليهم* . أما الأعداء فهم أى شعب لا يقبل بأن يكون المسيح ملكا عليه ، أو بمعنى أكثر تخصيصا هم أى شعب لا يرتضى فكرهم بأن يكون عيسى إلها ..!!! . فيقول السيد المسيح لأتباعه .. " **فأتوا بهم ..** " ، أى بهؤلاء ، أو بهذا الشعب الذى لا يرتضى بهذا التتويج أو هذا المنهاج " .. **وإذبحوهم قدامى ..** " أى **تحت قدمى** (فى النصوص الإنجليزية ــ راجع مرجع الكاتب السابق) . وبديهى إن لم يكن السيد المسيح موجودا بالكيان الفيزيائى له وقت ذبح الأعداء ، فلا بأس من أن يتم الذبح أمام أى رمز أو وثن يشير إليه بشكل أو اخر .

[١٠٥] **الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان** " ، لرؤية بعض الأمثلة التاريخية الدالة على ذلك .

من قرون سبعة [١٠٦] (من القرن الثالث عشر وحتى قرابة بداية القرن التاسع عشر) . ولم يتحرر الإنسان من هذا الحظر العقلى التى فرضته " **مسيحية المحبة والتسامح** " على الإنسان .. إلا بإراقة دماء مئات الالاف من الابرياء وحرقهم ..!!!

كما تم إعطاء أمثلة اخرى عن **الإبادة بدوافع دينية** مثل " **الحروب الصليبية** " . وهى الحروب التى استغرقت حوالى مائتى عام ، والتى قام بها الإنسان ــ فى ظل الديانتين اليهودية والمسيحية ــ بإبادة أخيه الإنسان تحت دعوى نصوص دينية مباشرة للحصول على البر وخلاص النفس .. وليس هذا فحسب ، بل وليستمد البركة من **الكنيسة** نفسها كذلك ..!!!

فقد رأينا ؛ بعد أن أعلن البابا أوربان الثانى[١٠٧] فى ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥ ، بابا الكنيسة الكاثوليكية فى روما أن المسلمين كفرة يستباح دماؤهم والإستيلاء على ممتلكاتهم ..!!! دعى العالم المسيحى إلى الحرب المقدسة (أى إلى الحروب الصليبية) لإستعادة الأراضى المقدسة من بين أيدى المسلمين . وقد أعلن أوربان الثانى إنه سوف يغفر الذنوب جميعا لمن يساهم فى هذه الحروب الصليبية .. من منطلق التفويض الإلهى الممنوح له من السماء ..!!! ودخلت قوات **الحملة الصليبية الأولى** الأراضى المقدسة (أورشليم) بعد ظهر يوم ***الجمعة ١٥ يوليو عام ١٠٩٩*** ، فى مشهد تاريخى رهيب .. **يقول عنه المؤرخ " جيبون " :**

" إن خدام رب المسيحيين رأوا بإعتقادهم الأعمى أن يكرموا الرب ، **فقاموا بذبح ٧٠ (سبعين) ألفا من المسلمين** .. تعظيما وإجلالا وزلفى وقربانا له .. ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء .. وقد إستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ، وأن من إحتفظوا بهم من الأسرى

---

[١٠٦] يعتبر الميلاد الحقيقى لمحاكم التفتيش مع إعتلاء **البابا جريجورى التاسع** عرش البابوية فى عام ١٢٢٧ ، حين أصدر كتابا **بحرق جميع المشعوذين والملحدين** أو من يحذوا حزوهم ، واستمرت هذه المحاكم حتى بداية القرن التاسع عشر . **والملحد أو المشعوذ ليس له تعريف محدد فى الفكر الكنسى ؛ حتى قيل أن المسيح نفسه كان سيعتبر مشعوذا لو كان حيا فى عصر محاكم التفتيش . وقد عوقب الذين زاولوا التفكير الحر فى البحث عن الحقيقة معاملة المشعوذين من وجهة نظر الكنيسة** . لمزيد من التفاصيل أنظر : [**الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب]

[١٠٧] إسمه الأصلى **أودو دى لاجرى** (١٠٤٢ ١٠٩٩) . ولد بالقرب من مدينة شاتيون على نهر المارن فى فرنسا . وقد جاء من أسرة نبيلة ، وتلقى تعليما جيد . وابتدا سلك الرهبنة والكهنوت من مراحله الأولى حتى اصبح بابا الكاثوليك فى سنة ١٠٨٨ . ومات البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٩ ، بعد أسبوعين من إستيلاء الصليبيين على مدينه القدس . وقد مات دون أن تبلغه أنباء هذا النصر الكبير . **للتفاصيل ؛ انظر المرجع السابق** .

دون أن يقتلوه ، **إنما يرجع بقاؤه على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذى أصاب الصليبيين** من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح " [١٠٨] .

ويضيف **المؤرخ لودفج** .. فيقول : " كيف ساغ لزعماء الكنيسة والأشراف من الصليبيين بعد هذه المذبحة أن يوفوا نذرهم ، ويكشفوا رؤوسهم ، ويخلعوا نعالهم ، ليسيروا فى بحار من الدماء ، ليصعدوا إلى المرتفعات التى نصب عليها الصليب ، ويلصقوا شفاههم بقبر المسيح ، بين مختلف التراتيل والتسابيح والأناشيد والمزامير ..!!! لقد كان منظرا بشعا لا يمكن أن يتصورة أحد . **فهؤلاء أراقوا دماء سبعين ألف مسلم ، وهم الآن يلتمسون الغفران وتطهير أجسادهم وأرواحهم ، ويأملون فى العفو عن خطاياهم ، بل ويستمدون البركة من الكنيسة** ".

وكما بينا ــ كذلك ــ أن **بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية (باباوات روما) لم يكونوا لادينيين وقتلة فحسب ، بل أرسو كذلك قاعدة : أن القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ، ومن شروط خلاص النفس ..!!!**

وعلى الرغم من ثورة الغرب على الكنيسة وسلطاتها وإدراكه لعدم صلاحية الديانة (اليهودية والمسيحية) كمصدر أخلاقى متسق مع نفسه ، إلا أن مفهوم الإبادة قد انتقل (أو تسرب) من خلال النص الدينى (لليهودية والمسيحية) **باعتياد أو بشكل تلقائى** إلى الفكر الحضارى الغربى . **وهكذا أصبحت الإبادة (البشرية) تشكل جزئية أساسية من التركيب النفسى والوجدانى للفكر الغربى** ، سواء كان هذا على مستوى الفكر الدينى النابع من نصوص الديانتين اليهودية أو المسيحية ، أو كان هذا على مستوى الفكر الحضارى النابع من الفكر الفلسفى أو الفكر العلمانى الحديث .

كذلك رأينا أن نصوص الكتاب المقدس تسمح بإبادة واستعباد الإنسان .. كما تسمح باسباغ القدسية انزائدة على الإنسان الذى خلقه الله على شبهه [١٠٩] ، وليس هذا فحسب ، بل أن الإنسان

---

[١٠٨] ***أنظر المقابل :*** عندما دخل " **صلاح الدين الأيوبى** " (١١٣٨؟ – ١١٩٣) بيت المقدس فى ***يوم الجمعة الموافق ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧*** واسترد المسجد الأقصى (شاءت إرادة الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يوافق ذلك اليوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ، أى ذكرى ليلة الإسراء والمعراج) .. ***نادى البعض بهدم كنيسة القيامة ومعاملة أهل المدينة بمثل ما عاملوا به المسلمين من قبل ، فرفض صلاح الدين بحزم هذا المطلب ، بل وتهر كل من نادى بهذا الفكر ، كما أمر باحترام الأماكن المسيحية المقدسة ونادى بالتزام روح التسامح تجاه المسيحيين .*** وذكرهم بأنه عندما فتح أمير المسلمين " **عمر ابن الخطاب** " القدس فى صدر الإسلام ، أقرهم على هذا المكان ولم يأمر بهدم البنيان .

[١٠٩] **[... يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله]** (الكتاب المقدس : تكوين {٥} : ١)

بعد أن أخطأ أصبح عارفا للخير والشر **كواحد من أقانيم الرب المقدسة أيضا** [١١٠] ، أى أصبح شأنه فى هذا شأن الرب نفسه ..!!!

وبتباين قيمة الإنسان تباينا صارخا فى نصوص الكتاب المقدس (أى فى الفكر الدينى لليهودية والمسيحية) ؛ إنتهت الحضارة الغربية ــ من هذا كله ــ بالتخبط فى رؤية الإنسان ، حتى أصبحت تتعامل معه بقيم متغيره . فتارة تسبغ عليه القدسية اللائقة كخليفة لله على الأرض ، وتاره تتعامل معه من منظور المواد المعتادة ، أى أنه مجرد " **مادة بشرية** " فحسب ؛ له ما لها من مفهوم المواد العادية من " **مادة لها قيمة** " و " **مادة عديمة القيمة** " و " **فائض** " يمكن نقله من مكان إلى اخر ، **كما يمكن التخلص منه بالإبادة عند الحاجة** . ويحكم هذا كله **أخلاق الفلسفة البراجماتية** ، أى الأخلاق التى تستخرج من مفهوم حدود المنفعة ، أو بمعنى أدق : " **منفعة النسبية / اللحظية** " ؛ بالنسبة للرجل الغربى ..!!!

وعلى الرغم من أن البعض [١١١] قد نجح فى وضع " **الإبادة الغربية** " فى سياقها الحضارى الغربى بشكلها الصحيح على أنها مشكلة حضارية تشكل فكر الإنسان الغربى ووجدانه الان ، وليست مشكلة محلية نابعة من فكر معين أو مفاهيم خاصة كالنازية أو الصهيونية مثلا .. إلا أنهم لم يضعوا هذا الفكر فى مكانه الصحيح فى داخل : " **بانوراما الوجود الإنسانى والغايات من الخلق** " . **فالإبادة ليست مشكلة حضارية بقدر ما هى مشكلة دينية ، ومشكلة الإنسان ذاته** .. وقدرة هذا الإنسان ــ بصفة عامة ــ غربى أو شرقى على ممارستها ، بل وتقبله القيام بها بتبلد شديد ..!!!

فالإنسان المنفصل عن الدين الحق والقيمة نجده يتدنى إلى درجة دون درجة الحيوان بكثير ، لأن الحيوان لا يمارس الإبادة سواء لجنسه أو لغير جنسه ، فهو لا يأكل إلا بقدر حاجته ، كما يحكمه فى هذا ــ أيضا ــ قانون " **الإنتقاء الطبيعى** " ..!!! **وهكذا تصبح الإبادة ــ أولا وأيرا ــ خاصية بشرية .. تضرب بجذورها فى منتهى أغوار النفس** . فالنفس هى مناط تكليف الإنسان واختبار حريته فى فعل الخير ، وفعل الشر ..!!! وعلى هذا فالإبادة هى جزء من الفطرة البشرية وقدرتها على ممارسة الشر ، وممارسة الخير ، كما يأتى فى قوله تعالى ..

---

[١١٠] **[وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ..]**
(الكتاب المقدس : تكوين (٣) : ٢٢)
وكواحد منا ؛ يعنى أن الإنسان أصبح **كواحد من أقانيم الرب الثلاثة المقدسة** . وهذه الأقانيم هى : **الآب ، والإبن ، والروح القدس** .

[١١١] - **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ؛ د. عبدالوهاب المسيرى ، دار الشروق .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

(القران المجيد : للشمس {٩١} : ٧ - ١٠)

[**سواها** : أنشأها / **فجورها** : عمل الشر / **وتقواها** : عمل الخير ، بما فى ذلك إتباع المنهاج الإلهى / **زكاها** : طهرها ، أى ارتفع بنفسه فوق عمل الشر ، وقصر هذه النفس على عمل الخير / **خاب** : خسر / **دساها** : أخفى فضائلها ، أى أخفى نزعات الخير فى نفسه]

وتقديم الفجور على التقوى *فى الاية الكريمة السابقة ، كما سبق ذكره ، إنما تعنى تغليب فعل الشر فى النفس البشرية على فعل الخير .* ***فالشر جزء من النفس البشرية ، تماما كما وأن الخير جزء منها أيضا*** *، وكلاهما من تركيب الله (ﷻ) فى الإنسان ، ليقع الإنسان فى دائرة الإبتلاء أو الإختبار ، وهو ما يعنى فى إطار ــ أحد ــ الغايات من الخلق .. لهذا يأتى التنبيه الاخر والمباشر للإنسان .. فى قوله تعالى :*

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾

(القران المجد : الأنبياء {٢١} : ٣٥)

[**ونبلوكم** : نختبركم / **فتنة** : بمعنى أى لننظر فيما تفعلون فى هذه الحياة الدنيا]

وهنا ينبه المولى عز وجل **فاعل الشر** ــ على وجه مطلق ــ فى بداية هذه الاية الكريمة بأن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. ﴾ أى إنه : ميت .. ميت ..!!! كما ينبهه فى اخر الاية الكريمة بـ ﴿ .. وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ؛ أى أنه راجع .. راجع .. إلى الله ..!!! وبالتالى فهو **محاسب على فعل الشر .. محاسب على فعل الشر .. مما قد يعينه ــ هذا التنبيه ــ على تجنب فعل الشر باختياره** ؛ وهو القضية الإختبارية له فى هذه الحياة الدنيا ، كما ورد ذكرها فى الاية الكريمة [١١٢] .

---

[١١٢] **المفهوم الرياضى المناظر لهذه الآية الكريمة** : هو أن لكل القيم السالبة (الشر) ، والقيم الموجبة (الخير) يوجد قيم مناظرة لـ " **دالة الفتنة** " . أى أن **فتنة الإنسان بالشر والخير تتساوى من المنظور الإلهى** ، ولكن قيم الفتنة فى حالة الشر أكبر منها فى حالة الخير لهذا كان التقديم فى العرض ، وهو متمشى أيضا مع تقديم الشر فى الاية الكريمة السابقة . فالإنسان الغنى أو القوى أو مالك السلطة ، يملك طيف عريض من المعاصى لا يملكه الإنسان الفقير أو الضعيف أو فاقد السلطة . **ويتساوى فى هذا المفهوم الدول أيضا** ، بمعنى أن ترف الدول الغنية ، ومجاعات الدول الفقيرة كلاهما إبتلاء من الله ــ سبحانه وتعالى ــ وكنتائج طبيعى من قوانين عليا تحكم سلوك الإنسان وقراراته . والإنسان ــ من يملك القرار فى الدول من كلا الجانبين ــ محاسب على ما تؤدى اليه قراراته من نتائج (خير أم شر) . **فـ الحياة من المنظور الإلهى منهاج دراسى له مقرراته وإختباراته ونتائجه ... أدرك هذا الإنسان أم لم يدرك ..!!!**

وليس القصاص والحساب أخروى فحسب ، بل يشمل الجانبين .. دنيا واخرة .. كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٢٢) ﴾

(القران المجيد : الجاثية {٤٥} : ٢١ - ٢٢)

[اجترحوا السيئات : إقترفوا سيئات الأعمال فى هذه الحياة الدنيا]

وهو ما يعنى بوجود الحساب الدنيوى ، كما يوجد الحساب الأخروى . واستخدام المولى (ﷻ) لجملة " **اجترحوا السيئات** " ، بدلا من " **اقترفوا السيئات** " ، لها دلالة نفسية عميقة للغاية . فـ " **الجرح** " هو الجزء المصاب من الجسم بشق فيه ، وما يتبع ذلك من الام مصاحبة . وهنا تعنى الاية الكريمة أن الله قد خلق الإنسان على النحو الذى يصبح معه إقتراف الشر أو الإثم إنما يعنى أن الإنسان مصيب به نفسه أولا كما هو مصيب به الاخرين ، **وهو ما يتمثل ليس فقط فى صور مخالفة الضمير الأخلاقى للإنسان وما يتبع ذلك من آلام ، بل أيضا فى صورة عقاب دنيوى ــ مادى مستتر ــ ينزله الله (ﷻ) بمقترفى الشر** .. ولهذا لم يسوى الله بين ﴿ .. مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ .. ﴾ ، أى بين مقترفى الشر ، وبين الذين امنوا وعملوا الصالحات . وبديهى يمثل هذا القول " **قضية إختبارية** " يمكن التحقق من صحتها . فالخبرة العادية ترينا كيف كانت **نهاية الظالمين ، وكيف كان عاقبة سوء أمرهم وسوء نهايتهم** ، وكيف كان عذابهم النفسى فى هذه الحياة الدنيا ، وحتى وان بدا للبعض أن ظاهر الأمر يوحى بعكس هذا .

ثم نأتى للاخرة ؛ فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٥٤) ﴾

(القران المجيد . يونس {١٠} ٥٢ ٥٤)

[ويستنبئونك : يستخبرونك / وأسروا الندامة : أى حينئذ يتردد الندم والحسرة فى سرائر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب وظلموا الآخرين ، واصبحوا عاجزين عن النطق بهذا الندم ...!! لشدة ما دهاهم من الفزع لرؤية العذاب ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين فى هذا الجزاء ــ لانهم لم يحققوا الغايات من خلقهم ــ لأن هذا هو النتيجة طبيعية لما قدمت ايديهم فى هذه الحياة الدنيا .]

أوعى الإنسان ﴿ .. وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالقِسْطِ .. ﴾ ؛ أى قضى بين الظالم والمظلوم بميزان العدل المطلق ..!!! أم لم يعى ..؟!!!

وأود أن أشير هنا أيضا إلى وجود كتاب اخرين يرون أن إنفصال الحضارة الغربية عن القيم الدينية التى تأتى بها المسيحية هى السبب عن وجود الإبادة كجانب أصبح متأصلا فى هذا الفكر الحضارى الآن . وبهذا لم يتنبهوا إلى أن المسيحية هى مصدر هذا الفكر الإبادى ، وليس هذا فحسب ، بل أن المسيحية لا تضع قيم أخلاقية أيضا ، بل تضع أسسا مهزوزة أشد الإهتزاز للأخلاق . **حتى إن عالم النفس " سيجموند فرويد " ، كان يرى أن المثل والقيم : كالعقل وتخفيف العذاب على الإنسان والأخلاق جميعها مهددة من قبل الديانة المسيحية ، ولهذا كان يرى أهمية فصل الحضارة عن الدين حتى لا تدمر المسيحية القيم الأخلاقية للإنسان ..!!!**

ففى الحقيقة ؛ أن الإبادة ــ إلى جانب كونها خاصية بشرية ــ فإنها تضرب بجذورها إلى الفكر الدينى اليهودى والمسيحى معا ، وهى ليست فكرا نابعا من الفكر العلمانى المعاصر . بل الفكر العلمانى المعاصر نفسه وما يحويه من إبادة هو ــ فى الواقع ــ نابع من الفكر الدينى اليهودى والمسيحى ، لذلك يعتبر الفكر العلمانى الإمتداد الطبيعى لوجود النص الدينى ــ فى الكتاب المقدس ــ الذى يدعو إلى هذا ، وهو النص الذى حكم الحضارة الغربية قرابة ألفين عاما !!!..

وربما كانت [١١٣] **العقيدة التطهرية** (البيوريتانية) [١١٤] هى من أولى الأيديولوجيات الإمبريالية الإبادية التى كانت **تغطيها دبياجة دينية كثيفة** . وقد إعتنق هذه العقيدة المستوطنين

---

١١٣ - **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ، د. عبدالوهاب المسيرى ، دار الشروق . ص : ٢٤ ٤٤ .

١١٤ - **العقيدة التطهرية : Puritanism** " : هى حركة إجتماعية ولاهوتية ضمن **الكنيسة البروتستانتينية** فى إنجلترا والولايات المتحدة . نشأت فى إنجلترا فى أواخر القرن السادس عشر بوصفها حركة إصلاحية متأثرة بتعاليم **جون كالفن** ، أحد رواد الإصلاح الدينى البروتستانتى . واستهدفت تطهير وتنقية الكنيسة الإنجليزية بتبسيط طقوس العبادة وشعائرها ، كما دعت إلى التعلق المتزمت بأهداب الفضيلة . وقد انفصلت هذه الحركة فى القرن السابع عشر عن **كنيسة إنجلترا** ــ بعد أن يأست من إصلاحها ــ وقاومت **الملك تشارلز الأول** مقاومة أدت إلى نشوب الحرب الأهلية الإنجليزية فى عام ١٦٤٢ . وقد حمل هذه العقيدة ــ التطهرية ــ المهاجرون الإنجليز إلى **نيوإنجلند** فى أمريكا الشمالية ، حيث تمتعت حتى القرن التاسع عشر بسلطة كبيرة .

البيض فى أمريكا الشمالية . فقد كان هؤلاء " **المتطهرون** " يشيرون إلى هذا الوطن الجديد باعتباره " **صهيون الجديدة** " أو " **الأرض العذراء** " ، فهى " **أرض بلا شعب** " . وكان المستوطنين الأوائل يشيرون إلى أنفسهم باعتبارهم " **عبرانيين** " (أى يهود) ، وللسكان الأصليين باعتبارهم " **كنعانيين** " أو " **عماليق** " [١١٥] . **ففى أثناء مطاردة " المتطهرون " (أو المستوطنون البيض الأوائل لأمريكا الشمالية) للهنود الحمر للقضاء عليهم والإستيلاء على أرضهم ، كان يستشهدون بـ " سفر التثنية " [١١٦] وبـ " عمليات الإبادة المقدسة " التى كان يجريها " يشوعْ " (النبى) على الشعوب التى كان يحتلها** . وهكذا تبنى المتطهرون المصطلحات " **التوراتية الإبادية** " لارتكاب أشد وأبشع أنواع المذابح البشرية ، كما إستخدمها ــ فيما بعد ــ معظم المستوطنين البيض فى كل أرجاء العالم متجاهلين أى قيم أخلاقية أخرى مثل المحبة والأخاء الإنسانى ، الذى يتسترون ــ عادة ــ خلفه ..!!!

وبديهى ؛ كان الهدف النهائى ــ فى واقع الأمر ــ هو **إبادة السكان الأصليين** حتى يمكن للمستوطنين البيض الأستقرار فى الأرض الخالية الجديدة . وقد تم إنجاز هذا بالفعل من خلال القتل المباشر ، أو نقل الأمراض المختلفة . فقد كانت تترك أغطية مصابة بالجدرى كى يأخذها الهنود فينتشر الوباء بينهم وتتم إبادتهم تماما . وكانت الحكومة البريطانية فى عهد **الملك جورج الثالث** تعطى مكافأة مالية لكل من يحضر **فروة رأس هندى** دليلا على قتله . واستمرت هذه التقاليد الغربية الإبادية بعد استقلال أمريكا ، حتى تصاعدت بعد عام ١٨٣٠ ، حين أصدر **الرئيس جاكسون** قانون بترحيل الهنود من **جورجيا إلى أوكلاهوما** . فقد تم بمقتضى هذا القانون تجميع خمسين الفا من **هنود الشيروكى** من **جورجيا** وترحيلهم إلى أثناء فصل الشتاء سيرا على الأقدام إلى معسكر إعتقال خصص لهم فى **أوكلاهوما** . وقد مات أغلبهم فى الطريق . ووصلت العملية الإبادية إلى قمتها فى معركة " **الركبة الجريحة : Wounded Knee** " عام ١٨٩٠ .

---

[١١٥] " **الكنعانيون : Canaanites** " شعب سامى سكن فلسطين (وفينيقيا أيضا) ، إبتداء من العلم ٣٠٠٠ ق. م. تقريبا (**أى قبل عهد موسى ــ عليه السلام ــ بحوالى ١٥٠٠ سنة**) . وعرفه الإغريق باسم " **الشعب الفينيقى** " . وقد **أقام الكنعانيون فى فلسطين** عددا من المدن ذات الأسوار ، وأنشأوا حضارة إقتبسها عنهم **العبرانيون** (اليهود) فى ما بعد . ويذهب بعض العلماء إلى أن **الكنعانيين** كانوا أسبق الشعوب فى استخدام **أحرف الكتابة (الألف ــ باء)** . وأن الألفباء الفينيقية مشتقة من الألفباء الكنعانية . **وعن الألفباء الكنعانية نشأت الألفباء العبرية** .

[١١٦] **[(٢١) وحرّموا (بمعنى ذبحوا) كل ما فى المدينة من رجل وإمرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف]**

(الكتاب المقدس : يشوع {٦} : ٢١)

لمزيد من نصوص الإبادة فى الكتاب المقدس ، انظر تذييلى : ٥٥ ، ٥٦ من الفصل الخامس من هذا الكتاب . انظر كذلك : **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، لمزيد من التفاصيل .

وكانت الثمرة النهائية لعمليات الإبادة هذه إنه لم يبق منهم **سوى نصف مليون هندى** من مجموع السكان الأصليين الذى كان يقدر عددهم بنحو ٥ ,٦ (**ستة ونصف**) مليون عام ١٥٠٠ لدى وصول الإنسان الأبيض إلى أمريكا الشمالية [١١٧] . أى أنه تم إبادة نحو ستة ملايين مواطن أصلى (أى أكثر من ٩٢ % من السكان الأصليين) ، وهو رقم لا يذكره أحد هذه الأيام ، **هذا إذا لم تحسب نسبة التزايد الطبيعى للسكان** .

وقد تكرر نفس النمط فى **أستراليا** التى كان يبلغ عدد سكانها الأصليين حوالى **٢ مليون** عند استيطان البيض للقارة فى عام ١٧٨٨ لم يبق منهم سوى ٣٠٠ ألف .

ثم نأتى إلى الإبادة النمطية فى ظاهرة الحضارة الحديثة . ففى الواقع ؛ لا تكمن المشكلة العلمانية فى المنهاج ، ولكنها تكمن فى الإحلال . فالمنهاج العلمانى ، أو بمعنى أدق " **الديانة العلمانية** " تؤدى إلى تحطيم الإنسان ذاته بما فى ذلك قيمه . فالدين العلمانى لا يرى إلا " **المادة** " مكان " **القيم الروحية** " . **فمع تزايد معدلات نمو العلمنة الشاملة ، لم يعد من الممكن تصنيف البشر على أساس دينى متجاوز للقوانين الطبيعية المادية** . فلم يعد مفر من تصنيف البشر ــ من وجهة نظر العلمانية ــ إلا على أساس مادى موضوعى كامن أى فطرى فيهم ، وليس مفارقا لهم . ولهذا طرح الأساس البيولوجى العرقى أساسا وحيدا وأكيدا لتصنيف الإنسان ، حيث يتم المزج بين هذا الفكر ، و " النظرية الدارونية الإجتماعية [١١٨] " ، وكانت الثمرة هى

---

١١٧ تقول " **موسوعة كتاب العالم : The World Book Encyclopedia** " لعام ١٩٩٥ (ج ١٠ ، ص : ١٨٢ – ١٨٥) ؛ بأن عدد الهنود عندما وصل الرجل الأبيض إلى ما **يسمى بالولايات المتحدة الأمريكية الآن** ، كان **مليون هندى** ، ولكن المرض والكحول والحروب التى استمرت قرابة ٣٠٠ عام قد خفضت هذا الرقم إلى ٢٣٧ ألفا بحلول عام ١٩٠٠ . وتضيف الموسوعة بأن الرجل الأبيض بعد أن كسب الحرب فى النهاية **أعاد كتابة التاريخ** بما يتناسب مع وجهة نظره ومصالحه (**وهو ما يعنى إخفاء الأرقام الحقيقية**) . كما تضيف **الموسوعة** ــ على سبيل المثال كمظهر من مظاهر الإبادة الجماعية للهنود الأمريكان ــ **بأنه قد تم حرق ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ هندى وهم أحياء فى " معركة بيكوت : The Pequot War "** . وتقول الموسوعة بأن الرجل الأبيض كان يعتقد فى أن الهنود عبارة عن " **متوحشين بلا روح** " ، وليسوا مثل سائر البشر . هذا وقد صدر قرار للجنود البيض بقتل كل ما هو " **هندى آباشى** " يستطيع حمل السلاح على الإطلاق وأسر النساء والأطفال . ولم يبق من " **الأباش** " **اليوم إلا ١١ ألفا ، يعيش معظمهم فى ولايتى آريزونا ونيوميكسيكو** .

ويقول الجنرال **نيلز ج . مايلز** بأن فنون قتال الرجل الأبيض كانت تسمى " **تكتيكات واستراجيات** " بينما فنون قتال الهندى كان يسميها الرجل الأبيض بـ " أساليب الغدر والخيانة " . **وتضيف الموسوعة بأن معظم حروب الرجل الهندى مع الرجل الأبيض كانت تمثل المحاولات التى لا طائل منها ، والتى كان يخوضها الرجل الهندى الفقير فى التجهيز والفقير فى العتاد كمحاولة يائسة منه للإحتفاظ بأرضه وبطريقة معيشته ...! !**

١١٨ الدارونية الإجتماعية : **Social Darwinism** هى النظرية التى نتجت عن تطبيق **نظرية دارون** (التى تقول بمبدأ : **الإنتخاب أو الإنتقاء الطبيعى : Natural Selection**) على المجتمعات الإنسانية . وهى **النظرية**

النظرية الغربية فى التفاوت بين الأعراق ذات الطابع الداروني . وتقسم هذه النظريـــة الجنـــس البشرى بأسره إلى أعراق لكل منها سماته التى يمكن تحديدها علميا .

وقام المفكرون العرقيون الغربيون بتطوير هذا المفهوم ، فذهبوا إلى أن " **الجنـــس الآرى** [١١٩] " وبخاصة " **النورديون** " هم الأعراق العليا . والجنس الآرى جنـــس يتســم بالجمـــال والذكـــاء والشجاعة وعمق التفكير والمقدرة على التنظيم السياسى ، بأنه المؤســـس الحقيقـــى للحضـــارة وبتفوقه على السَّاميين والصفر والسود . ونبه **هيوســـتون ســـتيوارت تشـــامبرلن** (١٨٥٥ - ١٩٢٧) إلى أن **النورديين** هم أرقى الآريين ، فهم الجنس السيد ، أما اليهود والسود والعـــرب فيشغلون أدنى درجات السلم العرقى .

وسواء كان التقسيم البشرى عرقى أو غير عرقى ، فإن العلمانية الشاملة لابـــد وأن ينقســم لديها البشر ــ فى النهاية ــ إلى طيقتين : طبقة عليا هى الطبقة الإمبريالية أو طبقـــة الـــ " **سوبرمن : Supermen** " ، وطبقات الدنيا من البشر هم الـــ " **ســـبمن : Submen** " . وبـــهذا المعنى تصبح العلاقة بين " **السوبرمن** " (الإنسان الأعلى) ، و" **السبمن** " (الإنسان الأدنـــى) تحكمها " **النفعية الدارونية** " . وهى المنظومة التى تذهب إلى أن من يملك القوة مـــن حقـــه أن يوظف الاخرين فى خدمة مصالحه ، مستخدما فى ذلك آخر المناهج العلمية ، وأحدث الوســـائل التكنولوجية ، متجردا من أية عواطف أو أخلاق أو أحاسيس إنسانية ، باعتبار أن الإنسان فـــى

التى نشأت فى القرن التاسع عشر والتى إعتبرت أن حياة الإنسان فى المجتمع تمثل صراعا مـــن أجـــل الوجـــود يحكمه **مبدأ " البقاء للأصلح "** . **وبديهى أن المساواة والديمقراطية تتناقضان مع مبدأ الإنتخاب الطبيعى وبقـــاء الأصلح** . وقد إستخدمت الفاشية هذه الفكرة ــ أى **مبدأ الإنتقاء الطبيعى** وبقاء الأصلح ــ لتبرير تصفية أجنـــاس بعينها . كما دوفع عن الحروب بين الأمم لنفس الأسباب ، وقالوا بأنها وسيلة لإبادة الضعفاء من الجنس البشـــرى وإستمرار بقاء الأقوياء . كذلك حرّف أنصار الماركسية ، **الدارونية** لتطبيقها على تنازع الطبقات . كما تم تـــبرير الأعمال الوحشية لإبادة المجتمعات الصغيرة إستنادا إلى النظرية الدارونية . وعلى الرغـــم مـــن أن الدراســـات الحديثة قد أثبتت أن هذه النظرية لا تقوم على أساس علمى سليم (ولهذا اضمحلت خلال منتصف هذا القرن ، أى القرن العشرين) ، إلا أنها بدأت تلوح فى الأفق مرة أخرى مع تزايد معدلات نمو **العلمانية الشاملة** .

١١٩ **الجنس الآرى** : هو الجنس ــ كما يقول العرقيون ــ الذى انتشر من شمال الهند وإيران وعبر الإســـتبس إلى أوربا . وكلمة " **أريان : Aryan** " ، أى " **آرى** " مشتقة من " **اللغة السنسكريتية** " ومعناها " **سيد** " . . وقـــد استخدم هذا المصطلح فى بداية الأمر للإشارة إلى مجموعة من اللغات الإيرانية ثم الهندية الأوربية . وقد طـــرح العالم الألمانى " **ماكس مولر** " (١٨٢٣ - ١٩٠٠) نظرية مفادها أن هناك جنسا يسمى " **آرياس** " كان يتحـــدث اللغة الهندية الأوربية التى تفرعت عنها اللغات الهندية الأوربية الأخرى جميعا ، ابتداء بالهندوســـتانية وانتـــهاء بالإنجليزية . كما استخدم هذا المصطلح كذلك ؛ للإشارة إلى الشعوب الهندية الأوربية التى انتشرت فـــى جنـــوب اسيا وشمال الهند فى العصور القديمة . وكان **جوزيف جوبينو** (١٨١٦ - ١٨٨٢) من أهـــم المفكريـــن الذيـــن أشاعوا هذه الفكرة ، فعادة ما كان يضع " **الآريين** " فى مقابل " **الساميين** " . **وكان ثمة تـــرادف مفـــترض بيـــن الآرية والهيلينية مقابل السامية** (أنظر تفاصيل أخرى فى تذييل رقم ٢٣ من الفصل الخامس) .

نهاية الأمر ما هو إلا مادة . ومن ثم فمثل هذه الأحاسيس هى مجرد أحاسيس ميتافيزيقية أو قيم نسبية مرتبطة بالزمان والمكان ، وليس لها أى ثبات أو عالمية [١٢٠] .

وهكذا يمكن أن تتعامل " **العلمانية الشاملة** " مع الإنسان على أنه " **مادة بشرية : Human Material** " ليس إلا ، فإن أمكن توظيفه أصبح بهذا المعنى " **مادة مفيدة : Useful matter** " ، أما من لا يمكن توظيفه فيشار إليه بأنه " **فائض بشرى : Human Surplus** " ، أو أنه " **مادة غير نافعة : Unuseful matter** " . وهذه المادة الفائضة لابد وأن تخضع لشكل من أشكال المعالجة لتصحيح وضعها ، فإما أن تصدر (**Transfered**) أو يعاد صياغتها أو تباد إن فشلت معها الحلول السابقة .

ومن هذا المنظور أشار " **أيخمان** " فى الأدبيات النازية إلى اليهود [١٢١] المرحلين إلى فلسطين بأنهم " **أفضل المواد البيولوجية** " . ويتضح هذا جيدا أيضا ، عندما تكشفت فضيحة الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٦ ، عندما تخلت عن بعض عملائها الفيتناميين ممن تم تجنيدهم ليعملوا كجواسيس لها . فقد أعلنت الولايات المتحدة عن موتهم بمجرد القبض عليهم من قبل المجاهدين الفيتناميين . وقد برر أحد الجنرالات الأمريكيين موقف حكومته بقوله : إن هؤلاء

---

١٢٠ " **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ، د. عبدالوهاب المسيرى ؛ دار الشروق . ص : ٢٤ – ٤٤ .

١٢١ **عندما نستحضر بعض الشواهد التاريخية ، نجد أن إحداها تؤكد على لسان بعض الألمان الشتات أن مذابح هتلر ضد اليهود (رغم المبالغة فيها) – لاحظ أن هتلر نفسه كان يهوديا أو مشكوك فى كونه يهوديا – كانت بإيعاز من الحركة الصهيونية نفسها ، وذلك لمساعدة المخطط الصهيونى ..!!! لحتمية وضرورة وجود الوطن القومى لليهود فى فلسطين . بل ولقد شاهدنا جميعا بأنفسنا وتابعنا ، أنباء موجة قذف القنابل على معابد اليهود ومساكنهم والتى حدثت أخيرا (فى عام ١٩٩٧) فى الأرجنتين والبرازيل .. كان وراؤها الصهاينة أنفسهم ، وذلك لتنشيط حركة الهجرة اليهودية إلى الكيان الصهيونى بعد أن أصابها النوم والهبوط ..!!!**

وثمة مثال اخر على هذا النهج ، وهو أحداث العراق ، فقد كانت الجماعة اليهودية فى العراق (والتى بلغ عددها ١١٠ ألف يهوديا عام ١٩٤٨) عميقة الجذور فى البلاد ، وهو الأمر الذى عبر عنه حاخام العراق الأكبر " خضورى ساسون " **بقوله : " لقد تمتع اليهود على مدى ألف سنة بنفس الحقوق والإمتيازات التى يتمتع بها العرب ، ومن ثم فهم لا يعتبرون أنفسهم عناصر غريبة أو منعزلة داخل الأمة** " . وفى عام ١٩٥٠ بدأت الأعمال الإرهابية الإسرائيلية فى بغداد . إذ كان يهود العراق قد أحجموا عن تسجيل أسمائهم فى قوائم الراغبين فى الهجرة إلى إسرائيل . **وإزاء هذا الوضع ، لم تتورع المخابرات الإسرائيلية عن إلقاء القنابل على بيوت هؤلاء اليهود لإقناعهم بأنهم فى خطر دائم** . وقد أدى الهجوم على المعبد اليهودى المعروف باسم " **شيم توف** " إلى مصرع ثلاثة أشخاص وإصابة العشرات . وفى أعقاب ذلك بدأت عملية خروج يهود العراق ، والتى عرفت باسم " **عملية على بابا** " . [عن : " **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية** " ؛ روجيه جارودى ، دار الشروق ؛ عن صحيفة : **يديعوت أحرونوت** ، عدد ٨ نوفمبر ١٩٩١] .

العملاء أصبحوا بعد القبض عليهم " **ممتلكات لا قيمة لها : Unviable assets** " أى مادة بشرية فائضة لم يعد لها نفع بالنسبة للـ " **سوبرمان** " .

كما تؤدى العلمانية الشاملة إلى " **التجريد** " ، أى نزع الصفات الخاصة عن الشىء . ويأتى فكر ما **بعد الحداثة** ــ فى أيديولوجية النظام العالمى الجديد ــ بأن يجعل الإنسان يدور فى " **ثالوث قدوس** " اخر . ففى الصباح يكون الإنسان فى المصنع للإنتاج ، وفى الظهر يكون فى السوبر ماركت للإستهلاك ، وفى الليل يكون فى الملهى الليلى لتحقيق اللذة والمتعة ..!!! وتدور حياة الإنسان على هذا النحو ..

فالعلمانية الشاملة يصحبها " **الأخلاق النفعية المادية** " (البراجماتية) التى تعفى الإنسان من المسئولية الأخلاقية . فالأخلاق النفعية المادية تستمد مفهومها من " الطبيعة / المادة " ومن قوانينها المتجاوزة للعواطف والغائيات والأخلاقيات الإنسانية . ومن ثم تحرر الإنسان من أية مفاهيم قيمية ، مثل " الإنسان ككل " أو " الإنسانية جمعاء " أو " صالح الإنسانية " . كما تحرر الإنسان من القيم المطلقة مثل " مستقبل البشرية " و " العدل " ؛ فالمرجعية هنا أصبحت للإنسان ومنافعه . فالإنسان جعل من نفسه تجسيدا لقانون الطبيعة .

وبهذه المعانى السابقة تعطى " **العلمانية** " الإنسان حريته بلا ضمير أخلاقى ، ولكنها فى نفس الوقت تحوله إلى **إنسان يخاف الجهر بالضمير الأخلاقى ، ويفضل عليه الأمان الذى يقدمه له النظام ، ويقنع بصلاح سجانه على الرغم من القهر الذى يتعرض له .**

ورواية " **كين كيسر** " **" طار فوق عش الوقواق** " ، تعطينا صورة واضحة عن هذا المعنى . حيث تدور أحداث الرواية حول سكان مصحة عقلية يحيون حياة طفولية خاوية من المعانى ، تحت رقابة وسيطرة مربية ضخمة الجثة . ويبذل بطل الرواية " **ماك ميرفى** " محاولات عديدة لتحرير هؤلاء المرضى من المصحة عن طريق خرق القوانين الخاصة بها ، إلى أن ينجح بالفعل فى تحرير المرضى ويقودهم إلى الحرية ، لكنه يكتشف فى النهاية أنهم كانوا قوما متقوقعون ومحبوسون بإرادتهم ؛ ويخاف الجميع من العالم الخارجى فيعودون طواعية إلى المصحة مفضلين السجن على الحرية ، بسبب الأمان الذى تقدمه لهم المصحة .

كما أخذت الحروب الإستعمارية ضد الشرق طابعا ابادياً ، مثلما حدث فى الكونغو ، وفى الجزائر (بلد المليون شهيد) . كما يمكن أن يضاف إلى هذا أرقام الأفريقيين الذين اختطفوا من

قارتهم وتم نقلهم إلى الأمريكتين وكان يموت أكثر من نصفهم فى الطريق ، إما من خلال اسباب طبيعية بسبب الإنهاك والإرهاق وسوء الأحوال الصحية ، أو من خلال إلقائهم فى البحر مباشرة عند إصابتهم بالمرض فى أثناء نقلهم .

وقد تحققت الإبادة ــ أيضا ــ بشكل نموذجى كامل فى " **الإبادة النازيـــة** " [١٢٢] . وكـــان النازيون يدركون تمام الإدراك أن نظامهم النازى وممارساته الإبادية هو ثمرة طبيعية للتشـــكيل الحضارى الغربى الحديث . وقد بين " **ألفريد روزنبرج** " أثناء محاكمته فى " **نورمـــبرج** " [١٢٣] هذه العلاقة العضوية بين العنصرية النازية والمشروع الغربى الكولونيالى (الإستعمارى) . فقد أشار إلى أنه تعرف على مصطلح " **الرجل الأعلى أو الســـوبرمان** " فـــى كتـــاب الإســـتعمار الإنجليزى " **كتشنر** " . وأن مصطلح " **الجنس المتفوق أو الجنس السيد** " مأخوذ مـــن كتـــاب العالم الأمريكى الأنثروبولوجى " **ماديسون جرانت** " ، والعالم الفرنسى " **لابوج** " . وأن رؤيتـــه العرقية هى نتيجة أربعمائة عام من البحوث العلمية الغربية . فالنازية ــ كما أكـــد روزنـــبرج لمحاكميه ــ هى جزء من الحضارة الغربية . فالعدوان النازى لا تقوم به شرزمة صغيرة مـــن الأشقياء ، ولكنه التعبير النهائى عن أعمق غرائز الشعب الألمانى . فـــ " **هتلـــر** " [١٢٤] هـــو

---

[١٢٢] **النازية : Nazism** " : هى أيديولوجية **حزب العمل الألمانى الإشتراكى الوطنى** . وكلمة " نـــازى " أو " النازية " ليست لفظا بل هى الأحرف الأولى لإسم الحزب نفسه ؛ أى " **حزب العمال الألمانى الإشتراكى الوطنى : NationalsoZialistische Deutsche Arbeiterpartei** " . وقد وضع **هتلر** هذه الأيديولوجية متأثرا **بالفاشـــية الإيطالية** ، وبسطها فى كتابه " **كفاحى : Mein Kampt** " . وتتلخص **النازية** فى البنـــود الثلاثـــة التاليـــة : (١) **سيطرة الدولة على الإقتصاد** . (٢) **القومية العنصرية التى تقول بأن الجنس أو العرق الآرى هو سيد الأعـــراق جميعا** . (٣) **ضرورة توسيع رقعة ألمانيا الإقليمية . هذا وقد برزت النازية فى ألمانيا مع بروز هتلر عام ١٩٣٣ وسقطت بسقوطه عام ١٩٤٥** .

[١٢٣] **محاكمات نورمبرج : Nuremburg Trials** " : وهى المحاكمات التى شكلتها الدول المنتصـــرة فـــى الحرب العالمية الثانية وهى : الولايات المتحدة الأمريكية ، الإتحاد السوفيتى ، إنجلترا ، وفرنسا . عقب هزيمـــة ألمانيا مباشرة ، فى مدينة " **نورمبرج** " بألمانيا ، وبلغ عددها ١٣ محاكمة ، واستغرقت الفترة من سنة ١٩٤٥ إلـــى سنة ١٩٤٩ . ووجهت فيها إلى القيادات الألمانية التهم بالجرائم التالية : **تهم خاصة بالجرائم المرتكبة ضد الســـلام ، وتهم خاصة بجرائم الحرب ، وتهم خاصة بالجرائم المرتكبة فى حق الإنسانية** . وتراوحت الأحكام الصادرة فى هذه المحاكمات ضد القادة الألمان بين الإعدام ، والسجن مدى الحياة ، والسجن لفترات محـــدودة ، كمـــا قضـــت بالبراءة للبعض الذين لم يثبت إدانتهم . **وقد انتهت المحاكمات إلى الفكر القائل : " بأن الواجب الأخلاقـــى علـــى الجنود والمواطنين يحتم عليهم عصيان القوانين والأوامر الغير إنسانية الصادرة إليهم ، كما ينبغى عليهم عـــدم تنفيذها** (عن موسوعة كتاب العالم لعام ١٩٩٥ : ج ١٤ ، ص : ٣٥١) . أنظر كذلك بند ٧ من هذا الفصل .

[١٢٤] **أودلف هتلر : Adolf Hitler** (١٨٨٩ ــ ١٩٤٥) ؛ حكم ألمانيا حكما دكتاتوريا فى الفترة مـــن ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥ . حول ألمانيا إلى آلة حرب جبارة **وأشعل الحرب العالمية الثانية فى عـــام ١٩٣٩** ، وهـــى أكـــبر حرب عرفها التاريخ ، حيث اجتاحت قوات **هتلر** معظم دول أوربا قبل هزيمته فى عام ١٩٤٥ .

تجسيد لقوى كامنة أكبر منه ، والبدعة التى يبشر بها الان ترجع إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة مضت .

ولعل أكبر دليل على أن الإبادة تضرب بجذورها فى الحضارة الغربية الحديثة ، إنها لم تكن مقصورة على النازيين ، إنما كانت تشكل مرجعية فكر وسلوك الحلفاء أيضا ، أعداء النازيين الذين قاموا بمحاكمة النازيين بعد الحرب ..!!!

فقد أطلق الكاتب الأمريكى " **ثيودور كوفمان** " فى عام ١٩٤٢ ، فى سياق كتابه " **لابد من إبادة ألمانيا** " الدعوة الصريحة للإبادة الجماعية بالمعنى الحرفى للكلمة ، حيث قال : " **إن الألمان جميعهم ــ مهما كان توجههم السياسى ــ لا يستحقون الحياة (سواء كانوا معادين للنازية أم شيوعيين أم حتى أحباء للسامية ، أى لليهود) . ومن ثم ينبغى تجنيد ٢٠ ألف طبيب بعد الحرب لكى يقوم كل منهم بتعقيم ٢٥ رجلا أو إمرأة من الألمان يوميا ، بحيث لا يكون هناك بعد ثلاثة شهور أى ألمانى قادر على الإنجاب ، وبالتالى سوف يفنى الجنس الألمانى بأسره فى غضون ٦٠ سنة** " [١٢٥] . وقد إستفادت الة الدعاية النازية من هذا الكتاب وبينت أبعاد

وقد ولد هتلر فى ٢٠ أبريل عام ١٨٨٩ فى مدينة براوناو (Braunau) **بالنمسا** ، وكان الطفل الرابع للزواج الثالث لرجل فى الواحد والخمسين من عمره يدعى " **أليوس هتلر** : Alios Hitler " (**وهناك من يقول بأنه ابن غير شرعى لرجل يهودى كان على علاقة بأمه ، ولهذا السبب حرق هتلر كل أوراق أرشيف قرية لنز بعد أسبوع من توليه منصب مستشار ألمانيا**) . وعندما كان " **هتلر** " شابا كان **فنانا فاشلا** . ولكن نجمه قد بدأ فى الصعود بعد إنضمامه إلى الحزب النازى . **ووصل إلى حكم ألمانيا فى عام ١٩٣٣** . وقد أمر **هتلر** بقتل نحو عشرة الاف من خصومه ، وإلقاء مائة الف من معارضيه فى السجون حتى يتحقق له السيطرة الكاملة على الحزب وألمانيا .

وقد إكتسحت قوات هتلر بولندا فى عدة أسابيع (وهو السبب المباشر **لقيام الحرب العالمية الثانية**) . كما قام بغزو كل من الدانيمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا .. وانتصر عليهم بسهولة . **ونشر هتلر الموت بلا رحمة ، وبطريقة لم تعهدها البشرية من قبل فى التاريخ الحديث . فقد كان يقول لجنوده : تصرفوا بوحشية ! ولا تظهروا أى رحمة ! ويعتبر هتلر مسئول عن قتل حوالى ٣٥ مليونا (وفى روايات أخرى ٥٠ مليونا) من البشر** ...!!! منهم ١٧ مليونا من العسكريين . وكان النجاح حليف **هتلر** فى البداية . ثم تغير الموقف بعد أن خسر **هتلر معركة العلمين** (فى ٤ نوفمبر ١٩٤٢) **فى مصر** وخروجه من شمال أفريقيا ، وبعد أن خسر **معركة ستالينجراد** (فى ٢ فبراير ١٩٤٣) وانسحابه من روسيا .. ثم توالت عليه الهزائم بعد أن **غزا الحلفاء نورمانديا** (فى ٦ يونيو ١٩٤٤) .

وفى أبريل عام ١٩٤٥ أصبح **هتلر إنسانا محطما** ، بعد أن أصبح الحلفاء على أبواب برلين ، **وأصابت يديه ورجليه الرعشه ، كما أصابته تقلصات معدية شديدة وأدرك هتلر بأن نهايته قد دنت ، فقام بالتزوج من عشيقته إيفا براون فى ٢٩ أبريل فى مخبأه فى برلين . ثم إنتحرا معا فى اليوم التالى فى ٣٠ إبريل ١٩٤٥ ، وأحرق مساعديه جثتيهما بعد ذلك . واستسلمت ألمانيا للحلفاء بعد انتحار هتلر بسبعة أيام ... فى ٧ مايو ١٩٤٥ .**

[١٢٥] **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية** ، روجيه جارودى . دار الشروق . ص : ١٣٢ .

المؤامرة الإبادية ضد الألمان . وهنا يمكننا رؤية الرغبة المتبادلة فى الإبادة بين الأطراف المعنية .

كما أيد هذه الدعوة أيضا الروائى الأمريكى الشهير " [١٢٦] **إرنست هيمنجواى** " الذى طالب بتعقيم الألمان ــ بالمعنى الطبى والجراحى للكلمة ــ بشكل جماعى للقضاء على العنصر الألمانى . كما قال **تشرشل** (رئيس وزراء بريطانيا) فى عام ١٩٤٠ . إنه ينوى تجويع ألمانيا وتدمير المدن الألمانية وحرقها وحرق غاباتها . وقد عبر عن هذا الموقف الإبادى الجماعى بشكل متبلور الكاتب الأمريكى " **كليفتون فاديمان** " [١٢٧] ، وجعل الهدف من كتاباته هو إضرام الكراهية لا ضد القيادة النازية وحدها فحسب ، بل ضد الألمان ككل . وكان يقول : " **إن الطريقة الوحيدة لجعل الألمان يفهمون هى قتلهم . بل وأظن أنهم لن يفهموا عندئذ أيضا** " .

وعن رأى رجال الدين ؛ فقد نشرت صحيفة ديلى هيرالد اللندنية مقالة للأب " **و. ويب** " قال فيها [١٢٨] : " يجب أن يكون شعارنا هو " **محوهم** " . ومن أجل ذلك يجب أن تنصب علومنا على اختراع متفجرات جديدة أشد هولا .. **وربما لا يجوز لرجل دين يتمسك بالإنجيل أن ينساق إلى مثل هذه المشاعر ، ولكنى أقولها دون مواربة ، أنه لو كان الأمر بيدى لمحوت ألمانيا من على الخريطة . فهم جنس شيطانى ابتليت به أوربا على مدى قرون عديدة** " .

وقد اشترك بعض الزعماء والكتاب اليهود فى الحملة ، فصرح **فلاديمير جابوتنسكى** عام ١٩٣٤ بأن مصلحة اليهود تتطلب الإبادة النهائية لألمانيا وكان يقول بأن : " الشعب الألمانى بأسره يشكل تهديدا لليهود " .

---

[١٢٦] - **إرنست هيمنجواى** : Ernest Hemingway " (١٨٩٩ - ١٩٦١) واحد من أشهر وأهم الكتاب الأمريكيين فى القرن العشرين . **نال جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٤** . أهم قصصه : " **العجوز والبحر** : **The Old Man and the Sea** " ، و " **وداعا للسلاح** : **A Farewell to Arms** " . عانى منذ بداية الخمسينات بعض الأمراض الجسدية والعقلية ، وظلت معه حتى انتحر فى عام ١٩٦١ .

[١٢٧] رئيس تحرير **صحيفة نيويوركر الأسبوعية** ، وأبرز الشخصيات فى هيئة كُتّاب الحرب التى أنشأتها **الحكومة الأمريكية إبان الحرب بغرض الحرب النفسية** ، وقد شن **كليفتون** حملة كراهية ضارية ضد ألمانيا ، وهى تشبه فى كثير من الوجوه الحملة التى شنها الغرب ضد العرب فى الستينات ، والتى يشنها الغرب ضد المسلمين والإسلام فى الوقت الحاضر

[١٢٨] **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية** ؛ روجيه جارودى ، دار الشروق . ص : ١٢٩ ، ١٣٠ .

وكان هناك حديث متواتر عن ضرورة هدم ألمانيا وعن تحويل ألمانيا إلى " **رعوية : Pastoralization** " ، أى هدم كل صناعاتها ومؤسساتها الحديثة (كما حدث **لمحمد على** [١٢٩] أثناء فترة حكمه لمصر) . ونجحت غارات الحلفاء على المدن الألمانية فى إبادة مئات الألوف من المدنيين من الرجال والنساء والأطفال والنساء والعجائز ، وتحطيم كل أشكال الحضارة والحياة فى ألمانيا . وقد بلغ عدد ضحايا الغارات على مدينة **درسدن** الألمانية وحدها ٢٠٠ ألف قتيل .

كما إستمرت النزعة الإبادية بعد الحرب ، فقامت قوات الحلفاء بوضع مئات الألوف من الجنود الألمان فى معسكرات إعتقال وتم إهمالهم عن عمد . كما تم تصنيفهم على أساس أنهم : " **قوات معادية تم نزع سلاحها : Disarmed Enemy Forces** " (وكانت تختصر بالأحرف : **DEFS**) ، بدلا من تصنيفهم بأنهم " **أسرى حرب** " . وإعادة التصنيف هذه كانت تعنى فى واقع الأمر حرمانهم من المعاملة الإنسانية التى تنص عليها " **إتفاقية جنيف** " الخاصة بأسرى الحرب . وبالفعل قضى حوالى ٨٠٠ ألف (٧٩٣, ٢٣٩) جندى ألمانى نحبهم فى معسكرات الإعتقال الأمريكية عام ١٩٤٥ . كما قضى ١٦٧ ألفا نحبهم فى معسكرات الإعتقال الفرنسية ، نتيجة الجوع والمرض وسوء الأحوال الصحية ، حسبما جاء فى دراسة لـ " **جيمس باك : James Bacque** " . **وفى الوقت ذاته كان يوجد ١٣, ٥ مليون طرد غذائى** فى مخازن الصليب الأحمر ، تعمدت سلطات الحلفاء عدم توزيعها عليهم .

ولم تقتصر الإبادة على التصفية الجسدية بل كانت هناك إبادة ثقافية كذلك . فقد قامت قوات الحلفاء بما يسمى بـ " **نزع الصبغة النازية : Denazification** " عن ألمانيا ، للقضاء على النازيين فى الحياة العامة . فأقيمت ٥٤٥ محكمة دائمة على الأقل يتبعها طاقم من الفنيين والسكرتارية عددهم اثنان وعشرون ألفا ، وقام الأمريكيون بتغطية ثلاثة عشر مليون حالة (أى معظم الذكور الألمان البالغين) . وتم توجيه الإتهام إلى ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف ، أجريت لهم محاكمات عاجلة . وأدين تسعمائة وثلاثون ألفا منهم ، وصدرت أحكام بشأنهم من بينها ١٦٩, ٢٨٢ حكما بتهمة إرتكاب جرائم نازية ، وليس مجرد التعاون مع النظام النازى . وأصدر البريطانيون ٢٢, ٢٩٦ حكما ، والفرنسيون ١٧, ٣٥٣ حكما ، والروس ١٨ ألف حكم . وبحلول عام ١٩٤٥ كان قد تم طرد ١٤١ ألف ألمانى من وظائفهم ، من بينهم معظم المدرسين فى منطقة الإحتلال الأمريكى ، كما زج بعدد أكبر من هؤلاء فى السجن .

---

[١٢٩] **محمد على** (١٧٦٩ - ١٨٤٩) ، والى مصر فى الفترة من ١٨٠٥ إلى ١٨٤٩ . وهو مؤسس " **الأسرة العلوية** " التى حكمت مصر منذ توليه الحكم وحتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

والآن قد نجد من يحتج ..!!! ويقول بأن السلوك السابق للحلفاء ما هو إلا رد الفعل الطبيعى الناتج عن تصرف وسلوك النازية ، ولكن الرد هنا هو أن مثل هذه الأمور لا ينبغى أن تترك للأهواء البشرية وانفعالات الإنسان ، **بل لا بد من ردها إلى القضية الأخلاقية المطلقة النابعة من الحق المطلق** . فالإنسان فى هذه الحياة الدنيا يقع فى دائرة الإبتلاء والإختبار ، كما سبق وأن بينا ذلك فى بداية الفقرة السابقة ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ٣٥)

[**ونبلوكم** : نختبركم / **فتنة** : بمعنى أى للنظر فيما تفعلون في هذه الحياة الدنيا]

فالإنسان يجب أن تكون حركته فى هذه الحياة محكومة بهذا المعنى .. بما فى ذلك إنفعالاته ، فهو فى وجود دنيوى قاصر .. محدود بين الميلاد والموت .. والإنسان محاسب أخرويا بما كسبت يديه فى هذه الدنيا . وبشرية الإنسان ورد فعلها ــ **الغير مردود إلى المرجعية الأخلاقية التى يأتى بها الحق المطلق تبارك وتعالى** ــ تميل إلى فعل الشر أكثر منها إلى فعل الخير ، كما سبق وأن بينا أيضا ..!!! فحتى على مستوى قمة قمم الفكر والعطاء الإنسانى والمتمثلة فى فكر وعطاء الرسل والأنبياء .. نجد أن السلوك البشرى ورد الفعل يكاد يكون متساوى تقريبا ، ما لم يحكمه القانون الإلهى الذى يقرر للإنسان ما ينبغى أن يفعله فى مثل هذه المواقف ، ونضرب على ذلك المثال التالى ..

ففى " **موقعة أحد** " (أو غزوة أحد ، كما يقال عادة) بين معسكر الكفر ومعسكر الإسلام ، والتى حدثت فى بداية صدر الإسلام فى السنة الثالثة بعد الهجرة (عام ٦٢٥ م) ، نجد أن معسكر الكفر يأتى بثلاثة الاف مقاتل ، للقاء وإبادة الدعوة الجديدة متمثلة انذاك فى : **محمد (ﷺ) ومعه سبعمائة مسلم** [١٣٠] . وينتصر معسكر الكفر على المسلمين لمخالفة المسلمين

---

[١٣٠] **لما خرجت قريش من مكة للقتال وعلم محمد** (ﷺ) بأمرها وهى على مشارف المدينة ، جمع أهل الرأى من المسلمين ومن المتظاهرين بالإسلام (المنافقين) ليتشاور معهم حول هذا القتال المفروض عليهم . وقد رأى النبى (ﷺ) أن يتحصنوا بالمدينة ويدعوا قريشا خارجها ، على أن يقوموا بالدفاع عنها فى حالة هجوم قريشا عليها . ورأى **عبدالله بن أبىّ بن سلول** (رأس المنافقين فى المدينة) رأى النبى ، كما رأى نفس الرأى أصحاب الرسول من المهاجرين والأنصار . لكن فتيانا ذوى حمية لم يشهدوا بدرا ، ورجالا شهدوها وأمتعهم الله بالنصر

لأوامر ولتعليمات النبى (ﷺ) . ويقتل معسكر الكفر من المسلمين **سبعين شهيدا** ، كان من ضمنهم **عم الرسول حمزة بن عبد المطلب** . وطارت قريش بهذا النصر ــ الغير متوقع ــ فرحا ، وحسبت نفسها قد انتقمت **لبدر** [١٣١] أشد الإنتقام ؛ حتى صاح **أبو سفيان** ، قائد معسكر الكفر قائلا : " **يوم بيوم بدر والموعد العام المقبل** " . أما " **هند** " **بنت عُتبة زوجة أبو سفيان** ، فلم يكفها قتل **حمزة** (عم الرسول) ، بل انطلقت هى والنسوة اللاتى معها **يمثلن بالقتلى من المسلمين يجْدعن** (يبترن ويقطعن) الاذان والأنوف ، وجعلت هند لنفسها منها قلائد وأقراطا ، حتى **إنها بقرت بطن حمزة ــ عم الرسول ــ وجذبت كبده بين يديها تلوكه بأسنانها فلما لم تستطع أن تسيغه .. لفظته ..!!!** وبلغت من شناعة ما فعلت وما فعلت النسوة مما معها ، بل وما فعل الرجال كذلك من فظائع التمثيل بالجثث ، أن تبرأ **أبو سفيان** (قائد معسكر الشرك) من تَبعتها ، وأعلن أنه لم يأمر بهذا ــ وإن كان قد إشترك فيه ــ بل قال يخاطب أحد المسلمين : " **إنه قد كان فى قتلاكم مُثْلٌ ، والله ما رَضِيتُ وما سخِطتُ وما نهيتُ وما أمرتُ** " .

فيها وملأ الإيمان قلوبهم بأن ليس لقوة أن تغالبهم أو تتغلب عليهم .. أحبوا الخروج إلى العدو وملاقاته .. حتى قال **خيثمة أبو سعد بن خيثمة : " عسى الله يظفرنا بهم يا رسول الله أو تكون الأخرى (أى الشهادة) . لقد أخطأتنى وقعة بدر وكنت عليها حريصا ، حتى بلغ من حرصى عليها أن ساهمت ابنى فى الخروج ، فخرج سهمه ورزق الشهادة . وقد رأيت ابنى البارحة فى النوم وهو يقول : إلحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا . وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا لمرافقته فى الجنة ؛ وقد كبرت سنى ورق عظمى وأحببت لقاء ربى** " . فلما ظهرت الكثرة الواضحة فى جانب الذين يقولون بالخروج إلى العدو وملاقاته ... قال **محمد** (ﷺ) : **إنى أخاف عليكم الهزيمة ؛ فأبوا مع ذلك إلا الخروج ...!!!** فلم يكن له إلا أن ينزل على رأيهم ، **فقد كانت الشورى أساس نظامه فى الحياة ، فلم يكن ينفرد بأمر إلا ما أوحى إليه من عند الله .**

وفى أثناء تقدم **محمد** (ﷺ) بالمسلمين متجها إلى **أحُدْ** ، بصر بكتيبة لا يعرف أهلها فسأل عنها فقيل : **هؤلاء حلفاء ابن أبىّ بن سلول من يهود . فقال عليه السلام : لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك مالم يسلموا (لاحظ فى العصر الحديث يتم الإستنصار بأهل الشرك على المسلمين ..!!) .** فانصرف اليهود عائدين إلى المدينة ، فما كان من ابن أبىّ إلا يعتبرها فرصة يقتنصها فى أن يتخاذل هو الاخر مع كتيبة من أصحابه بحجة أن النبى (ﷺ) رفض عون أنصاره ، وعاد **ابن أبىّ** وكتيبته قافلا إلى المدينة . **وبقى النبى ومعه المؤمنون حقا وعدتهم سبعمائة .. ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشى من أهل مكة كلهم موتور من يوم بدر ، وكلهم على ثأره حريص ..!!!**

[١٣١] **موقعة (أو غزوة) بدر** : هى أول قتال للمسلمين مع معسكر الشرك . فقد حدثت هذه الموقعة فى **يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة** (عام ٦٢٤ م) ، **بين المسلمين ومشركى مكة** (قريش) . وكان تعداد المسلمين **خمسة وثلثمائة رجل** (منهم فتية لم يتدربوا على الحرب ومنهم بعض شيوخ المهاجرين والأنصار) ، وكان معهم **فرسين** (فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن الأسود) وسبعون بعيرا (جملا) . أما المشركين فكانو **تسعمائة وخمسين مقاتلا** معهم مائتا فرس وحوالى سبعمائة بعيرا ، يحدوهم الرغبة الجامحة فى إبادة قوة الإسلام النامية والمتزايدة . **ولم يتقدم المسلمون للقتال تبعا لأوامر القرآن التى تنهى بعدم الإعتداء** ، وانتظروا حتى بدأت قريش بالعداة وطلب القتال . وقد انتصر المسلمون فى هذه الغزوة ، وقتلوا سبعين من أئمة الشرك واسروا سبعينا اخرين ، وفر باقى المشركين إلى **مكة** . أما المسلمين فقط قتل منهم **أربعة عشر شهيدا** فقط .

وانصرفت قريش بعد أن دفنت قتلاها ؛ وعاد المسلمون إلى الميدان لدفن قتلاهم . وخرج محمد (ﷺ) يلتمس عمّه **حمزة** فلما راه قد بُقِرَ بطنُه ومُثّل به ... حَزِن من اجله أشد الحزن وقال (بالتلقائية البشرية) : " **لن أصاب بمثلك أبدًا . ما وقفتُ موقفًا قطُّ أغيظ إليَّ من هذا** " ... ثم قال : " **والله لئن أظهرنا الله عليهم يومًا من الدهر لأمثلن بهم مُثْلة لم يمثلها أحد من العرب** " . *وهنا يتنبه الرسول (ﷺ) إلى الوحى الإلهى الخاص بتصحيح الإنفعال البشرى والمسار الإنسانى ... كما جاء فى قوله تعالى :*

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾

(القران المجيد : النحل {١٦} : ١٢٦ - ١٢٨)

ويتوافق النص والسلوك ... ويفضل الرسول (ﷺ) أن يكون فى جانب ... **﴿ ... ولَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ... وَاصْبِرْ وما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ... ﴾** فيعفو رسول الله ويصبر ويقلع عن عزمه ، **وينهى المؤمنين عن المُثلة بالأعداء ، *وبهذا يصبح العفو والتجاوز عن العقاب سمة من سمات الفرد المسلم*** . وسجّى الرسول **حمزة** ببرده (برداءه) وصلى عليه ودفنه ، وأمر بالقتلى فدفنوا حيث لقوا مصارعهم . وهكذا الإنسان ...

﴿ ... وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ٢٨)

وهكذا الإنسان عند إنفصاله عن **المردود أو المرجع الأخلاقى المطلق** .. تصبح إنفعالاته وردود أفعاله بدائية إلى حد بعيد ، طالما لم تسيطر عليها وتهذبها العقيدة فى هذه المحن ..

وبديهى ؛ إن هذا المثال يقودنا مباشرة إلى ضرورة الكلام عن : " القتال فى الإسلام " . فالواقع الذى لم يفهم حتى الآن ؛ أن القتال فى العقيدة الإسلامية لم يشرع إلا للدفاع عن النفس ، والدفاع عن حرية العقيدة ، وتأمين حرية الدعوة وحرية الكلمة . فلم يشرع القتال للاعتداء أو نشر العقيدة بالسيف كما يدعى المغرب ، أو يريد أن يعتقد فى هذا الدين . بل لقد

ذهب الإسلام إلى معنى الدفاع عن حرية الكلمة إلى أبسط معانيها ... حتى قال للكفار على لسان الأنبياء ..!!!

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) ﴾
(القران المجيد : الدخان {٤٤} : ٢١)

بساطة .. ما بعدها بساطة ..!!! هكذا بساطة الإسلام الشديدة ، لم يشترط إيمان الكفار بالرسول ، ولكن طلب منهم فقط إن لم يؤمنوا به .. مجرد إعتزاله .. أى يتركوه فى حاله فحسب .. سبحان الله ..!!! أى تركه لشئون دعوته هو ومن معه .. مبتعدين فى ذلك عن أذاه وأذى من اتبعه من المؤمنين [١٣٢] ..!!! ومع هذا لم يعتزل المشركين الرسول ومن معه .. بل ذهبوا فى ايذائه وايذاء أتباعه إلى أقصى خد ومدى ممكن ..!!!

فالتاريخ يقرر أن المسلمين قبل هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة قد اضطهدوا إضطهادا شديدا ومع ذلك لم يؤذن لهم بالقتال . فقد عذب عمار وبلال .. ومات ياسر (أول شهداء المسلمين) تحت وطأة العذاب ، ولم يرفع المسلمين أيديهم لرد الإعتداء الذى وقع عليهم . وقد أسرف مشركى مكة فى عدوانهم على المسلمين ، حتى وصلوا إلى اتخاذ قرار بقتل محمد (ﷺ) نفسه . ووضعوا خطتهم على ينفذوا قرارهم قبل أن يهاجر إلى المدينة حتى تتخلص الجزيرة العربية منه ومن الإسلام والمسلمين معا . ولهذا كان من الضرورى أن يدافع المسلمون عن أنفسهم . ويأذن لهم المولى (ﷻ) بالدفاع عن أنفسهم ..!!! وتجيء أول ايات القتال فى القران المجيد على النحو التالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾

---

[١٣٢] وتدور دائرة الحياة للتكرار ، فإذا أراد المسلمون ــ الآن ــ أن يتركوا وشأنهم ، فعليهم أن يجاهدوا جهادا واضحا لكى يحموا حقهم فى الإختلاف الثقافى فى عالم يسعى **لفرض النموذج الغربى الحالى على العالم قسرا ، وهو ما يعرف باسم " العولمة : Globalism "** . وهو النموذج الذى يتلخص فى الإنحطاط المأساوى فى الأخلاق والذى يشمل : الجريمة ، ادمان الكحوليات والمخدرات ، الشذوذ المعلن ، الإساءة للأطفال ، إرتفاع معدلات الطلاق (هذا إن كان هناك زواج فى الأصل) ، الإباحية الشديدة ، إتجاه الشباب ليعيشوا فرادى رجالا ونساءا (وكما يقول علماء النفس : لا أحد يستطيع أن يقدر حجم الخسارة ــ حتى الآن ــ لجيل نشأ بدون أحد والديه) .

(القران المجيد : الحج {٢٢} : ٣٩ ٤٠)

[**صوامع** : معابد رهبان النصارى / **بيع** : كنائس النصارى / **صلوات** : معابد اليهود / **مساجد** : مساجد المسلمين]

وتبدأ الايتين الكريمتين السابقتين بقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ .. ﴾ وهى جملة مبنية للمجهول ، ولو بنيت للمعلوم لكانت : " **أَذَنَ الله للمسلمين بالقتال ، لقتال المشركين لهم** " . ولكن لم يشأ الله (ﷻ) أن يذكر إسمه مقرونا بالقتال ، كما لم يرد أن يأتى بلفظ " **القتال** " صراحة ، إنما شاء المولى (ﷻ) بدلا من هذا ، أن يذكر سبب الإذن للمسلمين بالقتال وهو : لأنهم ﴿ .. يُقَاتَلُونَ .. ﴾ ، أى أن مشركى مكة يقاتلوهم ، وليس هذا فحسب ، بل ولأنهم ﴿ .. ظُلِمُوا .. ﴾ أيضا ، ولهذا كان لابد لهم من القتال للدفاع عن النفس ، ولرد العدوان عليهم . وعلى الرغم من هذا ؛ قال بعض المسلمين عندما نزلت هذه الآية : " **إنها لا تكفى لنقاتل المشركين** " ، **لأن** روحها تميل للسلم ولو أن ألفاظها تأذن بالقتال . ولهذا لم يبدأ القتال الحقيقى إلا بعد أن نزل قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٩٠)

ومع الإذن الصريح بالقتال فى هذه الاية الكريمة ، إلا أننا نجد أن القتال قد جاء مشروطا بشرطين أساسين .. **الشرط الأول** منهما هو :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ .. ﴾

وهنا نرى أن القتال لم يشرع إلا للرد على الذين يقاتلون المسلمين . وبهذا المفهوم يكون القتال قد شرع فى الديانة الإسلامية لرد العدوان فحسب ، وهو ما يعنى حالة الدفاع الشرعى عن النفس . وليس هذا فحسب ، بل يجب أن يكون الله (ﷻ) نصب الأعين حتى فى القتال ، أى ان المسلم لا يبغى من القتال الا وجه الله (ﷻ) لدفع ظلم أو اعلاء كلمة حق .. وليس من اجل دنيا يصيبها ، و امرأة ينكحها أو مغنم يحصل عليه . اما **الشرط الثانى** فيأتى فى الشطر الثانى من الاية الكريمة . فى قوله تعالى :

﴿ .. وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّــهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

أى لا عدوان ولا إعتداء ، فالإعتداء يسبب سخط الله وغضبه على القائم بالعدوان . ولكن ما هو الحال إذا ما جنح المعتدى أو مال إلى السلم .. فيأتى الحكم الإلهى القاطع فى قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّــهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (٦١) ﴾

(القرآن المجيد : الأنفال {٨} : ٦١)

[جنحوا للسلم : مالوا للمسالمة والمصالحة]

وهو ما يحتم على المسلم أن يجنح أو يميل إلى السلم هو الآخر ، أى يجب عليه أن يكف ويتوقف عن القتال . وفى قوله تعالى :

﴿ .. فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّــهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ٩٠)

أى إن لم يقاتلوكم ومالوا إلى السلم ﴿ .. فَمَا جَعَلَ اللَّــهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ أى ليس هناك مبررا لقتالهم تحت أى إسم أو دعوى . وقد سار الرسول (ﷺ) على هَدْى هذه الآيات الكريمة ، فنراه يخرج لملاقاة الروم عندما بلغه أن جموعهم قد تجمعت على أطراف الجزيرة العربية وأنها تريد الهجوم عليهم ، فلما وصل إلى " تبوك " ووجد أن جيوش الروم قد تراجعت لم يفكر فى مهاجمة الروم ، وإنما عاد أدراجه إلى المدينة .

أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يبادروهم بالعدوان ، فيقول عنهم المولى ، عز وجل :

﴿ عَسَى اللَّــهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّــهُ قَدِيرٌ وَاللَّــهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٧)

بل وأكثر من هذا :

﴿ لا يَنْهاكُمُ اللّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـارِكُمْ أن تَـبَرُّوهُمْ وَتُـقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) ﴾

(القران المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٨)

[تبروهم : تصلوهم بالمودة / تقسطوا إليهم : تعدلوا معهم / المقسطين : العادلين]

فالنهى (أى القطيعة) لا يحق للمسلمين فقط إلا فى حالة قتالهم ، أو إخراجهم من ديارهم ، وهنا لا يقصر النهى على الذين أخرجوهم من ديارهم فقط ، بل يشمل أيضا الذين عاونوا فى إخراج المسلمين من ديارهم ، كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّـهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـارِكُمْ وَظَـاهَرُوا عَلَـى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴾ [١٣٣]

(القران المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٩)

[وظاهروا على إخراجكم : عاونوا على إخراجكم]

فهذا هو القتال وأحكامه فى الديانة الإسلامية .. فالإسلام لا يقاتل إلا مكرها ..!!! وللدفاع عن النفس فحسب .. وللدفاع عن حرية الكلمة .. أأدرك الإنسان هذا ، أم لم يدرك ..؟!!!

٦ . ٢ وانتشار الإسلام ...

وهكذا لم يشرع القتال فى الإسلام للإعتداء أو لنشر العقيدة ..!!! بل شرع للدفاع عن النفس ، والدفاع عن الضعفاء ، والدفاع عن حرية العقيدة ، والدفاع عن حرية الكلمة ..!!! ***أما قول الغرب بأن إنتشار الإسلام قد تم بالسيف ، فهو ليس فرية ظالمة فحسب ، بل هو ــ فى الواقع ــ مبرر فاشل .. لعقيدة فاشلة .. ووثنية يصر عليها الإنسان .. كما يصر على الإحتفاظ بها باسباغ شرعية كاذبة عليها ..!!!*** ونرد على هذه الفرية ــ الان ــ ببعض

---

[١٣٣] تنطبق هذه الآية الكريمة ، وبلا تأويلات ، وبلا فلسفات ، وبشكل مباشر ، على موقف اليهود الآن من الشعب الفلسطينى المسلم . فالشعب اليهودى يعلن بمنتهى السفور أهدافه المنقوشة على واجهة الكنيست الإسرائيلى وهى : غزو الدول العربية والإستيلاء على أراضيهم من النيل إلى الفرات لإقامة دولة إسرائيل الكبرى ، كما يدعون بهذا عقائديا .. ولهذا تجب المقاطعة . ويمكن الرجوع الى الفصل الخامس لرؤية طبيعة وماهية الديانة اليهودية ، ورؤية نصوص الكتاب المقدس حول القتال ومفهومه ، والإبادة البشرية التى يأمر بها ..!!! ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع ايضا الى مرجع المؤلف السابق .

مقتطفات من كتاب **سير توماس أرنولد** [١٣٤] ــ **وهو بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ــ حيث يقول فيه المؤلف :**

" لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من خطوب وويلات خطبا أعنف قسوة من **غــزوات المغول** . فلقد إنسابت جيوش **جنكيزخان** ، واكتسحت فى طريقها العواصم الإســلامية وقضــت على ما كان بها من مدنية وحضارة ... وأزالوا الخلافة العباسية ســنة ٦٥٦ هـــ . علــى أن الإسلام لم يلبث أن نهض من رقدته وظهر من بين الأطلال ، واســتطاع بواســطة دعاتــه أن يجذب أولئك الفاتحين البرابرة ويحملهم على إعتناقه " ...!!!

فأين السيف فيما سبق ..؟! لست أدرى ..!!!

ويروى **سير توماس أرنولد** ــ أيضا ــ عن **مؤرخى النصارى** (فى فترة الحروب الصليبيــة) قولهم ...

" ستة من أمراء مملكة القدس استولى عليهم الشيطان ليلة " **معركة حطين** [١٣٥] " وانضمــوا إلى صفوف الأعداء دون أن يقهروا من أحد على ذلك . ويعلل **توماس أرنولد** إنتشار الإســلام بين الصليبيين بقوله : ويظهر أن أخلاق **صلاح الدين** وحياته التى إنطوت على البطولــة ، قــد أحدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيرا سحريا خاصا ، حتــى أن نفــرا مــن الفرســان المسيحيين قد بلغ من إنجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم وهجروا قومهم وانضموا إلى المســلمين . وكذلك الحال عندما طرح النصرانية **أحد فرسان المعبد روبرت أوف سانت ألياس** ســنة ١١٨٥ ، واعتنق الإسلام ثم تزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين ...!!!

فأين السيف هنا ... لست أدرى ...!!!

---

[١٣٤] " **الدعوة إلى الإسلام : بحث فى تاريخ نشر العقيدة** " ســير تومــاس و. أرنولــد : Sir Thomas W Arnold ؛ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ، إســماعيل النحــراوى . مكتبــة النهضــة المصرية . **ص : ٨٨ وما بعدها .**

[١٣٥] **معركة : " حطين " وقعت فى عام ١١٨٧م** ، وفيها هزم القائد **صلاح الدين** (١١٣٧ - ١١٩٣) جيــوش الصليبيين واسترد منهم **بيت المقدس** . ثم قامت الدول النصرانية فى نفس عام المعركة بالتجهيز **لحملتها الصليبية الثالثة** (١١٨٩ ١١٩٢) ، فتصدى لهم **صلاح الدين** .. للمرة الثانية ببسالة نادرة . وكان مــن ضمــن هــذه الحملة ملك إنجلترا **ريتشارد** قلب الأسد (**Richard I**) (١١٥٧ - ١١٩٩) والذى حكم إنجلترا فى الفترة من ١١٨٩ ١١٩٩ ، وقد اضطر **ريتشارد** إلى عقد الصلح مع الناصر **صلاح الدين** فى عام ١١٩٢ ، والعودة إلــى بلاده . **وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثالثة على المسلمين .**

ويعجب سير توماس أرنولد عن أسباب تحول المسيحيين إلى الإسلام فيقول : فإذا نظرنا إلى التسامح الذى إمتد إلى المسحيين فى صدر الحكم الإسلامى ، فإننا نجد أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق . ومن ثم لم يكن بد من أن نتلمس بواعث أخرى غير الباعث الذى أوحى بالإضطهاد .

ويضيف **سير توماس أرنولد** قائلا ــ ولكن مما يؤسف له ــ إننا لا نملك إلا أخبار قليلة فى هذا الشأن ، ومن ثم نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نلجأ إلى الحدس والتخمين . لهذا نراه يقول على لسان " **كيتانى** : Caetani " من أن إنتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة الشعور بالإستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها روح الثقافة الهلينية إلى اللاهوت المسيحى . فقد أحالت هذه الثقافة العقيدة المسيحية إلى عقيدة محفوفة بمداهب عويصة مليئة بالشكوك والشبهات . أما الشرق فعرف بحبه للأفكار الواضحة ، لذلك عندما أهلت أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الإنقسامات الداخلية وتزعزعت قواعدها الأساسية ، **لم تعد المسيحية بعد قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة ، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل . وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب .**

ويضيف سير **توماس و. أرنولد** بأن المسيحيين فى بداية إحتلال العرب لبلادهم قد انتقلوا إلى الديانة الإسلامية فى جموع هائلة [١٣٦] ، كما يقف على ذلك من رسالة (وهى أحدى الوثائق المسيحية الهامة التى ترجع إلى القرن الأول الهجرى) لأحد رجال الكنيسة المعاصرين **وهو البطريق النسطورى " يشوع ياف الثالث : Isho Yaph " ، وكان قد بعث بهذه الرسالة إلى " سمعان : Simeon " مطران " ريفارد شير : Revardashir " ورئيس أساقفة فارس . وتحمل هذه الرسالة (أو الوثيقة) الدليل الساطع على طابع الهدوء والمسالمة فى نشر هذا الدين الجديد** . وفى هذه الرسالة يتحسر البطريق على التحول الذى حدث بين صفوف المسيحيين فى مقابل دين لا يرغمهم على ذلك فحسب ، بل يعطف على معتقداتهم أيضا . ولهذا لا نرى بأسا من أن نذكر هذه الرسالة هنا كاملة ، حيث يقول **البطريق يشوع ياف** فى الرسالة إلى **المطران سمعان** :

---

[١٣٦] المرجع السابق ؛ ص : ١٠١ ١٠٢

" اين أبناؤك ؛ أيها الأب الذى ثكل أبناءه ؟ أين أهل **مرو** العظماء ، الذين على الرغم من أنهم لم **يشهدوا سيفا ولا نارا ولا تعذيبا** ، ولم يسيطر على نفوسهم إلا حب التجارة والأخذ منها بنصيب . بعدوا عن الطريق المستقيم وسقطوا فى هوة الضلال .. سقطوا فى الهلاك المقيم .. وسيقوا إلى الفناء ولم ينج إلا **قسيسان** (بالإسم) من نار الكفر المحرقة (يقصد بهذا كفر الديانة الإسلامية) ..!!!

واحسرتاه ! واحسرتاه ! على الالاف المؤلفة التى تحمل اسم المسيحية ، والتى لم يتقدم حتى واحد منها ليهب نفسه ضحية للرب ويريق دماءه فى سبيل الدين الحق (يقصد المسيحية) . أين معابد كرمان وبلاد فارس جمعاء ..؟ **إن الذى أنزل بهم الخسران والدمار لم يكن وساوس إبليس ولا إرادة ملوك الأرض ولا أوامر حكام البلاد ــ لكن نفثة ضعيفة من نفثات شيطان حقير تافه (يقصد بذلك تعاليم الديانة الإسلامية) لم تعده الشياطين التى بعثته فى مهمة جديرا بشرف الشياطين ، ولم يمنحه إبليس قدرة على الخداع حتى يستطيع أن يبثه فى بلادكم ، ولكنه بإشارة من أمره هدم جميع الكنائس فى بلادكم فارس .. وإن العرب ، الذين منحهم الله سلطان الدنيا ، يشاهدون ما أنتم عليه ، وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم : ومع ذلك لا يحاربون العقيدة المسيحية ، بل على العكس ، يعطفون على ديننا ويكرمون قسسنا وقديسى الرب ، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار .**

فلماذا إذا هجر شعبك من أهل **مرو** عقيدتهم من أجل هؤلاء العرب ؟ **ولماذا حدث ذلك أيضا فى وقت لم يرغمهم فيه العرب .. كما يصرح بذلك أهل مرو أنفسهم ، على ترك دينهم** ، بل تعهدوا لهم أن يبقوا عليه امنا مصونا إذا هم اقتصروا على أداء جزء من تجارتهم إليهم . ولكنهم هجروا العقيدة التى تجلب الخلاص الأبدى إبقاء على نصيب من عرض هذه الدنيا الزائلة : تلك العقيدة (أى المسيحية) التى اشترتها وتشتريها حتى هذا اليوم شعوب بأسرها بإراقة دمائها حتى ترث بذلك حياة أبدية ، إن شعبك من أهل **مرو** قد قبلوا عن رغبة أن يغيروا دينهم من أجل جزء من تجارتهم .. بل من أجل ما هو أقل من ذلك ..!!! "

(إنتهت الرسالة)

وهكذا يسعى الغرب المسيحى دائما للترويج للكذبة التى تقول : بأن الدين الإسلامى قد إنتشر بحد السيف .. ويصدق الغرب كذبته .. ويروج لها .. لتعميه كذبته .. عن رؤيته للحقيقة المطلقة .. وعن فهمه الحقيقى للديانة الإسلامية .. ولم يدرك ــ فيما يدرك ــ أنه الخاسر الوحيد لنفسه .. إذا لم يتنبه لهذا الدين .. لأنها غايات من خلقه ..!!!

ويمكن أن نفهم ــ كذلك ــ من الرسالة السابقة ؛ أن " **الجزية** " ربما تكون نوع اخر من أنواع التأثير على نشر الإسلام بين المسيحية فى عهوده الأولى ، كما يقول بهذا ــ أيضا ــ الغرب . لذا لزم **قبل أن أغادر هذه الفقرة (انتشار الإسلام)** أن أشير هنا إلى مفهوم " **الجزية** " ، وهى المفهوم الذى يدعى الغرب كثيرا بأنه أحد العوامل الأساسية ــ بعد السيف ــ التى أدت إلى نشر الإسلام بين النصارى فى بداية عهده . وأستشهد هنا بما كتبه ــ أيضا ــ **سير توماس أرنولد** حول هذا الموضوع فى كتابه السابق [١٣٧] ؛ **فنجده يقول :**

" **لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة (أى الجزية) على المسيحيين** ــ كما يريدنا بعض الباحثين أن نظن ــ لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، إنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من **رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة فى الجيش** ، فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم سيوف المسلمين . وعندما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه ، ذكروا صراحة أنهم إنما دفعوا هذه الجزية على شريطة " أن يمنعونا (يحمونا) وأميرهم البغى من المسلمين وغيرهم " . وكذلك حدث أن سجل **خالد بن الوليد** فى المعاهدة التى أبرمها مع بعض أهالى المدن المجاورة للحيرة قوله : " **فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا** " [١٣٨] .

ويمكن الحكم على مدى إعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط من تلك الحادثة التى وقعت إبان **حكم الخليفة عمر بن الخطاب** . لما حشد **الإمبراطور هرقل** جيشا ضخما لملاقاة المسلمين ، كان لزاما على المسلمين نتيجة لما حدث ، أن يركزوا كل نشاطهم فى المعركة التى أحدقت بهم . **فلما علم بذلك أبوعبيدة الجراح قائد العرب** ، كتب إلى عمال (حكام المسلمين) **المدن المفتوحة فى الشام يأمرهم بأن يردوا عليهم ما جبى من الجزية من هذه المدن ، وكتب يقول للناس : " إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع . وإنكم قد إشترطتم علينا أن نمنعكم (نحميكم) وإنا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم**

---

[١٣٧] المرجع السابق ؛ ص : ٧٩ - ٨٠ .

[١٣٨] **أصح تعليلات الفقهاء للجزية هى :** " **أنها بدل عن مشاركة غير المسلمين فى أداء واجب الجندية** " وقد أشار الى ذلك كثير من الفقهاء ، بل وصرح به **الإمام ابن حجر العسقلانى** فى شرحه لصحيح البخارى (ج ٦ ، ص : ٣٨) ، فقال : **إن الجزية عند الجمهور (أكثرية الفقهاء) هى بدل الجهاد** . ومن هنا نقول : ان غير المسلمين فى الدول الإسلامية الحديثة هم مواطنون لهم كل ما للمواطنين المسلمين من حقوق وعليهم كل ما على المسلمين من واجبات . **ومن بينها الجندية** . لهذا لا يجوز القول بوجوب الجزية عليهم ، لأن الجزية من الاحكام المعروفة العلة ، وعلتها عدم المشاركة فى الجيش الاسلامى وقد انتهى هذا الوضع الان ، لذا فلا مكان للقول بوجوب الجزية بأى شكل من الأشكال .

على الشرط . وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم " . وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة ، فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين ، وقالوا : ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أى على الروم) ، فلو كانو هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقى لنا " .

ثم يتساءل سير توماس أرنولد على من فرضت الجزية ؟ .. ويجيب : فرضت الجزية على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التى كانوا يطالبون بأدائها لو كانوا مسلمين . ومن الواضح أن أى جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت فى خدمة الجيش الإسلامى . ويسوق **سير توماس أرنولد** الأمثلة الكثيرة الدالة على هذا فيقول : " وكان الحال مع **قبيلة الجراجمة** ، وهى **قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية** ، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عونا لهم وأن تقاتل معهم فى مغازيهم ، على شريطة ألا تؤخذ بالجزية . وقد أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التى تقيم على حدود هذه البلاد ، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية " .

وهكذا نجد أن الجزية قد أسقطت منذ زمن الصحابة والتابعين عمن قبل الإشتراك من غير المسلمين فى الدفاع عن الدولة الإسلامية ، فقد أسقطها **سراقة بن عمرو** عن أهل أرمينية سنة ٢٢ هجرية ، واسقطها **حبيب بن مسلمة الفهرى** عن أهل أنطاكية ، كما اسقطها بعض قواد جيش أبى عبيدة بن الجراح ــ وأقره أبو عبيده ومن معه من الصحابة ــ عن **الجراجمة** ... على النحو الذى ذكره سير توماس أرنولد .

ونجد أمثلة أخرى شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية فى حالة المسيحيين الذين عملوا فى الجيش أو الأسطول فى ظل الحكم التركى . مثال ذلك ما عومل به أهل " **ميغاريا** : **Migaris** " وهم جماعة من **مسيحى ألبانيا** الذين أعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على جبال : " Cithaeron " و " Geranes " التى كانت تؤدى إلى **خليج كورنثة** . وكان المسيحيون الذين أستخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركى ، لإصلاح الطرق وإقامة الجسور قد أعفوا من أداء الخراج ومنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب ..

فهذه هى الجزية ــ بإختصار شديد ــ ومفهومها فى الديانة الإسلامية ..!!! **حتى وإن كان الغرب لم يفهم معناها حتى الآن ..!!!**

ولـــم يدرك الغرب ــ فيما يدرك ــ قول رسول الله (ﷺ) عن بعثته :

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

ولم يدرك الغرب ــ فيما يدرك ــ قوله تعالى .. عن محمد نبى الرحمة ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

ولم يدرك الغرب ــ فيما يدرك ــ أنه الخاسر الوحيد لوجوده ومصيره .. إذا لـــم يـــدرك أنـــها غايات من خلقه ..!!!

٣ . ٦ وعودة إلى الإبادة الحضارية ...

ثم نتابع العرض التاريخى للإبادة البشرية ــ كنـــاتج حتمـــى مـــن تطبيـــق الفلســـفات المعاصرة [١٣٩] ، والنصوص الدينية الوثنية ..

وتظهر نفس النزعة الإبادية فى استجابة الحلفاء لليابان . فقبل إكتشاف القنبلة الذرية كـــان الجنرال الأمريكى " **كورتيس لى ماى** " يقوم بتحطيم **مدن اليابان** الواحدة تلو الأخـــرى بشـــكل منهجى لم يسبق له مثيل فى التاريخ . فخلال عشرة أيام فى مـــارس ١٩٤٥ قـــامت الطـــائرات الأمريكية بطلعات جوية بلغ عددها (١١ ,٦٠٠) طلعة ، تم خلالها إغراق ٣٢ ميلا مربعا مـــن أكبر أربع مدن يابانية بالقنابل ، وهو ما أدى إلى محو هذه المساحات وكل ما عليها من الوجـــود وتسببت فى مقتل ١٥٠ ألفا من اليابانيين . أما الغارات الجوية على طوكيو يوم ٢٥ مـــن مـــايو ١٩٤٥ ، تسببت فى إندلاع عاصفة نارية ضخمة حتى أن قائدى الطائرات المقاتلة كانوا يشـــمون رائحة لحم البشر المحترق وهم على إرتفاع الاف الأقدام ، وأدت هذه لغارات إلى مقتل وتشريد مليون شخص على الأقل .

---

[١٣٩] - **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ؛ د. عبد الوهاب المسيرى ، دار الشروق ، ص : ٢٤/٢٥ .

obeikandl.com

وكانت عملية الإبادة من الشمول بدرجة أن **الجنرال جروفز** المسئول عن " **مشروع مانهاتن لإنتاج القنبلة الذرية** [١٤٠] " كان يخشى ألا يجد أى هدف سليم فى اليابان يمكن أن يلقى عليه بقنابله ويدمره . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعرف أن اليابانيين كانو قد بدأو يفكرون بشكل جاد فى التسليم وإنهاء الحرب ، إلا أن **الجنرال جروفز** رأى ضرورة إستخدام القنبلة الذرية مهما كان الأمر (بعد أن تم إنفاق ٢ بليون دولار فى تطويرها ، وهو ما يعادل ٢٦ بليون دولار ــ على الأقل ــ بحسابات عام ١٩٩٥) . كما كان **الرئيس ترومان** يشعر بعدم الثقة فى نفسه أمام **تشرشل** (رئيس وزراء بريطانيا) **وستالين** (رئيس الإتحاد السوفيتى آنذاك) . ولذا كان يود أن يذهب للإجتماع بهم وهو فى موقع قوة ، خصوصا وأن الدب الروسى كان قد بدأ فى التضخم ، ومن ثم كان لابد من إلقاء القنبلة الذرية بغض النظر عن عدد الضحايا أو حجم التدمير الناتج عنها .

وكان **الجنرال جروفز** محظوظا (كما تقول بعض الدراسات) إذ وجد ضالته المنشودة فى **هيروشيما** التى كان يقطنها ٢٨٠ ألف نسمة **ووجد أنها محاطة بتلال يمكن أن تحول المدينة إلى جهنم حقيقية بعد الإنفجار إذ انها سوف تركز الحرارة الناتجة عن الإنفجار** ، وبالفعل قتل فور وقوع الإنفجار ٧٠ ألف مدنى ومات ١٣٠ ألف آخرون بعد عدة أشهر متأثرين بحروقهم من الإشعاع . وكأن هيروشيما لم تكن كافية ، فألقيت قنبلة أخرى على ناجازاكى أدت هى الأخرى إلى مقتل ٧٠ ألفا آخرين ، غير مئات الألوف الآخرين الذين لقوا مصرعهم فيما بعد من ناتج الإشعاع الذرى .

كما يجب أن نتذكر عمليات الإبادة التى قام بها **النظام الستالينى** ضد أعدائه الطبقيين ، مثل الجولاج (أو الكولاك) الذين قاوموا تحويل مزارعهم إلى مزارع جماعية ، وبعض الشعوب الإسلامية ، وبعض أعضاء الحزب الشيوعى الذين قاوموا الديكتاتور . فكانت الإبادة تأخذ أشكالا مختلفة مثل الإعدام والعمل فى معسكرات السخرة . وقد بلغ **عدد ضحايا ستالين** ٢٠

---

١٤٠ " **مشروع مانهاتن : Manhattan Project** " ؛ هو المشروع الذى قامت به الولايات الأمريكية عام ١٩٤٢ **لإنتاج أول قنبلة ذرية فى العالم** . وكان المسئول عن المشروع من الناحية العسكرية الجنرال " **ليزلى ر. جروفز : Leslie R. Groves** " ، والمسئول عن المشروع من الناحية العلمية الدكتور : " **ج . روبرت أوبنهايمر : J. Robert Oppenhheimer** " ، الذى كان يقود فريق العلماء الخاص بتصميم وبناء القنبلة الذرية . وقد بدأت فكرة المشروع فى عام ١٩٣٩ قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل ، حينما خشى العلماء الأمريكيون أن يتوصل العلماء الألمان إلى صناعة أول قنبلة ذرية قبلهم ، فأقنعوا الرئيس الأمريكى " **فرانكلين روزفلت : Franklin D. Roosevelt** " ، بتبنى المشروع حيث بدأ العمل فيه عام ١٩٤٢. وقد نجح فريق العلماء الأمريكيين فى القيام بتجربة تفجير أول قنبلة ذرية فى العالم فى يوم ١٦ يوليو عام ١٩٤٥ ؛ بالقرب من ألاموجوردو بولاية نيوميكسيكو الأمريكية .

مليونا حسب التقديرات المحافظة (مات منهم ١٢ مليونا فى معسكرات فى الجولاج وحدها) . أما أعداء النظام الستالينى فيقولون أن عدد الضحايا بلغ ٥٠ مليونا . "

وتنتهى الحرب العالمية الثانية ، وتخرج الولايات المتحدة الأمريكية من الغبار الذرى لهيروشيما ونجازاكى كقوة عظمى ، فتقوم ــ فى غضون خمسين عاما ــ بإنفاق (٩٥٠) مليار دولار على عمليلتها السرية ــ الخاصة بالإبادة البشرية ــ لقلب نظام الحكم فى (١٢٧) دولة ، واغتيال أو محاولة إغتيال (٥٤) زعيما وطنيا ، وفرض الحصار على (٧٠) دولة أو عقابها بصورة أو بأخرى ، وإشعال (٨٥) حربا أهلية (الكثير منها فى أفريقيا) . وقد كشف مانديلا للجموع المحتشدة من شعب جنوب أفريقيا عن المخازى التى كان يرتكبها حكومة الأقلية البيضاء لإبادة السود عن طريق عقاقير منع الحمل والقتل الجماعى بالأسلحة الميكروبية والبيولوجية والكيميائية التى اشترك فى صنعها علماء متخصصون من ألمانيا وأمريكا وبريطانيا وكندا ، والتى أباحت حكومات أوربا وأمريكا تسليمها للحكام البيض وافتضح أمرها أخيرا .

ولا تزال عمليات الإبادة والتطهير العرقى تجرى على قدم وساق فى البوسنة والهرسك والشيشان . فكما رأينا ؛ أن الأوربيون يفضلون التصفية الجسدية (أى الإبادة) للشعب المسلم فى البوسنة عن أن يتسامحوا بوجود دولة مسلمة على الارض الأوربية . وعند دخول اليهود دولة فلسطين قاموا بإبادة (٨١٣, ١٤) فلسطينيا (ثمة قائمة كاملة بأسمائهم) [١٤١] ، كما تم تشريد ٨٠٠ ألفا وفقدوا ممتلكاتهم بالكامل فى ٤٢٠ قرية و ١٥ مدينة ، فضلا عن أن هناك ٣٨٥ قرية (أو ٣٨٨ فى إحصائيات أخرى) قد تم تدميرها ومحيت تماما من على الخريطة .

وفى عام ١٩٨٢ أغتيل **دبلوماسى إسرائيلى فى لندن** ، وعلى الفور حمّل القادة الإسرائيليين منظمة التحرير الفلسطينية مسئولية هذا العمل ، وقاموا بغزو لبنان لتدمير قواعد المنظمة ، مما أسفر عنه إبادة حوالى عشرين ألف شخص ، وذلك على الرغم من أن " **مارجريت تاتشر** " (رئيسة وزراء إنجلترا فى ذلك الوقت) قد برهنت فى كلمة لها أمام مجلس العموم البريطانى ، على أن مرتكب جريمة الإغتيال هو أحد المعادين صراحة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، إذ

---

[١٤١] نذكر على سبيل المثال **مذبحة دير ياسين** ؛ ففى ليلة ٩ أبريل عام ١٩٤٨ ، قام اليهود ــ ***بقيادة مناحم بيجن*** رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ــ بإبادة **قرية دير ياسين** بكل سكانها . ومن تبقى منهم ــ وكان عددهم لا يزيد عن الخمسين فردا ــ تم شحنهم فى حافلة مكشوفة طافت **بمنطقة القدس** لكى تروج لأخبار المذبحة ، وترهب السكان العرب وتهدد من لا يزال باقيا فى قريته بالمصير نفسه . ثم جاءت الجرافات لتزيل ما تبقى من بيوت ويختفى إسم **قرية دير ياسين** من على خريطة الوجود ، ويقام عليها مستوطنة سكانية باسم **جفعات شاؤول** ...!!!

أعلنت فور اعتقال الجناة وبدء تحقيقات الشرطة معهم أنه : " عثر مع المتهمين على قائمة بأسماء الأشخاص المزمع اغتيالهم ، ومن بينهم رئيس مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن .. مما يدل على أن الجناة لم يحصلوا على دعم من منظمة التحرير الفلسطينية مثلما إدعت إسرائيل .. بل كل ما فى الأمر أن الإسرائيليين رأوا فى هذا الحادث ذريعة لشن عملياتهم العسكرية [١٤٢] " .

وقد تجرأ عدة متحدثين غربيين (من بينهم يهود) على تشبيه ما يحدث للفلسطينيين على يد الإسرائيليين بما حدث لليهود فى أوربا على يد النازيين [١٤٣] . وفى هذا الصدد يصرح الكاتب الإسرائيلى يهوشاوا بأنه يفهم الآن سبب جهل الألمان بما حدث لليهود بعد أن رأى الإسرائيليين يرفضون معرفة ما يحدث للفلسطنيين ..!!

ولايزال الغرب يراقب المذابح التى تجرى للإبادة بحياد غير عادى ، بل ويؤكد على جميع الأساليب التى تدعم هذه الإبادة بصورة أو بأخرى .

إن إبادة الإنسان لأخيه الإنسان أصبحت الية أساسية فى تشكيل الفكر الحضارى الإمبريالى الغربى ، وهو فكر له جذوره المتأصلة فى نصوص الكتاب المقدس (أى الديانتين اليهودية والمسيحية) وكما تؤسس له الدارونية الإجتماعية ومثاليتاها . كما أصبحت الإستراتيجية المبنية على الردع المتبادل مع التهديد بالإبادة النووية جزء أصيل من الفكر الإنسانى بصفة عامة .

ولابد لى وأن أؤكد مرة أخرى ؛ على **أن الإبادة البشرية فى الحضارة الحديثة تمتد جذورها إلى نصوص الكتاب المقدس وبشكل مباشر** (أنظر الديانتين اليهودية والمسيحية فى الفصل الخامس ، من هذا الكتاب) . حيث يتأكد هذا المعنى ــ أيضا ــ من قصة الكاتب والعالم اللغوى اليهودى " **جورج ستاينر** " فى روايته : " **نقل أدولف هتلر إلى سان كريستوبال** " ، والتى تدور أحداثها فى البحث عن **هتلر** [١٤٤] والقبض عليه ثم محاكمته ، فيأتى دفاعه عن

---

[١٤٢] عن المصدر : **صحيفة هيرالد تريبون الدولية ، ٨ يونيو ١٩٨٢ .**

[١٤٣] على الرغم من سقوط حوالى ٥٠ (خمسين) مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية ، إلا أن اليهود ــ عادة ــ ما يقدمون أنفسهم كما لو كانوا الضحايا الوحيدين للنازية ، والذين لا يجوز لهم ــ من ثم ــ أن يخضعوا لأى قانون دولى ، وذلك لإضفاء الشرعية على ما يمارسونه من إنتهاكات صارخة فى حق البشرية جمعاء .

[١٤٤] **تستند هذه الرواية إلى الشائعة التى كانت تقول بأن هتلر لم ينتحر** ، وأنه ما زال على قيد الحياة مختبئا فى مكان ما فى أمريكا اللاتينية ، كما فعل عدد كبير من الزعماء النازيين ، ومن بينهم **أيخمان (أنظر التذييل رقم ١٤٩ التالى)** .

جرائمة التى إرتكبها بقوله [١٤٥] : ***يجب أن تعلموا أن الجنس المتفوق من البشر لم يكن من بنات أحلامى .. لقد تعلمت قوتكم ــ أيها اليهود ــ الخفية .. قوة تعاليمكم الخفية .. تعاليمكم أنتم .. شعب مختار .. شعب إختاره الله لنفسه .. العرق الوحيد المختار على وجه الأرض .. وجعله الإله فريدا دون البشر*** " .

ثم يقتبس **هتلر** نصوصا من العهد القديم ، ويشير خصوصا إلى بطولات **يشوع بن نون (البطل القومى/ الدينى اليهودى)** ، بأنه حرق المدن وخربها وأباد سكانها ، نساءا ورجالا وأطفالا ، حتى الحيوانات هى الأخرى **أبيدت بحد السيف** [١٤٦] . ولذا فإن **هتلر** يرى أن " **الكتاب المقدس** " تفوح منه رائحة الدم . ثم يضيف قائلا : لم تكن عنصريتى سوى تقليد هزلى لعنصريتكم أنتم ، تقليد هزيل .. **ماذا يكون الرايخ الذى سيدوم ألف عام** [١٤٧] **بالقياس إلى صهيون الأبدية** .. فلتصدروا حكمكم علىّ ولكن يجب أن تصدروا حكمكم على أنفسكم كذلك .. أيها المختارون " .

إن المشروع الحضارى للإنسان الغربى المستند إلى العلم المتجرد عن القيمة قد أدى إلى مفاهيم المادة البشرية . وبهذا المعنى تصبح إبادة الإنسان ، كنوع من ترشيد هذه المادة ، هو الناتج الطبيعى عن المنهاج الحضارى الحالى .. بعد أن ضل الإنسان طريقه إلى الله . وينتهى الإنسان ــ الآن ــ إلى دراسات لشخصيات نماذجية ترمز لعصره أو فكرة [١٤٨] : " فـ " **فاوستوس** " هو رمز عصر النهضة والحلم الإنسانى (أو الهيومانى : Human) بابتلاع العالم وكل المعرفة ، بينما " **فرانكنشتاين** " هو رمز الخوف الإنسانى من العقل المادى .

---

[١٤٥] " **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ؛ د. عبدالوهاب المسيرى ، دار الشروق . ص : ١٩٦ – ١٩٧ .

[١٤٦] أنظر التفاصيل هذه الوقائع ، ونصوصها من واقع الكتاب المقدس ، فى " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب . ويوجد تفاصيل أخرى عن الإبادة النابعة من الفكر الدينى للكتاب المقدس اليهودى والمسيحى ، فى الفصل الخامس (الديانة اليهودية والمسيحية) من هذا الكتاب .

[١٤٧] بعد أن اصبح **هتلر** رئيسا للدولة الألمانية فى عام ١٩٣٣ ، نجح فى استصدار قرار فى عام ١٩٣٤ بتأسيس **الرايخ الثالث الذى سيدوم ألف سنة** ، وهو فكر مستمد من **العقيدة الألفية السعيدة** . أنظر الفصل الخامس من هذا الكتاب / الديانة المسيحية . **والرايخ هو ألمانيا أو " الإمبراطورية الألمانية المقدسة "** . ويمتد **الرايخ الأول** من تاريخ تأسيس الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ٩٦٢ حتى إنحلالها عام ١٨٠٦ ، **والرايخ الثانى** هو الإمبراطورية الألمانية منذ عام ١٨٧١ وحتى عام ١٩١٨ . أما **الرايخ الثالث** فهو الدولة النازية والتى كان مقدرا لها أن تستمر ألف عام ..!!!

[١٤٨] " **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ** " ؛ د. عبدالوهاب المسيرى ، دار الشروق . ص : ٢٣٢ .

٧. الإنسان الأعلى والإنسان الأدنى (أو : السوبرمان والسبمان)

ويمكن القول بأن الحضارة الغربية الحديثة تتجه بخطوات ثابته نحو القضاء على الشخصية ذات الولاء لمطلق أخلاقى ثابت ولا متغير يتجاوز عالم المادة والتاريخ (أى الإنتماء لله ، عز وجل) ، لكى تحل محلها الشخصية الحركية المتغيرة التى لا ولاء لها لأى ثوابت أو مطلقات والتى تحررت من أى قيم أو غائية . وبذلك ينقسم المجتمع البشرى إلى الشخصية **الأمبريالية الدارونية أى الإنسان الأعلى (أو السوبرمان : Superman)** ، والشخصية الدونية (أو الإنسان الأدنى : **Subman**) . والسوبرمان أو الإنسان الأعلى هو الشخصية التى توظف المادة والمجتمع كله لصالحها ، كما تخطط للجموع وتقنعها بأن هذا هو الحضارة وقمة المنفعة لها . وهو فكر مكرر وليس بجديد على الإنسان منذ بداية الحضارة البشرية وحتى الآن ، فيما عدا إعادة صياغته بألفاظ مغايرة فحسب .

فالإنسان السوبرمان (أو الشخصية الإمبريالية الدارونية) نجد نظيره فى القران المجيد ، فى فكر **فرعون مصر** أيام النبى **موسى** (عليه السلام) . ويخاطب **الإنسان الأعلى** (فرعون) ملايه ، أى الجماهير الغير واعية كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ ... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) ﴾

(القران المجيد : غافر {٤٠} : ٢٩)

فهكذا **فرعون** يفرض على الجموع رؤيته الخاصة ، والتى يعتبرها قمة الصواب ولهذا فهو يرى أنه يهدى قومه إلى سبيل الرشاد . وهكذا الفئة الحاكمة (**السوبرمن**) ترى نفسها من خلال هذا المنظور . وبديهى لابد وأن يعتمد " **السوبرمن** " على العلم لدعم مقالاتهم للعامة واسباغ نوع من الشرعية على ما يدعون إليه . وهنا يصل التناظر بين **فرعون موسى ووزيره هامان** وبين السوبرمن والفلاسفة البشرية المُعْرضون عن الله (عز وجل) ، إلى أقصى مدى ، كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ (٣٧) ﴾

(القران المجيد : غافر {٤٠} : ٣٦ ٣٧)

[**صرحا** : الصرح هو البناء وقد يكون ماديا أو فكريا / **أبلغ الأسباب** : معرفة الأسباب / **وصد** : بضم الصاد ، أى فعل ذلك به / **وزين له سوء عمله** : بمعنى أنه لم صرف عن رؤية حقيقة ما يصنع / **فى تباب** : فى ضلال وخسران]

أى أن فرعون وفلاسفته يلجأون إلى العلم أيضا ، ويتجلى إعتقاد فرعون فى العلم أو فى ادراك الأسباب ــ المستقلة عن التوجيه الإلهى ــ بأنها سوف تقوده معرفة حقيقة هذا " **الإله** " الذى يقول به موسى (عليه السلام) ..!!! ولهذا نرى قوله تعالى .. ﴿ ... **وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ** .. ﴾ . وهكذا السوبرمن والفلاسفة والعلماء يعتقدون فى أن صرح العلم والفلسفة المستقل عن التوجيه الإلهى فى هذا الصدد سوف يقودهم إلى ادراك حقيقى عن الله ..

﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)** ﴾

(القران المجيد : طه {٢٠} : ٧٩)

ويمضى موكب القطيع المغيب فى أذيال وأعقاب السوبرمان ..

﴿ ... **فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)** ﴾

(القرآن لمجيد : هود {١١} : ٩٧)

ثم تأتى الشخصية الأخرى ؛ وهى **الشخصية الأداتية البرجماتية (أو للسبمن : Submen)** ؛ وهى شخصية ذات عقل أداتى لا تفكر فى الغايات وإنما فى الوسائل والإجراءات وحسب ، وفى أحسن الوسائل لإنجاز ما يوكل لها من مهام دون أن تسأل عن مضمونها الأخلاقى أو هدفها الإنسانى . فهى شخصية نسبية هزيلة مهتزة لا تثق فى ذاتها ولا رؤيتها ولا هويتها ولذا يتحدد توجهها حسب ما يصدر لها من أوامر تأتى من أعلى . ويتحدد ولاؤها إستنادا إلى المصلحة المادية المتغيرة التى يتم تعريفها من خلال الجهات المسئولة واللجان المتخصصة والسوبرمن .

وإلغاء الشخصية البشرية وإنقيادها **للسوبرمن** ، لا تعنى فساد **السوبرمن** فحسب ، بل تعنى فساد **السبمن** أيضا . وقد اتضح هذا جليا عند محاكمة إسرائيل : **لإيخمان** [١٤٩] ، أحد

---

[١٤٩] **أدولف أتو أيخمان** (١٩٠٦ ١٩٦٢) مسئول نازى وضابط فى فرق العاصفة الألمانية . من أهم الشخصيات التى شاركت فى تنفيذ المخطط النازى للتخلص من اليهود فى أوربا سواء بالإبادة أو بالتهجير إلى فلسطين . وقد قبض على **أيخمان** عقب الحرب ولكن لم تكتشف هويته الحقيقية ، ففر إلى الأرجنتين عام ١٩٤٥ واختبأ فيها إلى أن عثر عليه عملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد) عام ١٩٦٠ . **وتم اختطافه ونقله مخدرا متخفيا فى زى مضيف جوى على طائرة إسرائيلية** كانت قد جاءت الى الأرجنتين تحت ستار نقل **وفد إسرائيلى**

المسئولين الألمان عن إبادة اليهود إبان فترة حكم النازى ، **فلم ينكر أيخمان أو محاميه** (الدكتور **روبرت سرفاتيوس**) أيا من الإتهامات الموجهة إليه ، ولكنهما ركزا دفاعهما أساسا على أن **أيخمان** لم يكن سوى موظف فى مؤسسة حديثة ضخمة يقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليه من رؤساؤه فحسب . ولذا فهو مجرد **بيروقراطى** منفذ للإجراءات دون أن يسأل عن الأهداف ، وبالتالى يجب أن يحاكم على مدى كفاءته أو عدم كفاءته فى تنفيذ الأوامر ، لا على مدى تقييمه الأخلاقى لهذه الأهداف . أى أن **أيخمان** طالب بأن ينظر إليه باعتباره إنسانا حديثا أداتيا يهتم بالإجراءات ويدين بالولاء للمؤسسة التى يعمل فيها ولا يكترث بالقضايا الأخلاقية النهائية [١٥٠] . ولكن المحكمة رفضت دفعه ، وحكمت عليه بالإعدام .

ولهذا كان قوله تعالى عن قوم فرعون ..

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)﴾

(القرآن المجيد : الزخرف {٤٣} : ٥٤)

إذن فهم شركاء فى الإثم فرعون وقومه ..!!! وهنا يتناظر الأداء الإنسانى مرة أخرى بين فرعون (الإنسان السوبر) وبين موسى (الشريعة الحقة) .. وتعتقد البشرية ــ فيما تعتقد ــ أن **ظهور الإسلام** أنما يعنى تبدل دينها (العلمانية والإلحاد) ، وأن هذا سوف يؤدى إلى أن يظهر الفساد فى الأرض ..!!! ويتجلى هذا التناظر فى قوله تعالى ..

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٢٦ - ٢٧)

رسمى للإشتراك فى إحتفال الأرجنتين بالذكرى المائة والخمسين لإستقلالها (وبهذا تكون **الدولة الصهيونية** قد إنتهكت القانون الدولى وسيادة عدة دول منها **الأرجنتين** وألمانيا) . وبدأت محاكمة أيخمان فى ١١ أبريل عام **١٩٦١ بالقدس المحتلة** ، حيث وجه إليه المدعى العام الإسرائيلى **جدعون هاوتز** تهمة المشاركة فى إبادة يهود أوربا . وقد بين إيخمان خلال محاكمته أن الرؤية النازية تتطابق إلى حد كبير مع الرؤية الصهيونية ، كما كشف النقاب عن أوجه التعاون بين الحركة الصهيونية والسلطات النازية لتهجير يهود أوربا إلى فلسطين . **وهناك رأى** يذهب إلى القول بأن حرص الصهاينة المحموم على اعتقال إيخمان ومحاكمته ثم إعدامه لم يكن بهدف معاقبته على جرائمه فى حق اليهود بقدر ما كان يهدف إلى التخلص من مصدر أساسى لإدلة دامغة على التعاون بين الصهاينة والنازيين . وأعدم أيخمان فى سجن الرملة وأحرقت جثته ونثر رمادها فى مياه البحر الأبيض المتوسط فى عام ١٩٦٢ .

[١٥٠] " **الصهيونية والنازية ... ونهاية التاريخ** " د. عبدالوهاب المسيرى . دار الشروق ، ص : ١٢١ .

وهكذا حال الغرب .. كفرعون .. يخشى ــ أشد ما يخشى ــ من أن يظهر الإسلام .. حتى لا يظهر فى الأرض الفساد ..!!!

﴿ كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٥٥)﴾

(القران المجيد : الأنفال {٨} : ٥٤ - ٥٥)

وليس الجزاء مقصور على الدنيا .. بل يمتد الجزاء للآخرة .. فالإنسان سوف يفقد مصيره لأنه لم يحقق الغايات من خلقه . والعذاب يتحقق على مرحلتين .. مرحلة العذاب البرزخى (أى منطقة التجمع [١٥١] ..!!!) ، ثم العذاب الأخروى .. كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ ... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾

(القرآن المجيد . غافر {٤٠} : ٤٥ - ٤٦)

أوعى الإنسان هذا .. أم لم يعى ..!!! ثم تأتى الخاتمة بنهاية ذلك الإنسان الضال ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) ﴾

(القران المجيد : هود {١١} : ٩٦ - ٩٨)

فهذا هو حال الأداتيين ، أى الذين يدينون بالولاء للمؤسسة التى يعملون بها ، ويقومون بتنفيذ أوامر الرئيس ولا يكترثون .. بالقضايا الأخلاقية النهائية .. فمثل هؤلاء .. ومثل رئيسهم .. يأتى فى قوله تعالى .. ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ . **فيجب أن يعى الإنسان أنه شريك فى إثم أى عمل يؤديه فى أى حلقة من سلسلة طويلة من الأعمال**

---

[١٥١] سنعود لهذه المعانى فيما بعد .

ناتجها النهائى غير أخلاقيا ..!!! ويمكن أن نرى هذا المعنى أيضا بالمفهوم العام ، لا تخصيصية فيه ، فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٦٦ - ٦٨)

وهو ما يعنى أن " الشخصية الأداتية " أى " موظف السلطة " : مسئول مسئولية مباشرة عن أى عمل يأمر بأدائه ناتجه النهائى لا أخلاقى ، ولا عذر لأى شخص فى أن يقول يوم الحساب .. ﴿ ... رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ... ﴾ [١٥٢] فالنار مثواه .. مثله فى

---

[١٥٢] تقع مثل هذه الجرائم فى الإسلام تحت مسمى " **جرائم الحرابة** " ، وهى تعد من أفعال الخيانة ضد الجماعة ، **وتتراوح عقوبتها بين السجن والإعدام** . وهى جرائم يقصد بها إهدار عصمة دماء وأموال وأعراض العامة من الناس ، ومن ثم فهى جرائم تنطوى على قصد العصيان والإخلال بمقتضيات عقد الإسلام ، أو عقد الذمة ، أو عهد الأمان ، **أو عقد الإمامة أو الحكم** . ويستوى فى هذه الجرائم أن يكون الفاعل أو المحرض لها مسلما أو غير مسلم ، رجلا أو إمرأة . فعقد الإسلام يوجب عصمة دماء وأموال وأعراض المسلمين فيما بينهم ، كما يمنح عقد الذمة وعهد الأمان نفس العصمة لغير المسلمين المقيمين والمستأمنين مقابل إلتزامهم بنفس الواجب تجاه المسلمين . **ولا يغير من تكييف جرائم الحرابة كون الفاعل شخصا عاديا أو شخصا مسئولا ، حاكما أو محكوما** . ويتفق المالكية فى **أن كل من أخاف السبيل على أى نحو من الأنحاء ، وبأى صورة من الصور يعتبر " محاربا " مستحقا لعقوبة الحرابة** ، ويشمل ذلك جبابرة الحكام الظلمة الذين يسلبون أموال الناس ، ويستحلون دمائهم ، ويستبيحون أعراضهم ، **ولا يفيد ذلك الإستعانة بالعلماء أو بغيرهم** . ***ويستنبط من ذلك أن جميع جرائم التعذيب والقتل والمصادرة التى يمارسها شخص مسئول ضد العامة من الناس بقصد إرعابهم ، أو لأخذ اعتراف ، أو مال كلها تعد من قبيل جرائم الحرابة ، وتخضع لنفس العقوبات . وتقع المسئولية الجنائية فى جرائم الحرابة على كل من باشر الفعل بنفسه ، أو تسبب فيه ، أو أعان على ذلك ، أو حضر المباشرة ولم يباشر بنفسه ، كمن يوكل إليه الحراسة ، أو أخفى الجانى بعد ارتكاب الجريمة ، أو أمده بالعون المادى أو الأدبى .***

ومع أن **جرائم الحرابة** متنوعة الشكل ، إلا أن أخطرها اثارا على المجتمع ، وأشدها إرهابا للأفراد ــ تلك التى يمارسها حاكم مسلم ضد أفراد أمته بقصد إخافتهم وإرعابهم مكابرة ، أو إخضاعهم لسلطانه الجائر ، أو إرغامهم لعدم الوقوف أمام عبثه . لأنها فى هذه الحالة لا تمثل ــ فقط ــ نقضا لعقد الإسلام أو عقد الذمة الذى يعصم دماء وأموال وأعراض أفراد الأمة ، **إنما أيضا تنطوى على إخلال بعقد الإمامة** . فالإمامة فى الإسلام عقد مشروط ، طرفاه الحاكم من ناحية ، والجماعة من ناحية أخرى . ولا ينعقد إلا بإيجاب أفراد الأمة أو ممثليهم ؛ والقبول من جانب الحاكم . وهو عقد مشروط بإقامة الدين ، وتحقيق العدل ، ونشر الأمن ، وتحصين البلاد ، وحفظ النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وعدم أخذ المال بالباطل ، والرجوع إلى أهل الشورى فيما لم يقطع به القرآن والسنة برأى . فإذا أخل الحاكم بشروط عقد الإمامة ، فإن ذلك يمنع من استدامة العقد . وقد أقرت الشريعة الإسلامية مبدأ تقييد سلطة الحاكم ومسئوليته عن عدوانه وأخطائه ، وعن كل عمل يتجاوز به سلطانه ، أو يخرج به عن حدود الولاية . فإذا ثبت تعمد الحاكم العدوان فإنه يكون بذلك مرتكبا لجريمة الخيانة فى حق الأمة ، وجاز لممثلى الأمة محاسبته عن كل ضرر يترتب عن عصيانه ، ومحاكمته وعقابه عن كل عدوان ينشأ كنتيجة لهذا العصيان .

ذلك مثل سادته وكبرائه تماما . وربما كانت المسئولية الأخلاقية والضمير الإنسانى هو أهم ناتج إنتهى إليه الفكر الإنسانى عقب الحرب العالمية الثانية ، وبعد محاكمات نومبرج . **حيث انتهت هذه المحاكمات إلى أن :**

" الواجب الأخلاقى للجنود والمواطنين يحتم عليهم عصيان القوانين والأوامر الغير إنسانية الصادرة إليهم من السلطة ، كما ينبغى عليهم عدم تنفيذها " [١٥٣] .

إننى (أى الكاتب) لست فيلسوفا ، ولكنى مراقب جيد للفلسفة وكفاحها الطويل ــ بلا طائل ــ من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة .. وأرى ــ الآن ــ أن الإنسان قد ضل طريقه إلى الحقيقة المطلقة .. كما أصبحت متأكدا ــ وبما لا يدع مجالا لأى شك ــ إن الإنسان أصبح كالمجنون الذى يهذى بما لا يعى .. ولا يفهم ما يرى ..!!! ويجرى على غير هدى ... ولا يعلم إلى أين يتجه ..!!! وأصبح الآن لا أمل ولا جدوى فى أن يستمع لى صوت العقل الذى يَدّعى ــ أحيانا ــ أنه يملكه ..!!! ولم يبقى للإنسان ــ فيما يبقى ــ إلا الله ..

فـ ﴿ ... لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ... (١١٨) ﴾

(القرآن المجيد : التوبه {٩} : ١١٨)

ولن يبقى ــ فيما يبقى ــ للعجز البشرى ... إلا قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ١٠٩ - ١١٠)

[**البنيان :** قد يكون بالمعنى الحرفى له (كما هو الحال فى المسجد الذى حرض فيه **ابن عامر الراهب المنافقين** لبنائه بالمدينة لتكون **العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد**) ، كما يمكن أن يكون **البنيان** أى نظام فكرى أو فلسفى أو إجتماعى يقول به الإنسان على نحو ما ... أو آخر / **على شفا :** على حرف أو حافة / **جرف :** من الأبار ما لم يبن له جوانب / **هار :** هائر بمعنى قابل للإنهيار / **ريبة :** شك / **تقطع :** تتمزق وتتفرق ، أو انقطعت عما قبله من أفكار خاطئة]

---

[١٥٣] موسوعة " كتاب العالم : World Book " لعام ١٩٩٥ ، ج . ١٤ ، ص : ٣١٤ . أنظر أيضا تذييل رقم ١٢٣ السابق من هذا الفصل .

٨. ونهاية التاريخ ...

لقد كان الفيلسوف الألمانى كانط [١٥٤] ؛ مدركا أن **التاريخ البشرى** الذى يبدو وكأنه مجرد سجل حافل لحروب وحشية مستمرة بين الإنسان ونفسه ، كما وأن " ***هذا المسار الأبله لأمور البشر*** " والذى يبدو على السطح وكأنه خال من أى نمط معين ، قد يوجد فى أعماقه حركة ما منتظمة ، بحيث ... ما يبدو من الفوضى فى فترة زمنية قصيرة ، قد يكشف عن تطور بطىء مطرد فى إتجاه معين عبر حقبة طويلة من الزمن . ولهذا اقترح **كانط** فى مقال له عام ١٧٨٤ بعنوان " **محاولة لكتابة تاريخ عالمى من وجهة نظر عالمية** " ، بإعادة كتابة تاريخ البشرية من جديد بمفهوم عالمى يبين لنا هذا الإضطراد أو هذا الهدف النهائى الذى يتجه نحوه التاريخ . وبهذا المعنى يكون **كانط** قد ذهب إلى أن التاريخ سوف تكون له نهاية ما ، أو هدف نهائى كما توحى به الإمكانيات الراهنة عند الإنسان . ويصبح هذا الهدف ــ إذا ما تم العثور عليه ــ هو غاية فى حد ذاتها يمكن أن يفسر لنا التاريخ كله وحركة الإنسان فيه .

ويرى " **فرانسيس فوكوياما** " [١٥٥] أن كلا من " **هيجل** " و " **ماركس** " كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذى يشبع حاجات البشر الأساسية . ويتمثل هذا الشكل عند هيجل فى " **الليبرالية** " ، وعند ماركس فى " **المجتمع الشيوعى** " . ويسقط المجتمع الشيوعى ، ولهذا يعتقد **فوكوياما** فى أن الهدف النهائى للتاريخ سوف ينحصر فى" **الديموقراطية الليبرالية** " [١٥٦] ، أى المجتمع الديموقراطى الليبرالى ، لهذا

---

[١٥٤] **عمانويل كانط** : **Immanuel Kant** (١٧٢٤ – ١٨٠٤) فيلسوف ألمانى ، يعتبر أحد عظماء الفلاسفة فى جميع العصور .

[١٥٥] " **نهاية التاريخ وخاتم البشر** " ، فرانسيس فوكوياما ، ترجمة حسين أحمد أمين . مركز الأهرام للترجمة والنشر . **وفرانسيس فوكوياما كان نائبا سابقا لمدير مجموعة تخطيط السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية** ، ووقت صدور الترجمة ، يعمل مستشار لمؤسسة راند كوربوريشن فى واشنطن .

[١٥٦] على الرغم من الإرتباط الوثيق بين **الليبرالية** ، **وبين الديموقراطية** إلا أنهما مفهومان مستقلان . إذ يمكن ببساطة تعريف **الليبرالية السياسية** بأنها : " **قاعدة قانونية تعترف بحريات وحقوق معينة للفرد غير خاضعة لسيطرة الحكومة** " . وأهم هذه الحقوق هى : **الحقوق المدنية** ، وتعنى تحرير المواطن وممتلكاته من سيطرة الحكومة . **والحقوق الدينية** ، وتعنى السماح بحرية التعبير عن الآراء الدينية وممارسة العبادة . **والحقوق**

نجده يقول [١٥٧] : " فى ***نهاية التاريخ*** ليس ثمة منافسون أيديولوجيون **للديموقراطية الليبرالية** . لقد رفض الناس فى الماضى هذه الديموقراطية الليبرالية لاعتقادهم أن الملكية والأرستوقراطية ، والثيوقراطية أو الحكومة الدينية ، والشمولية الشيوعية ، وسائر الأيديولوجيات التى أتفق أن امنوا بها أفضل منها . **أما الآن فيبدو أن ثمة اتفاقا عاما ــ إلا فى العالم الإسلامى ــ على قبول مزاعم الديموقراطية الليبرالية بأنها أكثر صور الحكم عقلانية ، *وهى صورة الدولة التى تحقق أقصى حد ممكن لإشباع كل من الرغبة والإعتراف العقلانى*** " .

والآن ؛ **هل الديموقراطية الليبرالية** ــ حقا ــ هى الوصفة السحرية للسعادة المرجوة والتى يسعى إليها الإنسان على مر حضاراته السابقة ــ بدون أن يعى ــ ولم يهتد إليها إلا أخيرا .. وأخيرا جدا .. وبعد أن أصبح الإنسان على مشارف القرن الواحد والعشرين ..؟!

أو باختصار شديد ؛ **هل يمكن القول** ، بأن ما يقول به **فوكوياما** هو الحقيقة المطلقة التى يمكن الركون إليها بشكل نهائى وقاطع ..؟! فهل الإنسان بهذا النظام الإجتماعى سوف يصل بالمجتمع الإنسانى ، كما يصل بالإنسان ذاته ، إلى السعادة النهائية المرجوة بدون الحاجة إلى دين يؤمن به ، وبدون الحاجة إلى **إله يعتقد فيه** ..؟! وبدون مطلق أخلاقى يحكم نزواته ..؟! **وهل الإنسان بالديموقراطية الليبرالية يكون قد حل " قضية لغز الوجود " [١٥٨] فعلا ..!!!** وقبل مناقشة هذا المفهوم ، دعنا نقترب أكثر من منظور **فرانسيس فوكوياما** وما يدعوا إليه .

السياسية ، وتعنى تحرير المواطن من سيطرة الحكومة فى الأمور التى لا يبدوا بوضوح أنها تؤثر فى صالح المجتمع كله تأثيرا يحتم تدخل الدولة " . وتتضمن هذه الأخيرة **حرية الصحافة ، بإعتبارها حقا أساسيا .**

أما **الديموقراطية** فهى الحق المعترف به من الجميع لكافة المواطنين فى أن يكون لهم نصيب فى السلطة السياسية . أو بمعنى آخر ، حق كافة المواطنين فى الإقتراع والمشاركة فى النشاط السياسى . ويمكن إعتبار حق المشاركة فى السلطة السياسية **حقا ليبراليا آخرا** (بل هو أهم الحقوق الليبرالية) . ولهذا السبب كانت الليبرالية وثيقة الصلة تاريخيا بالديموقراطية . ولكى نحكم على دولة ما بأنها ديموقراطية أو غير ديموقراطية يمكن إستخدام تعريفا شكليا صارما هو : **أن الدولة تكون ديموقراطية إذا هى أعطت شعبها حق إختيار حكومته فى انتخابات دورية متعددة الأحزاب سرية الإقتراع ، على أساس من حق الإقتراع العام والمتكافىء لجميع المواطنين البالغين . وكلمة " ديموقراطية : Democracy " ؛** هى كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظة " **Demos** " ومعناها الشعب ، ولفظة " **Kratos** " ومعناها الحكم أو الحكومة . وبهذا المعنى تكون " **الديموقراطية** " هى " حكومة الشعب ، أو هى " **حكم الشعب بالشعب ومن أجل الشعب** " كما قال بهذا " **أبراهام لنكولن : Abraham Lincoln** " (١٨٠٩ - ١٨٦٥) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) .

[١٥٧] المرجع السابق ، ص : ١٨٩ .

[١٥٨] سيتم مناقشة مفهوم هذا المنظور فى نهاية هذه الفقرة . وبديهى لابد لنا ــ هنا ــ من إغفال مصير الإنسان ، لأن **الديموقراطية الليبرالية** ليس لديها ما يمكن أن تقوله عنه ..؟!

يقول **فوكوياما** أن **الديموقراطية الليبرالية** سوف تقود الإنسان إلى الرخاء والأمن والأمان الإقتصادى والحرية العقلية ، إلا أن هذا ليس معناة أن سعادة الإنسان تكون قد تحققت ، فما زالت المخاوف من تدمير الإنسان لنفسه بنفسه قائمة ..!!! حيث يقول **بأن الملل الناجم عن السلام والرخاء فى الماضى قد كان له أخطر العواقب .. ويضرب على هذا مثلا بأسباب حدوث الحرب العالمية الأولى** [١٥٩] ، فيقول ..

أن جذور الصراع التى أدت إلى **الحرب العالمية الأولى** لا تزال إلى يومنا هذا تبدوا معقدة ، ومحورا لدراسات كثيرة وجدل كبير . **فثمة قدر من الحقيقة فى تفسيرات أسباب الحرب ، منها** الروح العسكرية والنزعة القومية فى ألمانيا ، والتصلب المتزايد فى نظام التحالفات ، والإنهيار المطرد فى ميزان القوى الأوروبى ، والبواعث التى وفرتها النظريات والتكنولوجيات على القدرة فى الردع وعلى بدء الهجوم ، وغباء وتهور قادة أفراد معينين . **غير أنه إلى جانب هذا كله ، ثمة عامل أكثر تعقيدا وحيوية أدى إلى الحرب وهو أن الكثير من أفراد الجماهير**

---

[١٥٩] نشبت **الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)** بين **الحلفاء (فرنسا ــ روسيا ــ إنجلترا)** من جانب وبين قوات **دول وسط أوربا (النمسا ــ المجر ــ ألمانيا)** من جانب أخر . **وانضم إلى الحلفاء فيما بعد كل من اليابان وإيطاليا ، ثم الولايات المتحدة (فى ٦ أبريل ١٩١٧)** . كما إنضم إلى دول الوسط كل من **تركيا وبلغاريا** . والسبب المباشر فى نشوب هذه الحرب هو حادثة إغتيال الأمير " **فرانسيس فيرديناند : Francis Ferdinand** " أرشيدوق (Archduke) **النمسا** وولى عهدها فى " **سارايفو : Sarajevo** " فى ٢٨ يونيو عام ١٩١٤ . فاعلنت **النمسا الحرب على الصرب فى ٢٨ يوليو ١٩١٤** حيث وقف بخلفها الحلفاء . ويعتقد الخبراء أن حادثة إغتيال الأمير فرديناند لم يكن إلا شكلا ظاهريا فحسب لنشوب هذه الحرب ، ولكن **الإسباب الحقيقية** مازالت محل دراسة ونقاش . ومن هذه الأسباب **نمو النزعة القومية فى أوروبا** ، والصراع السياسى والإقتصادى بين الدول الكبرى على المستعمرات ، وبناء قوة الردع والهجوم الحربية ، وتصميم فرنسا على إسترداد الألزاس واللورين من ألمانيا .. إلى أخره من الأسباب .

وكان كل جانب من أطراف الصراع يتوقع نصر سريع تنتهى الحرب بعده ، أى أن الحرب لن تستغرق سوى فترة زمنية قصير ، إلا أن الحرب إستمرت لمدة اربعة سنوات كاملة ولم تصدق أى من التوقعات . **وبعد أن سقطت بلغاريا فى ٢٩ سبتمبر ١٩١٨ ، وتركيا فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ، والنمسا فى ٣ نوفمبر ١٩١٨ بأيدى الحلفاء ... إنهارت ألمانيا ووقعت الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ . وانتهت الحرب بعقد " معاهدة فرساى : Treaty of Versailles " فى ٢٨ يونيو ١٩١٩ بين ألمانيا المنهزمة وبين أربع من الدول الحليفة هم : بريطانيا العظمى (إنجلترا) وفرنسا وإيطاليا واليابان ، وأصبحت المعاهدة نافذة المفعول فى ١٠ يناير ١٩٢٠ بعد أن وقعتها ألمانيا . وقد بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى حوالى عشرة ملايين قتيل من العسكريين فقط ، غير الجرحى .**

وقد قضت " معاهدة فرساى " بإنشاء عصبة الأمم ، كما أكرهت ألمانيا على دفع تعويضات باهظة إلى الحلفاء ، وعلى التخلى لفرنسا عن الألزاس واللورين ، وجعل مدينة دانتزيغ مدينة حرة ، واخضعت إقليم السار لإدارة عصبة الأمم ، ووضعت مستعمرات ألمانيا السابقة تحت إنتداب تلك العصبة . وقد أدت هذه المعاهدة إلى تدمير وإنهيار الإقتصاد الألمانى تماما إلى درجة أنه كان يتم استخدام النقد الألمانى (الورقى) فى التدفئة وكوقود فى عام ١٩٢٠ . وهو ما مهد الطريق إلى بزوغ نجم " هتلر " ، كأمل للتحرر من هذه المعاهدة ، وكأمل للثأر ولمحو العار الذى لحق بألمانيا بعد هزيمتها السابقة .

الأروبية أرادوا الحرب بكل بساطة لمللهم من رتابة حياتهم المدنية وافتقارهم إلى المشاعر الجماعية فى هذه الحياة المدنية .

وتركز معظم الروايات عن عمليات إتخاذ القرار التى أدت إلى الحرب ، على الحسابات الإستراتيجية العقلانية ، وتهمل إعتبار الحماسة الشعبية الهائلة التى دفعت بكل البلاد إلى التعبئة العامة . فقد نتج عن الإنذار النمساوى مظاهرات شعبية صاخبة فى برلين تؤيد النمسا ، رغم أنه لم تكن لألمانيا مصلحة مباشرة فى النزاع . وقامت مظاهرات وطنية ضخمة أمام مبنى وزارة الخارجية وأمام مقر إقامة القيصر لمدة سبعة أيام حاسمة فى أواخر يوليو ١٩١٤ وأوائل أغسطس . وعندما عاد القيصر إلى **برلين** من **بوتسدام** ، إستقبلته حشود عارمة من الناس تطالبه بالحرب . وفى مثل هذا الجو الإنفعالى اتخذت القرارات التى أدت إلى الحرب .

وقد تكرر نفس هذا المشهد فى كل من **باريس وبتروجراد** [١٦٠] (روسيا) ، **ولندن وفيينا** (النمسا) . وقد عكس هذا الهياج الجماهيرى الشعور بأن الحرب تعنى لوحدة الوطنية والمواطنة اللتين طال إنتظارهما ، والتغلب على دواعى التفرقة بين الرأسمالى والبروليتارى (العمالى) ، وبين البرتستانتى والكاثوليكى ، وبين المزارع والعامل ، وهو ما يميز المجتمع المدنى . وقد وصف أحد المراقبين هذا الشعور السائد لدى الحشود فى برلين بقوله : " ما من أحد يعرف الآخر ، غير أن الكافة تملكتهم عاطفة قوية مشتركة ... الحرب ... الحرب ... والإحساس بالتضامن الجمعى " .

ويقول **فوكوياما** : " غير أننا حين نقرأ التبريرات الألمانية للحرب يلفت نظرنا التأكيد المستمر للحاجة إلى **نوع من النضال الذى لا هدف له** ، والذى من شأنه أن يحدث تاثيرا أخلاقيًا مطهرا (الحاجة للتدين) ، بصرف النظر عما إذا كانت ألمانيا ستكسب مستعمرات أو تنال حرية البحار . ومن الأمثلة الدالة على ذلك تعليقات شاب ألمانى يدرس الحقوق وهو فى طريقه إلى الجبهة فى سبتمبر عام ١٩١٤ . فهو حين يذم الحرب لكونها : فظيعة وغير جديرة بالبشر ، وغبية وبالية ومدمرة من كل الوجوه ؛ يصل مع ذلك إلى النتيجة التى إنتهى إليها **نيتشه** فيقول : " **إن الإعتبار الحاسم هو قطعا ودائما مدى إستعداد الفرد للتضحية لا موضوع التضحية** " . ذلك أن الواجب لم يفهم على أنه شأن من شئون المصلحة الشخصية المستنيرة ، ولا على إنه

---

[١٦٠] سابقا " لينينجراد : **Leningrad** " ، وحاليا " سان بيترزبيرج : **Saint Petersburg** " ، وهى ثان أكبر مدن روسيا بعد العاصمة **موسكو** .

إلتزام تعاقدى ، وإنما هو قيمة أخلاقية مطلقة توضح قوة الشخص الداخلية وتساميه على المادية والتكيف بمقتضى القوانين الطبيعية ، وهو بداية الحرية والنزعة الخلاقة .

ولـــهذا لم يستبعد **فوكوياما** قيام **حرب عَدَمية** ضد **الديمقراطية الليبرالية** من قِبـَل أولئك الذين شبوا فى ظلها . كـــما وأن الفكر الحديث ربما لا يستطيع أن يقيم الحواجز الكافية فى وجه هذه الحرب ، لأن أول ما تصطدم به **الديموقراطية الليبرالية** هو الطبيعة البشرية ذاتها ، ولهذا نجده يقول [١٦١].

" إن **الديموقراطية الليبرالية** فى المدى البعيد قد تفسد داخليا إمـــا بســـبب الإفـــراط فـــى **الميجالوثيميا** [١٦٢] ، أو الإفراط فى **الإيسوثيميا** [١٦٣] . وأكبر الظن أن الميجالوثيميا هى التـــى تشكل الخطر الأكبر على الديموقراطية الليبرالية . فالحضارة التى تفرط فى الإيسوثيميا وتســعى بجنون إلى إستئصال كافة مظاهر الإعتراف غير المتكافىء ، ستصطدم سريعا بـــالحدود التـــى تفرضها الطبيعة ذاتها . ونحن الآن نقف على فى نهاية مرحلة سعت فيها الشيوعية إلى استخدام سلطان الدولة فى إستئصال " **عدم المساواة الإقتصادية** " ، وحطمت خلال هذا السعى أســـاس الحياة الإقتصادية الحديثة . فإن حاولت **العواطف الإيسوثيمية** (عواطف المساواة والتكافؤ) غدا إلغاء الفوارق بين القبيح والجميل ، أو تظاهرت بأن الإنسان مقطوع الساقين مساو نفســـيا بـــل وجسمانيا للإنسان سليم الأعضاء ، فإن حجتها ستفند نفسها بنفسها فى الوقت المناسب ، تمامـــا كما حدث للشيوعية . وهو أمر كفيل بإقلاق راحتنـــا ، حيـــث أن تفنيـــد (إثبـــات بطـــلان) الإفتراضات **الإيسوثيمية** (إفتراضات المساواة والتكافؤ) للماركسية اللينينية قد استغرق إتمامه قرنا ونصف القرن من الزمان . غير أن الطبيعة حليف لنا ، فإن حاولنا أن نخرجها قسرا مـــن الباب فسوف تعود الدخول إلينا من النافذة . "

---

[١٦١] " **نهاية التاريخ وخاتم البشر** " ، فرانسيس فوكوياما ، ترجمة حسين أحمد أمين . مركز الأهرام للترجمـــة والنشر ؛ ص : ٢٧٩ .

[١٦٢] **الميجالوثيميا** : هى الرغبة فى الإعتراف الغير متكافىء والتميز على الأقران . أو هى الرغبة فى إثبـــات قوى الذات والتفوق على الآخرين . والإفراط هنا يعنى الرغبة الجنونية فى تحقيق هذه المفاهيم .

[١٦٣] **الإيسوثيميا** : **هى عكس الميجالوثيميا** ؛ أى هى الرغبة فى الإعتراف المتكافىء أو المتساوى بين الأفراد . والإفراط هنا يعنى الرغبة الجنونية فى تحقيق هذه المفاهيم .

ويضيف **فوكوياما** قائلا : بأن **الطبيعة** تتامر من أجل الحفاظ على درجة كبيرة من **الميجالوثيميا** (اللامساواة) فى العالم الديموقراطى الاخذ بمبدأ المساواة . وبهذا يصبح **نيتشه** [١٦٤] على حق تماما فى إعتقاده أن درجة من **الميجالوثيميا** (اللامساواة) شرط ضرورى للحياة ذاتها .

والتمايز واللامساواة بين البشر هى سنة (أى قانون طبيعى) من سنن الله (ﷻ) فى خلقه للإنسان ، حيث يقول المولى (ﷻ) حول هذا التمايز واللامساواة بين البشر ...

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ .. (٧١) ﴾

(القران المجيد : النحل {١٦} : ٧١)

أى أن التفضيل والتمايز واللاتساوى بين الناس هو أمر من أمور الله (ﷻ) فى طبيعة خلقه للإنسان ، وليس أمرا من صنع البشر . ولكن تدخل المطلق الأخلاقى هو الذى يحكم هذا التمايز ، كما يأتى فى قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ... (٣٢) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ٣٢)

وبهذا يضع المولى (ﷻ) القانون الأخلاقى إلى جانب هذا التمايز . وبهذا يقع التمايز فى حيز إختبار وفتنة الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ، وسوف يسأل الإنسان عن كيفية إحتماله (أى كيفية إحتمال التمايز) . **ويحمى المولى (ﷻ) الإنسان من الإنسان** ، بل وينبهه إلى أن هذا العطاء الدنيوى إنما هو جزء من الإختبار العام للإنسان ، كما جاء فى قوله تعالى ...

﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) ﴾

(القران المجيد : طه {٢٠} : ١٣١)

وهكذا يبين لنا المولى (ﷻ) بأن رزق الله بالمفهوم العريض لا يشمل عطاء الدنيا المادى الظاهر فحسب ، بل قد يشمل عطاء دنيوى اخر فى صور خفية أيضا (كمنع بلاء مثلا) . كما يشمل عطاء الاخرة ــ أيضا ــ فى أشكاله اللامتناهية . وأن هذا الرزق هو أبقى من جميع

---

[١٦٤] أنظر تذييل رقم ٦٩ من هذا الفصل ، وتذييل رقم ٢ من الفصل السادس ، من هذا الكتاب .

صور هذا التمايز . والتمايز (أى **التفضيل**) فى الرزق (بمعناه المطلق) **هو قانون طبيعى مطلق** يتعدى الوجود الحالى ليصل بنا إلى الإمتدادات الطبيعية للحياة الأخرى ... كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٨ - ٢١)

[**العاجلة** : الدنيا . بعمله وسعيه ، لا يؤمن بمعاد ولا يرجو ثواب / **يصلاها** : يدخلها ويقاسى حراراتها / **مدحورا** : مطرودا ومبعد من رحمة الله / **محظورا** : مقصورا على أحد دون غيره ، أو ممنوعا عما يريده الله سبحانه وتعالى]

وهنا نرى ذروة الإحكام والإحاطة فى قوله تعالى .. ﴿ *مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ* ﴾ ، أى لا إستجابة مطلقة من جانب الله (ﷻ) لتحقيق عشوائيات مطالب الإنسان .. حتى لا تكون هناك فتنة له وللآخرين ..!!! وحتى وإن وجد من عنده الإستعداد لأن يضحى بمصيره الممتد .. فى مقابل وجوده القاصر ..!!! لعل الإنسان يجد الفرصة فى أثناء حياته ليثوب إلى رشده ويعود إلى الإيمان .. فهى الرحمة الإلهية الممتدة بذلك الإنسان اللاواعى حتى لا يخسر وجوده ومصيره معا ..!!!

والتفضيل هو سنة (أى قانون) من سنن (قوانين) الوجود على نحو مطلق ، فتفضيل البعض على الاخر ليس مقصورا على هذه الحياة الدنيا فقط ، بل يمتد التفضيل بصور أعلى إلى الحياة الاخرى أيضا .. ﴿ ... وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ .. والآخرة هى حياة فى ما بعد الموت ..!!! ومن هنا يمكن لنا فهم العبارة الواردة فى الاية السابقة ..﴿ .. وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

وقد ذهب أفلاطون إلى أنه فى حين نجد أن **الثيموس** [١٦٥] أساسا للفضائل ، فهو فى حد ذاته لا هو بالخير ولا هو بالشر . وإنما ينبغى ترويضه حتى يخدم الصالح العام . وبعبارة أخرى فإنه من الواجب أن يتحكم العقل فى **الثيموس** ، وأن تتحالف الرغبة مع الثيموس . **والمدينة الفاضلة هى المدينة التى يتم إرضاء الجوانب الثلاثة معا ... العقل ، والرغبة ، والثيموس (إضفاء القيمة على النفس) .**

ويبقى قلق **فوكوياما** إزاء الديموقراطية الليبرالية قائما ، على الرغم من دعواه بأنها أفضل النظم السياسة التى يمكن أن تحقق الثلاث جوانب السابقة معا (العقل والرغبة والثيموس) .. فيقول [١٦٦] : " فإذا شعر الناس فى المستقبل بالملل والسأم من جراء السلام والرخاء ، وتطلعوا إلى صراعات **ثيموسية** وتحديات جديدة ، فإن العواقب تهدد بأن تكون أفظع مما كانت عليه فى الماضى ، حيث أن لدينا الآن أسلحة نووية وأسلحة كيماوية وأسلحة أخرى للدمار الشامل ، يمكن أن يهلك من جرائها الملايين على الفور ودون تمييز . "

وأخيرا يعترف **فوكوياما** فيقول : فإذا تطلعنا إلى الخلف نحن الذين يعيشون فى شيخوخة الجنس البشرى ، فقد نصل إلى النتيجة التالية : وهى أنه ما من" **نظام إقتصادى إجتماعى** " ، بإمكانه إرضاء كل الناس فى كل الأقطار ، بما فى ذلك الديموقراطية الليبرالية . ولا يتصل هذا بقصور فى الثورة الديموقراطية ، بمعنى أن ثمار الحرية والمساواة لا يستمتع بها الجميع . وإنما ينبع السخط تحديدا داخل ذات الأقطار التى إنتصرت فيها الديموقراطية انتصارا كاملا . فهو سخط على الحرية والمساواة . ولذا فإن أولئك الذين سيستمر سخطهم سيظلون دائما قادرين على يبدأوا التاريخ من جديد ..!!!

وهنا يطفوا على السطح السؤال الأخير التالى : هل الديموقراطية الحديثة مجتمع خاتم البشر وهو المجتمع المكون فى مجموعه من الرغبة والعقل ، سوف يعقبه مجتمع من الناس البدائيين المتوحشين الذين لا يريدون سوى الإعتراف بالتفوق والعكس بالعكس فى حلقة مفرغة لا نهاية لها ..؟! وهو ما يعنى أن مخاوف **فوكوياما** قد تتحقق بشكل أو أخر فى صورة نشوء صراع بين الإنسان ونفسه بدوافع **ثيموسية** ..!!!

---

[١٦٥] **الثيموس** : هى قدرة الإنسان على إضفاء أو إسباغ القيمة على الأشياء وعلى نفسه .

[١٦٦] " **نهاية التاريخ وخاتم البشر** " **فرانسيس فوكوياما** ، ترجمة حسين أحمد أمين . مركز الأهرام للترجمة والنشر ؛ ص : ٢٩٠ – ٢٩١ .

ولهذا من أهم ما تخطط له الدول الرأسمالية الديموقراطية مثل الولايات المتحدة هو أن يتجه أكثر الأفراد نبوغا وطموحا إلى الإشتغال بالتجارة والصناعة لا بالسياسة ولا في الجيش أو الجامعات أو الكنيسة (أى قانون الإنتقاء البشرى للبشر كبديل للفطرة الدينية) . ويبدو أنه من الأفضل للإستقرار طويل المدى للسياسة الديموقراطية ، أن يشغل النشاط الإقتصادى بال الطبائع الطموحة مدى الحياة . وليس لمجرد أن مثل هؤلاء الناس يخلقون ثروات يفيد منها الإقتصاد ككل ، إنما لجعل مثل هؤلاء الناس يظلون بعيدين عن السياسة والجيش . ففى مثل تلك المجالات الأخيرة قد تؤدىْ حالة التململ عندهم إلى إقتراح إبتكارات فى الداخل أو مغامرات فى الخارج تكون لها عواقب وخيمة على المجتمع ..!!!

وهكذا ؛ يظل قلق فوكوياما قائما لأنه أدرك ــ فيما يدرك ــ أنه ما من" نظام إقتصادى إجتماعى " بإمكانه إرضاء كل الناس **فى كل الأقطار** ، بما فى ذلك الديموقراطية الليبرالية . كما يظل قلق **فوكوياما** قائما لأنه أدرك ــ كذلك ــ أن الإبادة جزء من الفطرة البشرية ..!!! وأن رغبة الإنسان فى نيل الإعتراف بالتفوق قد تقوده لتدمير نفسه بنفسه .. كما وأن الرتابة والرفاهية والملل من النشوة قد تقود الإنسان للهلاك [١٦٧] ..!!! كما لم يقل لنا **فوكوياما** ــ فيما يقول ــ أن " **الإبادة** " (أى إبادة الإنسان لأخيه الإنسان) **هى فكر** نابع من نصوص الكتاب المقدس ..!!!

---

[١٦٧] ***فى ابريل ١٩٩٧ ؛ أقدم (٣٨) شابا وفتاة من الشريحة المثقفة المنتمية إلى الطبقة الوسطى بالمجتمع الأمريكى (مجتمع الديموقراطية الليبرالية) على الإنتحار الجماعى ..!!!*** وقد تمت هذه العملية بقيادة " **أبل وايت** " الأب الروحى لجمعية من الشبان والفتيات تدعى " **بوابة السماء : Heavens Gate** " وتمت عملية الإنتحار الجماعى بطريقة منمقة ، حيث تناول الأفراد خمرا مذابا به المخدر القاتل واستقر كل منهم على سرير منفصل ، وقد تغطى بملاءة قرمزية اللون ومرتديا حذاءه الأسود ..!!! وقد تمت العملية فى وقت واحد ، إنتظارا للمركبة الفضائية التى تصور قائد العملية أنها تسير فى ذيل مذنب يقترب من الأرض فى تلك الفترة ..!!! واكتشف البوليس الأمريكى والطب الشرعى أن كثيرين من الجثث المنتحرة قد تم **استخصاؤهم فيما قبل حتى يتخلصوا من الغرائز الدنيوية وبذلك يتطهرون من أدرانهم ..!!!**

وهذه ليست أول حادثة إنتحار جماعى فى المجتمع الأمريكى ، مجتمع الديموقراطية الليبرالية ، ففى عام ١٩٧٨ ، أقدم أكثر من (٩٠٠) مواطن أمريكى **بقيادة القس : " جيمس وارين جونس : James Warren (Jim) Jones** " ، بالإنتحار الجماعى بشرب السم الذى أعده لأتباعه ، **وقد حدث هذا فى مدينة " جونستاون : Jonestown " فى " جيانا : Guyana** " على الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية . والجدير بالذكر أن من لم يستجب من أتباع القس لشرب السم ، قام حراس القس المسلحون بإطلاق النار عليه وقتله ، قبل قيامهم بشرب السم . فقد كان يأمل القس وأتباعه ***إلى الإنتقال إلى مجتمع أفضل من مجتمع الديموقراطية الليبرالية ، أى مجتمع نهاية التاريخ ..!!!*** **وتبقى كلمة أخيرة لابد من ذكرها ؛** هى ضرورة شعور الإنسان بشىء من القداسة فى حياته ، ويتحقق هذا بالإنتماء الدينى ، وإلا أحس المرء بأن حياته صماء عقيمة .. مادة محضة بلا قيمة ..!!! وليسأل فى هذا علماء الإجتماع الغربى .. وليسأل فى هذا أيضا سكان الضواحى الثرية فى أمريكا ممن حققوا الفردوس الأرضى .. فهل حققوا السعادة المنشودة ..؟!

obeikandi.com

وهكذا تبقى **الديموقراطية الليبرالية** عاجزة عن تقديم الضمان لسلام الإنسان وسعادته ..!!!
كما تبقى الديموقراطية الليبرالية عاجزة ــ فى ما هى عاجزة ــ عن حل " **لغز الوجود** " ..!!!
وعن حل " **لغز الإنسان وحقيقته** " ..!!!

ويعمى الإنسان فيما يعمى ، ويتظاهر الإنسان فى ما يتظاهر ، بأنه يقبل الديموقراطية الليبرالية على أنها منتهى سعادة الإنسان ونعيمه . ويغفل الإنسان ــ فى ما يغفل ــ إلى أنه مغادر لهذه الحياة يوما ما .. بعد هذا اليوم أم قرب ..

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾
(القرآن المجيد : المعارج {٧٠} : ٦ - ٧)
وهكذا الإنسان وفلاسفته ...

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾
(القرآن المجيد : الروم {٣٠} : ٧)

ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية .. لم تقل للإنسان : هل يوجد إله قد خلق هذا الكون والإنسان ..؟! أم أن الإنسان قد إنبثق من سلسلة طويلة من التطورات التى نتجت من تفاعل بعض المواد التى وجدت بالصدفة على الأرض ، ووجدت بالصدفة ــ أيضا ــ أنها تخضع لبعض القوانين الطبيعية أو حتى القوانين العشوائية .. **التى لا نعرف من الذى سنها لتجرى على هذا النحو .. *حتى تأتى بإنسان مفكر على غرارنا ..!!!***

وكما سبق وأن بينت ، بأننا مهما أوغلنا فى البعد فى إنكار وجود " الله " (ﷻ) وهو الظاهر فوق كل ظهور ..!!! **فلن نستطيع إنكار وجود المادة ... ووجود القانون الطبيعى .. وإلا نكون قد أنكرنا الوجود ذاته** ..!!! لهذا يجب أن تؤخذ **المادة والقانون الطبيعى** فى الإعتبار فى جميع الأحوال التى نتكلم فيها عن خلق الإنسان . كما لابد لنا من الإعتراف بأن لهما موجد .. لأننا لو أنكرنا الموجد لهما .. لأصبحتا ــ المادة والقانون الطبيعى ــ هما الموجدان لأنفسهما بأنفسهما .. وبذلك نكون قد أسبغنا عليهما صفة الله (ﷻ) ذاته [١٦٨] ، **وبهذا تصبح المادة والقانون الطبيعى .. هما الخالق للإنسان ..!!!**

---

[١٦٨] يمكن تعريف الله (سبحانه وتعالى) : بأنه الموجد لنفسه بنفسه والموجد للوجود ولا يوجد موجد اخر سواه .

وبديهى الإعتراف **بالمادة والقانون الطبيعى هما الخالق للإنسان** سوف يقود إلى منـات مـن الأسئلة المفتوحة ... والتى لا يمكن الإجابة عليها ، والتى يمكن أن نلخصها فى كل ما يمكـن أن يقال **عن الفرق بين** طبيعة المادة الصماء والقانون الطبيعى .. **وبيـن** طبيعـة الإنسـان ..!!! منها على سبيل المثال : **وجود الحكمة ، والإدراك ، والأخلاق ، والتصميم (the Design) .. إلى آخره لدى الإنسان ، وهو ما تفتقده الطبيعة الصماء ذاتها ..!!!**

فهل يمكن القول : بأن الحكمة تنبع من المادة الصماء والقانون الطبيعى ؟! ... وهـل يمكـن القول : بأن الإدراك يأتى مما لا إدراك له ؟! ... وهل يمكن القول : بأن الوعى يأتى ممـا لا وعى له ؟! ... وهل يمكن القول : بأن الأخلاق يمكن أن تنبثق من المادة الصماء والقـانون الطبيعى ؟! ... وهل يمكن القول : بأن التصميم [١٦٩] (The Design) ينبع مـن الفوضـى والعشوائيات ؟! ... وقل ما شئت عن : وهل يمكن القول : ...؟! وهل يمكن القول : ...؟!

- **ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية .. لم تقل للإنسـان :** إذا كان الإله قد خلق الإنسان فعلا ..!!! فهل توجد له غايات من هذا الخلـق .. أم إنـه قـام ببساطة شديدة بخلق المادة .. والقانون الطبيعى .. والإنسان .. على هذا النحو الذى نـواه .. ثم تركهم جميعا وانصرف ..؟! وإذا انصرف الإله .. فإلى أين ذهب ..؟! وفيما يشغله الآن ..؟! وانصراف الإله لا يعنى إلا التحيز المكانى .. والتحيز المكانى لا يجوز إلا للمحـدود .. وتحيز المحدود لا يقود إلا إلى الحركة .. والحركة لا تقود إلا إلى الخضوع للزمـن ..!!! سبحانه وتعالى وهو الذى لا يحده زمان ولا مكان .. فـ ..

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾

(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

فالقضية ــ إذن ــ مرتبطة بقصور إدراك الفكر البشرى على وجه عام ..!!!

---

[١٦٩] يقصد **بالتصميم** هنا ؛ هو تصميم أجهزة الجسم البشرى المختلفة ، **كالعين** مثلا وتصميمها المذهل ، وعمليـة الإبصار وإدراك الإنسان للألوان المعتادة . وهى العملية التى تتضمن حل تلقائى ــ بواسطة العقـل البشـرى ــ لمجموعة من المعادلات التفاضلية البالغة التعقيد لإدراك اللون ، وهو ما يعنى استحالة تصميم عين صناعية تقـوم مقام العين البشرية .

- **ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية .. لم تقل للإنســـان :** إذا قلنا بوجود غايات من الخلق .. فما هى تلك الغايات ..؟! وما ينبغى على الإنسان أن يفعلـه حيال تحقيق تلك الغايات ..؟!

- **ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية ... لم تقل للإنسان : هـــل يمكن الإنسان أن يختزل نفسه بنفسه هكذا ــ ببساطة شديدة ــ إلى مجرد مجموعة مـــن بعض العمليات البيولوجية ..** وأن خالق الإنسان هما : المادة والقانون الطبيعى ..!!! أم أن الإنسان أكثر من هذا ..!!! **وإذا كان الإنسان .. أكثر من هذا .. أى أكثر من مجموعة من القوانين البيولوجية .. فما هى حقيقته وما هو جوهره ..؟!**

- **ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية ... لم تقل للإنسان : هل هناك مصير ينتظر الإنسان ..؟!** وإذا وجد هذا المصير .. فما هو شكله ..؟! ومـــا هـــو طبيعة الإنسان وشكله فى هذا المصير ..؟!

- **ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ أن الديمقراطية الليبرالية .. لم تقل للإنسان :** هـــل يمكنه البرهنة على صحة كل ما فات .. وكيف ..؟!

وهكذا عمى الإنسان ــ فى ما عمى ــ عن وجود الله (سبحانه وتعالى) ..!!!
وهكذا عمى الإنسان ــ فى ما عمى ــ عن وجوده هو ..!!!
وهكذا عمى الإنسان ــ فى ما عمى ــ عن جوهره وحقيقته ..!!!

وهكذا عمى الإنسان ــ فى ماعمى عنه ــ أن " الديمقراطية الليبرالية " إذا أعتبرت أنها :

تلك النظام السياسى الذى يحقق أفضل إشباع للرغبة المتعقلة والإعتراف العقلانى للإنسان ..
فإن " الديمقراطية الليبرالية " تصبح (بهذا المعنى) جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ، يتخطاهـــا الإسلام ليحتوى الوجود ، وما وراء الوجود ..!!! *(الأكوان المتراكبة)*

*وهكذا تصبح " **الديمقراطية الليبرالية** " جزئية ــ فقط ــ من **الإسلام** ، يتخطاها الإسلام ليحتوى الأخلاق ، وما وراء الأخلاق ..!!!* *(الروح)*

وهكذا تصبح " الديمقراطية الليبرالية " جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ، يتخطاها الإسلام لتبليغ الإنسان بالغايات من خلقه .. وكيفية تحقيقه لها ..!!! (الدين)

وهكذا تصبح " الديمقراطية الليبرالية " جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ، يتخطاها الإسلام ليجعل الإنسان يتخطى منتهى أماله ، إلى ما وراء الأمال ..!!! (لقاء الله)

وهكذا تصبح " الديمقراطية الليبرالية " جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ، يتخطاها الإسلام ليجعل الإنسان يتخطى الرغبة ، إلى ما وراء الرغبة ..!!! (الإدعاء وليس الدعاء)

وهكذا تصبح " الديمقراطية الليبرالية " جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ، يتخطاها الإسلام ليجعل الإنسان يتخطى التاريخ ، إلى ما وراء التاريخ ..!!! (النشأة الآخرة)

وهكذا تصبح ... " الديمقراطية الليبرالية "جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ...
وهكذا تصبح ... " الديمقراطية الليبرالية "جزئية ــ فقط ــ من الإسلام ...
وهكذا تصبح ...!!!

وتأتى نهاية التاريخ [١٧٠] فى قوله تعالى ...

﴿ ... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٢٤)

[**زخرفها وازينت** : هو نهاية التقدم العلمى والتكنولوجى على الأرض / **أتاها** : جاءها / **أمرنا** : قضاؤنا بهلاك من عليها / **حصيدا** : مقطوعا ومقلوعا من أصله / **كأن لم تغن** : كأن لم تكن قائمة من قبل على الأرض]

وهو ما يعنى أن التقدم العلمى والتكنولوجى ــ فى نهاية التاريخ ــ سوف يصل به الإنسان إلى نهايته .. ولكن تبقى جملة .. ﴿ .. وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا .. ﴾ لتشهد على وجود الفجوة بين ما لدى الإنسان وبين القيم النهائية لنهاية العلم والتكنولوجيا ما زالت قائمة ..!!! وحتى يبقى

---

[١٧٠] سنتعرض ــ مرة أخرى ــ لحركة ونهاية التاريخ فى الفصل السادس من هذا الكتاب .

الله (ﷻ) للإنسان قليل من الأمل يستطيع أن يحيا به .. وليحيا بما تبقى لديه ..!!! وحتى يبقى قانونه المحيط ...

﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

يعمل مع الإنسان .. ويبقى مع بقاء الإنسان ..!!!

وتأتى نهاية التاريخ فى قوله تعالى ...

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

و " **الآفاق** " فى الاية الكريمة السابقة تشير إلى المتناهى العلمى ، والمتناهى الزمانى ، والمتناهى المكانى (أو الزمكانى) . و" **الحق** " فى الاية الكريمة يشير ــ فى أحد معانيه ــ إلى القران المجيد ، وفى معانى أخرى يشير إلى الله (ﷻ) نفسه ، وفى معنى اخر يشير إلى الدين الإسلامى .

وتأتى نهاية التاريخ فى قوله تعالى ..

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ٣٣)

وتأتى نهاية التاريخ فى قوله تعالى ..

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٥٣)

وهو ما يعنى أن تأويل القرآن بشكل نهائى ، أى إدراك معانيه وما تعنى آياته بشكل قاطع ، إنما تعنى نهاية الإختبار البشرى وإعلان النتيجة عن مدى استفادة الإنسان من عقله الذى أودعه الله (ﷻ) فى الإنسان ، وعلمه الذى منحه إياه .. على هذا النحو .. إنما ليحقق الإنسان الغايات من خلقه ..!!! **وهنا ينتهى التاريخ الإنسانى عند إدراك الإنسان للتأويل النهائى لمعانى القرآن المجيد ..**

ويأتى ما وراء التاريخ كله ..!!! فى قوله تعالى ..

﴿ ... وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾

(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٦١ - ٦٢)

ولم يدرك الإنسان ــ فى ما يدرك ــ هذه المعانى ..!!! فأصبح غاية علمه وحدود ذكاؤه .. الديموقراطية الليبرالية .. وهكذا سجن الإنسان نفسه ــ بنفسه ــ فى حدود المحدود .. وقيد نفسه ــ بنفسه ــ بحدود التناهى ..!!! ويأتى الإسلام ليحرر هذا العقل من حدود المحدود .. ويعفيه من حدود التناهى ..!!! ويطلقه فى رحاب آفاق لانهاية لها .. يطلقه مع اللامتناهى .. ويطلقه مع اللامحدود ..!!!

ولتعيد دورة الحياة (The Circle of life) نفسها ... ولنقف معا فى نفس المكان الذى كان يقف فيه نوح (عليه السلام) مع قومه من آلاف السنين ... وهو يشكو حاله لربه ...

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

(القرآن المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

[فرارا : تباعدا وبعدا عن الإيمان / استغشوا ثيابهم : بالغوا فى التغطى بها كراهة لى]

وتتناهى نهاية النهايات .. نهاية التاريخ .. ونهاية الإنسان .. ونهاية البشرية .. ونهاية الوجـــود .. فى قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢) ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٤٢)

••••••••••••••••••••••••••

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّـــياطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ٢٩ - ٣٠)

صدق الله العظيم

ولم يعى الإنسان وفلاسفته ــ فى ما لم يعوا ــ أنهم فى ضلالـــة ﴿ ... وَيَحْسَـــبُونَ أَنَّـهُم مُّهْتَدُونَ .. ﴾ ..!! فالعقل مطلوب فى القضية الدينية بكامل ملكاته .. لأنها غايات من خلق الإنسان ..!!